المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

سبتمبر ١٩٤٥

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع في ست لغات . إن الطبعات الإنجليزية تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين واستراليا والهند . والطبعة الإسبانية تباع في ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية في أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع في البرازيل والبرتغال . والسويدية في السويد . والفنلندية في فنلندا . وهذا هو العددُ الخامس والعشرون (الأول من السنة الثالثة) من الطبعة العربية . وقد وُزِّعت نسخهُ في مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويسرهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً في بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات أنجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان باويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداها طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العـام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ – شارع شامبليون بالقاهرة ، تليفون : **٥٧٨٩٣**

المدير العام ورئيس التحرير : **فؤاد صروف**

مصر والسودان — ثمن النسخة **٣** قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى **٣٠** قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن **٣٥** ملاً — العراق **٣٥** فلساً — سوريا ولبنان **٣٥** قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل **٤٠** قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية – المدير العـام : باركلى أتشيسون

السنة الثالثة

المختار من ريدرز دايجست

المجلد ٥
العدد ٢٥

مختارات في مختلف الشؤون من مقالات ممتعة تمتاز بالإيجاز باقية الأثر

سبتمبر ١٩٤٥

ما لم تقترف هذه الشياطين

مختصرة من افتتاحية في مجلة «كرستيان سنشري»

الفظائع التي كشف عنها الاستيلاء، إن على معسكرات الاعتقال النازية كان تصديقها في بداية الأمر صعباً ، وقد جاهدنا مستيئسين أن نعتقد أن فيها مبالغة فاحشة ، غير أن مثل هذا الحجاز الواهي لا يستطيع أن يقف في وجه الحقائق القطيعة ، والأدلة أقوى من أن تنقض ، وسيمضي زمن طويل جداً قبل أن تزايل أعيننا صور هذه الجثث العارية المكدسة كحطب النار ، وقبل أن ننسى ما قال ثقات نزيهون إنهم رأوه بأعينهم .

فما معنى هذا ؟ أترى معناه أن الألمان خارج نطاق الإنسانية ؟ كلا ! ليس هذا هو المعنى ، فإن القسوة بالجملة في أبشع صورها لم تكن مقصورة على ألمانيا ، فقد رأينا صوراً شمسية أخرجت تهريباً من مدينة نانكنج المغتصبة ، وقرأنا إقرارات رجال فروا من ولايات البلطيق تحت السيطرة الروسية ومن بولندة الشرقية . ونحن نعرف أيضاً ما وقع من الأعمال المفزعة في الولايات المتحدة حين ثارت ثائرة الجماهير وشنقت المغضوب عليهم - وهي أشياء بلغ من هولها أن لا تحكى إلا همساً .

كلا ، إن فظائع معسكرات الاعتقال النازية هي فظائع الإنسانية نفسها حين تستسلم لقدرتها على الشر . ونحن إذ ننظر إلى الصور المأخوذة من بوخنوالد ، نرى بلا شك آيات الشر النازي الفظيع ، ولكنا ننظر في الوقت نفسه إلى حفرة جهنم نفسها التي تفغر فاها في نفوس الناس حين يرفضون سلطان القانون الأخلاقي ، وينكرون قداسة

الشخصية الإنسانية ، ويتحولون عن عبادة الله إلى عبادة إرادتهم هم ، ودولاتهم هم ، وشهوة السلطان فى نفوسهم .

إن هذه الآثار لمعرّات النازى تكشف عن الحضيض الذى يمكن أن تهوى إليه الإنسانية، والذى هوت إليه فى هذه السنوات المروعة ، وتبين المصير العظيم الذى قد يدرك المدنيـة كلها ما لم نصرف شياطين كبريائنا وقسوتنا ومذهب القوة والبطش . وهى تثبت أن خلاص الإنسان وتحقيق السلام ، وعلاج أوصاب الامم ، ليست فى النهاية سوى مسألة دينية . وقد يعين الساسة الحدود كما يشاءون ، ولكن إذا واصل الإنسان عبـادة ذاته فإن الحفرة ستظل فاغرة لنا جميعاً .

إن نتن معسكرات الاعتقال ينبغى أن يثقل على ضمير الإنسان حتى يفقده القرار والسكينة ، وإن امتهاننا لقداسـة الحياة ، وعبادتنا على مذبح قوتنا وسطوتنا قد بلغ من أمرها أن احتجنا إلى هـذه الفظائع لتثيرنا ، فندرك المصير الحزن الذى نتعثر إليه جميعاً .

إن بوخنوالد وغيره من معسكرات الاعتقال نذير بالمـآل ، ولكنه ليس مآل النازيين وحدهم ، بل مآل الإنسان ما لم يستطع حمله على عبادة الإله الحىّ .

❋❋❋❋❋

الصبر صبران ، فأعلاهما أن تصبر على ما لا ترجو فيه الغُـنْـم فى العاقبة .
والحلم حلمان ، فأشرفهما حلمك عمن هو دونك .
والصدق صدقان ، فأعظمهما صدقك فيما يضرك .
والوفاء وفاءان ، أسناهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه .

[الجاحظ]

❋❋❋❋

يمكننى أن أرضى الناس كلهم إلا حاسدَ نعمةٍ فإنه لا يرضيه إلا زوالها .
[معاوية بن أبى سفيان]

❋❋❋❋

وقف أعرابى على قوم يعيبون رجـلاً من إخوانه ، فقال لهم : أبطئوا عن عَيْب من لو كان حاضراً لسارعتم إلى مدحه .



ا . أ . ر . واسيلى • مختصرة من مجلة "هاربرز"

إذا اعتبرنا سبعين سنة متوسطاً حسناً جداً للعمر ، فإنه يكون علينا أن نطرح منها ، على مقتضى ما هو جار ، عشرين سنة من الاستعداد لهذا العالم ، وثلاثين سنة أخرى على الأقل لما نسميه « كسب الرزق » وهو من الغرابة بمكان . ونحن نفعل ما نستطيع فى أوقات الفراغ لنحيا ، ولكن المسعى بطبيعة الحال لا ينجح ، واليوم الذى نتهيأ فيه جادّين للشروع فى أن نحيا إما أنْ لا يجىء أبداً ، وإما أنْ يجىء بعد الأوان .

وقد شرع علم الطب يمد الحياة النشيطة إلى ما كان من قبل الشيخوخة ويبعثها فيها ، غير أننا لم نرتق كثيراً عن اعتقاد آبائنا أن من الضرورى أن نبدد العشرين سنة الأولى فى عالم مصطنع ، استعداداً لحياة مصطنعة . أفلا يمكن أن تمتد الحياة الفعلية إلى المبدّد من أعوام الطفولة ؟

إن أكبر شاهد يعزز نظريتى هو نفسى . ذلك أنى لما كنت بنتاً فى الثامنة من عمرى أعطانى أبى درّاجة ولما تعلمت ركوبها — بين مركبات النقل التى تجرها الخيل فى شارع ريجنت — وضع مالاً فى كيسى وأمرنى أن أذهب وأدير عينى فى النواحى المحيطة بالمدينة . وكنت أقرأ بسهولة وأكتب إلى حد ما ، غير أنى كنت غير متعلمة . على أنه ، من جهة أخرى ، لم تكن هناك بلدة أو قرية على مسافة خمسين ميلا من لندن لا أعرفها كما أعرف الشارع الذى فيه مسكنى . وما أقل الفنادق التى لم أنزل فيها .

وفى الحادية عشرة من عمرى خرجت بدراجتى وحزمة فيها أشيائى ، ودعوات أبى تعززها ورقة ذات خمسة جنيهات ، فوصلت بطرق ملتوية إلى فندق « يونيفرستى أرمز — بكمبردج » وطلبت غرفة وأمرت بإعداد عشائى بهدوء الرحالة المجرب — وقد كنتُه . وأتذكر أنى لبثت هناك أسبوعاً قضيت فيه أيامى أرتاد الأرض ، ولياليّ فى المسرح المحلى وفى شهود ألعاب فرقة متنقلة . وقد تعرفت بكثيرين فى تطوافى

هذا ، وكانوا فى الأكثر من صبيان الطبقة الدنيا . وكان من مفاخرى الخاصة أن أسابق أقوى راكبي الدراجات وأسبقه على أوعر التلال ، وكان ذلك كثيراً ما ينتهى بالمبادءة الودية نتقاسم الجبن والخبز فى أقرب مطعم . أما الناس فإن شر أفّاق منهم ما كان يعاملنى إلا بأكرم معاملة .

ولما بلغت الثانية عشرة أقبل أبى الذى كان من الجلى أنه يعتقد أنه قد آن لى أن أنشر جناحى ، وأعطانى مائة جنيه وتذكرة ذهاب وإياب إلى النرويج . وقد ظلت معى إلى عهد قريب مذكراتى عن هذه المغامرة وكان الهجاء فظيعاً ، ولكن الملاحظات كانت قوية نابضة ، والعبارة عنها تمتاز بالبساطة والقوة ، وهى مزية سلبنيها التعلم فيما بعد مع الأسف . وقد رأيت أن أنزل فى تروندهايم ، وكنت على عادتى قد صادقت زملائى المسافرين ، ومن بينهم على الخصوص شاب خدعه نضجى المبكر ، وشجعه أنه ليس معى من يحمينى ، فاحتجت أن أصده صداً قوياً . غير أن معرفتى بالحياة آتتنى قدرة على السيطرة التامة الهادئة على الموقف ، فكانت النتيجة أن صار مرءباً وزميلا بديعاً ، بل لقد بلغ من تأثرى بتوقيره لى ، أنى خرجت من الفندق فى منتصف الليل لأودعه هو وبعض البحارة والركاب ، ثم ضللت طريقى إلى الفندق . ولما كنت قد نسيت اسم الفندق فقد قضيت الليل أرتاد أرصفة الميناء وشوارع تروندهايم حتى كان الفجر فاهتديت عفواً إلى فندقى . وهذه هى المرة الوحيدة التى أتذكر أنى شعرت فيها ببعض الارتباك .

وكنت فى الفترات بين رحلاتى أقرأ وأكتب ، وقد أخرجت عدة صحف وكتبت ما لا يحصى من الأقاصيص ، وقرأت كل ما استطعت أن أضع يدى عليه — شاكسبير ، ووليم تاكرى ، وتشارلز دكنز ، وجورج ميريديث ، وجورج دى موريير ، وأوسكار وايلد ، ودانتى وكل مهازل تلك الأيام . والتهمت الحلوى الرخيصة ، ورواية « التوأمين السماويين » — وهكذا عرفت « أجنحة الخطيئة » وأكثرت من الاختلاف إلى المتحف البريطانى ، وألفت كتاباً (لم ينشر) على البطالسة ، وزرت المسارح ، وكنت أعود عند منتصف الليل وأفتح الباب بمفتاحى الخاص . وشهدت تمثيل إلين تيرى ، والسير هنرى أرفنج ، وبيريه كونستان كوكلان ، وساره برنار ، فى أوج مجدهم . وعرفت من قضية دريفوس أن فى المراكز السامية ظلماً وفساداً ، وصرت أدافع بحماسة عن هذا الرجل المنكود الحظ .

ثم أرسلت إلى المدرسة ، وأضعت سنوات عديدة فى تحصيل ما يسمى العلم الذى ما لبثت أن نسيته كمعظم المتعلمين ، غير أنها كانت تجربة نافعة ، فقد أرتنى أن فى الدنيا ناساً فيهم شذوذ ، وعلمتنى أنه ينبغى أن أعد نفسى لاحتمالهم ، وأنى أنا أيضاً فى نظرهم لا أخلو من شذوذ . وكان ذكاء زملائى التلاميذ يبدو لى صبيانيا . وقد يعرفون اسم كل نهر فى إنجلترا ، ولكنهم لا يستطيعون أن يعبروا الشارع دون أن يأخذ بيدهم تابع . وقد يستطيعون أن يجمعوا ويطرحوا ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن قيمة المال ، وما وقفوا قط خارج مطعم تحت المطر وفى جيوبهم ستة بنسات ، مترددين بين البيض المقلى والسندوتش بلحم الخنزير وأيهما أوفر غذاءاً ، وما كانوا يدرون شيئاً عن الجنس ، أو الإفلاس ، أو الجريمة ، أو السياسة ، أو الفقر ، أو شيئاً حيوياً ، أو حقيقياً عن الفنون أو الأدب .

وبعد هذه الفترة استأنفت حياتى الخاصة فعملت وكتبت ، وضربت خيمتى فى بلجيكا وألمانيا ، ورحلت إلى حيث تيسر لى الرحيل بما أكسب من مال . ولما بلغت العشرين ، كنت أكسب رزقى بكدى ، وكنت مكتفية بنفسى ومستغنية إلا عن صداقة الخلائق من أمثالى ، وكنت قد ظللت أواجه مسائل الحياة عشر سنوات على الأقل ، فلم يكن من السهل أن يروعنى شىء أو يفقدنى اتزانى . ولطول معرفتى بالحقائق الجنسية التى عرضت على وأنا بمعزل عنها ، تسنى لى أن أتلقاها فى سكينة على أنها أمر طبيعى ، وأفادنى ذلك أن اجتزت دور المراهقة فى سلام . وعرفت قيمة المال وقلة أهميته ، وكنت أستطيع أن أرحل إلى تمبكتو بلا اضطراب ، وكنت قد أشبعت رغبتى فى الحلوى الرخيصة وبدأت أتخير وأنتقى ، وارتكبت الأغلاط التى يغرى بها مزاجى ، ولكنى نجوت من التفكير المعاد الذى يقوم على المحاكاة والتقليد ، واجتزت فى عشرين سنة من الحياة ما يجتازه كثيرون من معاصرى فى أربعين عاماً .

ومن العسير تقدير المزايا التى استفدتها من هذه الأيام المبكرة ، ولكنى أشعر أنى على الأقل كنت أحيا مذ كنت فى السابعة من عمرى ، وأزعم لنفسى أنى حين يوافينى الأجل وأنتقل إلى عالم آخر ، سأستطيع أن أرسم لزملائى فى هذه الرحلة صورة صادقة للعالم الذى جئت منه .

إن النضج حالة نسبية ، وقد اضطررت أن أكون ناضجة وأنا بنت عشر ، وكنت من حيث العقل والإدراك ناضجة كأى إنسان متوسط إذا أتيحت له فرصة النضج . وإن

ابتداء الحياة الحقيقة فى الخامسة عشرة أو العشرين لمتأخر ، لأنه غير مناسب لمتوسط طول الحياة . وقد يقال إن الأطفال الذين يربون كتربيتى يتعرضون لأخطار جسيمة ، غير أن هذا رهن بالعادات فى الأكثر . ولو أن كل الذين هم فى العاشرة عوملوا معاملة البالغين ، لما استهدفوا لأكثر من الخطر الذى يستهدفون له الآن فى الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة أو أى سن أخرى يعدون فيها بالغين راشدين . على أنه حتى فى الأحوال السائدة الآن لا تتجاوز الأخطار القدر الطبيعى ، وقد يحدث شئ ولكنه قد يحدث فى أى حال ، ولا بد أن يحدث يوماً ما ، فإن العالم مكان خطر وإن كان فاتنا ، والتماس السلامة والعافية دائماً سخيف كالتهرب من البرق فى عاصفة .

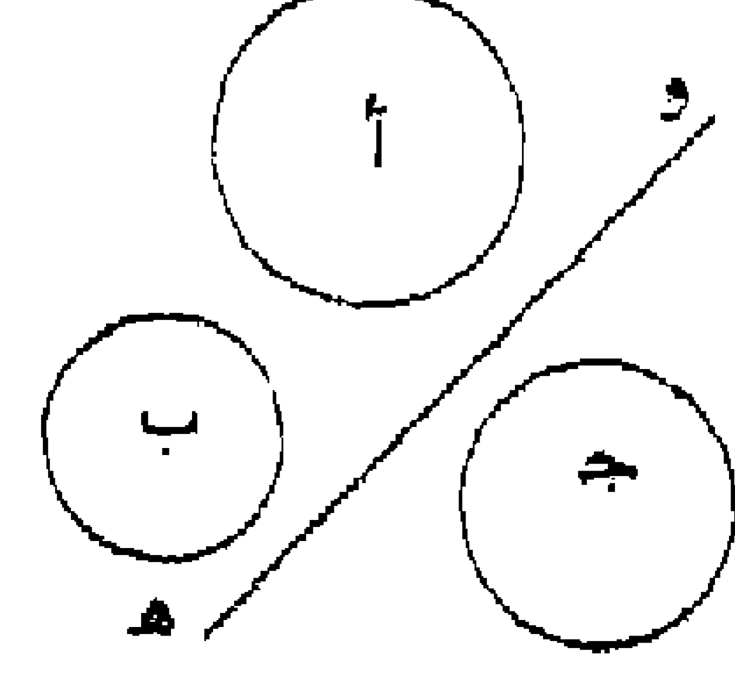
ليس لنا فى الواقع إلا هم واحد فى الحياة وذلك أن نحيا — نحيا معرضين للخطر لأنه لا مفر من ذلك ، ولكننا نحيا على كل حال طول الوقت الذى يسمح لنا به القدر .

◆◆◆

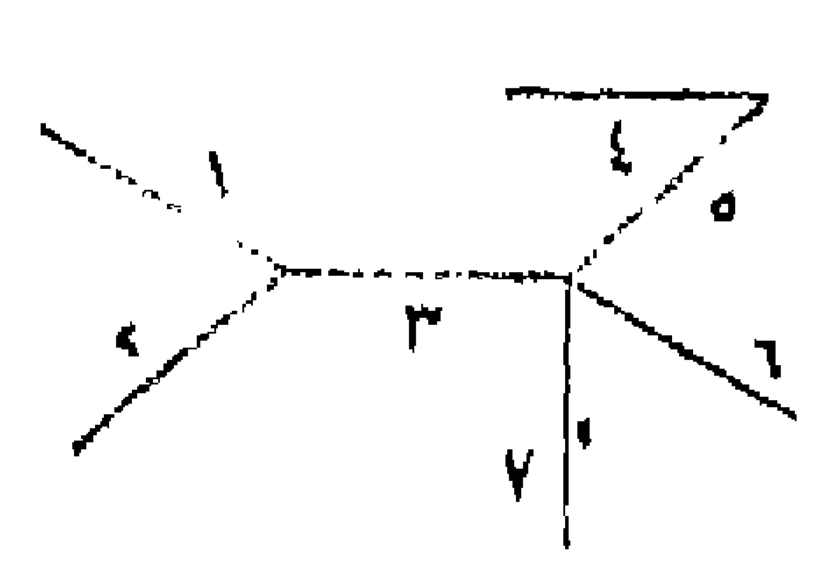
امتحن نظرك ... مختصرة من "ذى أمريكان مجازين"

رونالد اريخ

هذه مجموعة من الرسوم الهندسية ، تمتحن بها قدرتك فى الحكم على المسافات وأحجام الأشياء وأشكالها بالنظر المجرد . دوّن إجابتك دون أن تعتمد على القياس ، ثم قابل بين إجابتك والاجابة الصحيحة المدونة فى صفحة [١٠٠]



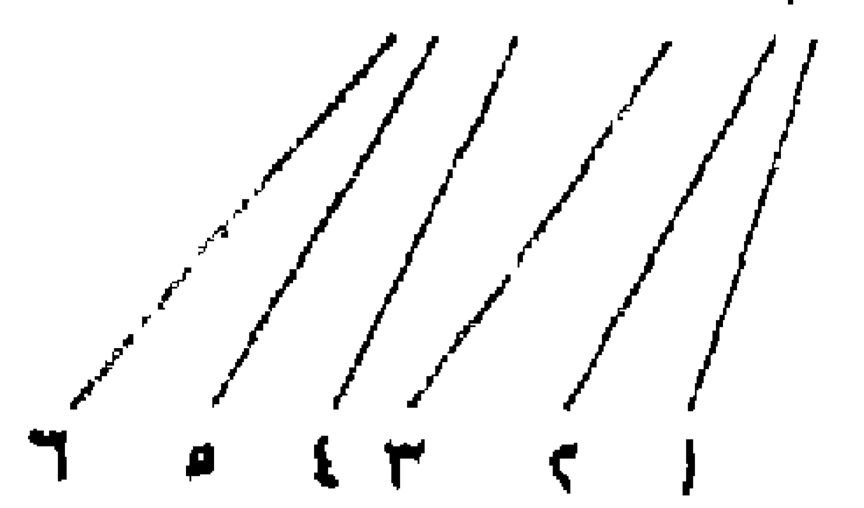
١ — إن محيط إحدى هذه الدوائر الثلاث يمس الخط هـ و . فأى الدوائر هى ؟



٢ — هل الخطوط السبعة فى هذا الرسم متساوية فى الطول ، أم هل بعضها أطول من بعض ؟



٣ — إذا أتممت رسم الدائرة التى ترى قوسها مرقوماً ج ، فهل تمر فى النقطة ١ أو ٢ أو ٣ أو ٤ ؟



٤ — بين الخطوط الستة خطان متوازيان ، فأى خطين هما الخطان المتوازيان ؟

كتاب مفتوح إلى

الروس

ستانلي هاي

تظفر نفوس أهل هذه الدنيا بحريتها حتى يفارقها ذلك الخوف المظلم من أن تجتاحهم حرب مدمرة أخرى بعد خمس سنوات ، أو عشر ، أو خمس وعشرين سنة منذ اليوم .

وذلك لأن غايتنا من النصر هو أن ترفع الأغلال عن النفس الإنسانية في كل بلد لتعود حرة تعمل في الإبداع والتجديد . فإن هذه النفس الحرة هي التي أخرجت الإنسان من الغابات والأدغال ، وهي التي جعلت الحياة الصالحة أقرب إلى الناس منالا . وأخطر شأناً من ذلك أنها هي التي جعلتنا نؤمن بأننا ، نحن وأبناؤنا وبناتنا وعشيرتنا ، نستطيع أن نمهد لأنفسنا مصيراً خيراً من غواشي الدمار ، والنهب والسلب ، والميتة الشنيعة .

فكل أمل نرجوه في المستقبل رهن بتحرير النفس التي يسرت لنا هذا كله ، ومقدرتها الكامنة على الإبداع والتجديد . ومستقبل العالم رهن بما تراه وما تختاره الدول الثلاث ، اتحاد السوفيت والولايات المتحدة وبريطانيا ، فإما أن تختار سبيل الاتفاق والتفاهم أو سبيل الريب والضغائن .

ولقد خضنا غمار الحرب وأحرزنا النصر معاً لنتيح هذه الفرصة ، ولا غاية لنا من النصر أهم من هذه . والذين في يدهم مقاليد السلطان ، وفي وسعهم أن يتبينوا ذلك ويعملوا على هديه ، رعاية لأقوى حاجات البشرية وأعز مطالبها ، لن يعدهم الناس ساسة وحسب ، بل محررين ، وقليلٌ ما هم .

وأساس الاتفاق والتفاهم بين بريطانيا العظمى والولايات المتحدة واسع وعميق ، وهذه حقيقة يمكن أن تتخذ أساساً صالحاً ، وهي حرز حريز للحاضر والمستقبل ، ونحن في الولايات المتحدة نرمي إلى تقويته من أجل سلامتنا ونجاحنا .

ولكن من البين المفهوم في أمريكا ، كما ينبغي أن يكون في روسيا ، أنه إذا كانت غاية هذه الحرب هي السلم — لا هدنة أخرى — فإنه لا مناص من توحيد أغراض الحلفاء الثلاثة ، ولو نظرت كل أمة تبتغي بذلك مصلحتها وحدها ، لما وجدت سياسة أسلم من هذه وأصح .

لا غنى لنا جميعاً عنه

لا شيء ألزم لرخاء الشعوب وتقدمها من سلام طويل الأمد . وكل أمة تمنى أهلها بنفس هذا الوعد ، وهو أن ترفع مستوى معيشتهم وأسلوب حياتهم . ولا يمكن تحقيق هذا الوعد إلا فى ظلال السلم.

ولعل روسيا هى أشدنا حاجة إلى سلم طويل، فطريقها أطول شقة، وصناعتها أقل تقدماً ، وما خسرته فى الحرب أكثر عدداً.

وقد أحرق الغزاة الألمان فى احتلالهم وارتدادهم ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ فدان من أجود الأرض المزروعة فى روسيا ، وقد خرب ما بين ٥٠ فى المئة و ٩٥ فى المئة من المدن الروسية ، كما خرب بعض التخريب أو كله معظم المصانع التى كانت تنتج ٦١ فى المئة من الحديد ، و ٥٩ فى المئة من سبائك الحديد ، و ٥٠ فى المئة من الصلب ، و ٧٧ فى المئة من الأليمونيوم ، و ٦٠ فى المئة من الفحم ، وكل مصانع الزئبق ، وجزء كبير من منتجات الحديد والفولاذ .

وأكثر مصانع روسيا التى لا تزال تعمل فى حاجة ماسة إلى الإصلاح والتغيير ، وقد حُمّلت الآلات أكثر من طاقتها خلال سنوات ، وأصبح كثير منها لا خير فيه . وقد كتب إدجار سنو فى جريدة «ستردای إيفننج بوست» يقول : « إن المبانى العامة فى حالة سيئة ، وقد بطل بناء المنازل إلا ما تطلبه مجهود الحرب منذ يوليو ١٩٤١ ، ولقد بليت ملابس الناس أو أخلقت ، ولا يصنع فيها سوى الملابس الحربية، وآلاف الناس يسيرون بأحذية حشوها الورق » .

ولقد قال مولوتوف فى سان فرانسسكو : « نحن نعتقد أننا نستطيع أن نحيل ذلك الخراب عماراً ، وأن نبنى خيراً مما كنا بنينا ، ولكنه عملٌ هائل » .

وقادة روسيا يعلمون ولا بدّ كيف يصير عبئهم الثقيل أخفّ ، وكيف يصير عملهم الضخم فى إعادة الإنشاء أسرع ، لوهم اتفقوا مع الولايات المتحدة وبريطانيا لكى تعيناها على عملها العظيم بإنتاجهما الوافر .

وليس ذلك من نسج الخيال ، فقد اتفقت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى واتحاد السوفيت من قبلُ اتفاقاً لمصلحتهم المشتركة فى الإنتاج ، وتعاونوا وعملوا معاً . وهذا الاتفاق والعمل يداً واحدة ، هو الذى أقام أساس الصناعة السوفيتية قبل الحرب ، وأتاح للولايات المتحدة كثيراً من الأعمال التى تدرّ الربح .

تعاون أمريكا وروسيا

لقد قام المهندسون الأمريكيون ببناء سدّ دنيبروستروى بدعوة من روسيا ، وقد اشتريت الآلات من وستنجهاوس بالذهب

الروسى الذى دفع فوراً ، وكانت التصميمات الأمريكية هى الأساس الذى قام عليه تجديد مناجم الفحم فى حوض الدونتز على الأساليب الحديثة . ولما كان الروس سراعا إلى إدراك قيمة الأشياء النافعة ، فقد عمّموا الأساليب الأمريكية فى التعدين فى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى .

فالآلات والمناقب ومعامل التكرير ومصانع البنزين فى القوقاز ، كلها قد جلبت من أمريكا ودفع ثمنها نقداً . وبفضل هذه الطريقة فى الدفع أصبحت الجرارات السوفيتية جميعها من طراز (كاتربيلار) و (هارفستر) ، وأحسن قاطراتها من طراز بلدوين ، وأصبحت معامل طرق المعادن والمكابس فى مصانع الفولاذ أمريكية أيضاً .

والولايات المتحدة واتحاد السوفيت كلاهما لاغنى عنهما لبقاء السلم، وكلاهما لا غنى له عن السلم، ولو أحسنا تقدير ما تتطلبه مصلحتهما لوجدا أنْ لا غنى لأحدهما عن الآخر .

ثم إن الأمريكيين يريدون الاستزادة من الأعمال والأرباح التى تنشأ من ذلك الاتفاق المنتج ، والتقارير تدل على أن شعب الاتحاد السوفيتى يريد الاستزادة من أصناف السلع التى تنتجها أمريكا .

وقد كتب إدجار سنو يقول : « يعجب الروسيون بالمنتجات الأمريكية من كل نوع ، ويتمنون يوماً يستطيعون فيه شراءها . أو شراء أصناف تصنع فى روسيا وتماثلها جودةً . ولو أعطيت الروسى مجلة أمريكية مصقولة الورق ، فسرعان ما تستغرق نظره الإعلانات التى فيها صور السلع المعروضة للبيع .

ويروى لنا لارى ليسير فى كتابه « اثنا عشر شهراً غيرت وجه العالم » حديثاً دار فى موسكو بينه وبين رئيس لجنة عينتها الحكومة لوضع خطط لإعادة بناء المدن الروسية بعد الحرب .

قال الروسىّ : « إليك ما تصنعونه فى أمريكا ، فأنتم تبنون المدن النموذجية على أحد جانبى الطريق على هيئة نصف دائرة ، ويتفرع من الطريق الأعظم طريق صغير على هيئة نصف دائرة يمرّ بقلب المدينة ، ويتصل بالطريق الأعظم عند الطرف الآخر ، وسنصنع كما صنعتم أيضاً .

« ولقد رأيت بعض مساكنكم الجديدة فى أمريكا ، وسنعمل على أن تكون مساكننا مثلها . وما أحسن تلك المطابخ ! وكم توفر من جهدٍ ! وتلك الحمامات الجميلة ! سيكون لنا مثلها فى مدننا الجديدة » .

وعلى أن عامة الناس فى روسيا يحرصون على بلوغ هذا المستوى العالى فى المعيشة ، فإن نظام الحكم فى البلدين يختلف اختلافاً

كبيراً . وإننا ولا ريب نفخر بأسلوبنا فى الحياة ، وطبيعى أن نشعر بأننا أحرار فى نقد الأسلوب الروسى ، كما أنهم أحرار فى نقد أسلوبنا .

ولكن الأمتين متشابهتان فى أشياء كثيرة ، فهما من الناحية الاقتصادية أكثر الدول الكبرى اكتفاء بما عندها ، وكلتاهما يقتضى تقدمها الاقتصادى توسعاً إقليمياً ، وموقعهما الجغرافى يكفل لهما السلامة . وقد أدرك ذلك جورج الثالث فيما يتعلق بأمريكا ، كما أدركه نابليون وهتلر فيما يخص روسيا .

وكلتاهما دولة شابة طموح جمة النشاط وثابة الخيال ، وكلتاهما تُزهى بما يصنع ، ولعل مردّ ذلك إلى أن الأمتين وصلتا إلى السيادة متأخرتين . وتذكرنا الأحاديث الأخيرة فى الجرائد السوفيتية عن أن الجيش الأحمر هو الذى حاز النصر وحده ، بميل الأمريكيين إلى أن يدلّوا بأعمالهم ، كأنما هم الذين حازوا وحدهم النصر فى الحرب العالمية الأولى .

جملة الصفات المشتركة

أما الخصائص العامة المشتركة بين الشعبين فهى التى تفسر لنا سر المودة بين الروسى والأمريكى إذا ما ضمّهما مكان .

وقد كتب لارى ليسير يقول : « من العسير أن لا تحب الشعب الروسى ، فالروسى سريع التأثر ، قريب المرح ، لطيف المعشر . وجميع الأجانب يسلمون بأن الروسيين يظهرون إيثارهم للأمريكيين ، لأنهم مثلهم فى رقة الإحساس والبعد عن التكلف ، ولرغبتهم الصادقة فى معاملتهم معاملة الأكفاء » .

وقد لقى أدمند ستيفنز ، فى إحدى قواعد قاذفات القنابل الأمريكية فى السهوب الروسية ، خمسة أصدقاء لا يفترقون هم : جو من نيويورك ، وشورتى من شيكاغو ، ونيوكولاى وكوستيا وميشا من لننجراد وموسكو ورستوف . ويقول ستيفنز فى مقال له بمجلة سترداى إيفننج پوست : « كان الأمريكيان يلقنان أصدقاءهم الروسيين أسرار مضغ اللبان ، ويحاولان أن يعلموهم أنه لا ينبغى أن يبلع » .

وهذا الضرب من الصداقات مثال لما يكون فى قواعد كثيرة فى إيران وروسيا وغيرهما ، حيث تتيسر لجنود الأمتين فرصة التعارف والإخاء .

ويروى كورى فورد والمستر ماكبين فى مجلة « كوليير » ، عن ليلة قضياها فى نادى الضباط بفيربانكس قالا : « جلس إلى البيانو ربان أحد الزوارق الأمريكية وأخذ يضرب بعض الأنغام ، على حين كانت جماعة من الطيارين الروس يغنون إحدى أغنياتهم ، وكان الأمريكى يتابع الغناء بأذنه

ويحكم اللحن شيئاً فشيئا ، ثم يوقعه توقيع الواثق ، وقدجعل الروسيون والأمريكيون يدنو بعضهم من بعض .

«وحاولوا بعدذلك أن يغنوا أغنية روسية يعرفها الطيارون الأمريكيون ، وأحضر شاب روسى زوجاً من الأحذية الفاخرة المصنوعة من جلد الكلاب البيض ، فيخلع أحد الطيارين الأمريكيين نعليه ، ثم يحاول عبثاً أن يلبسهما ، ثم يشير إلى قدميه آسفاً يقول : « لا ، إنهما كبيرتان » فيبتسمون ويتبادلون أكياساً من الورق فيها تفاح أو عنب ، ويجلس بعضهم إلى بعض يتدرب على الحديث بلغة صاحبه ، ويضحك من أخطائه .

« وقد يكون هذا منظراً قلما ترى مثله، فتشعر أن الأمتين لا يمكن أن يتباعد ما بينهما بعد اليوم » .

والاتحاد الذى يضم ١٦ جمهورية سوفيتية مستقلة ، هو كاتحاد الولايات الأمريكية ، بوتقة تصهر ما فيها . فروسيا ليست أمة من جنس واحد ، بل هى مكونة ١٧٥ جنساً ، يتكلمون ١٥٠ لغة مختلفة . وهذا الاختلاف فى الأجناس واللغات أحدث فى روسيا ، كما أحدث فى أمريكا ، نوعاً سامياً من الوطنية والاتحاد القومى ، لا من التفكك والفوضى . وكلتا الدولتين اتحاد ، وذلك للطريقة المتبعة فى كلتيهما ، التى تصون حقوق الأقليات وتتيح لها الفرص .

ومثل ذلك فى خطر الشأن أو يفوقه ، أن الولايات المتحدة قد آزرت روسيا ، وأن روسيا قد آزرت الولايات المتحدة فى أيام المحن العامة ، على رغم الخلاف الشديد بينهما فى الآراء منذ أول تاريخهما .

التعاون فى الأزمات

كتب ولتر ليبمان فى كتابه « السياسة الخارجية للولايات المتحدة » يقول : « إن قصة العلاقات بين روسيا وأمريكا برهان رائع يبين أن مذهب الدولة لا قيمة له فى تحديد السياسة العامة ، ويبين كيف تسيطر المصلحة القومية على كل شىء » .

وهو يقول إن الأمريكيين لم يحبوا الحكومات الروسية قط . وقد ردت روسيا التحية بكراهتها لحكومات أمريكا: « وإذا استثنينا الأشهر القليلة بين سقوط القيصرية فى مارس ١٩١٧ والثورة البلشفية فى نوفمبر ١٩١٧ ، فإن المذاهب السياسية للأمتين كانت دائماً على طرفى نقيض ، وعلى رغم ذلك فإن روسيا والولايات المتحدة قد تعاونتا فى أزمان المحن التى مرت بهما وفقاً لمصلحتهما » .

وعلى رغم خوف القيصرية من أفكار الثورة الأمريكية ، فقد ترى أن روسيا بحيادها المسلح قد آزرت المستعمرات . ومع

أن روسيا ظلت واقفة موقف العداء من الديمقراطية الأمريكية ، فقد أعلنت حكومة القيصر فى إبان الحرب الأمريكية الأهلية أن المحافظة على الاتحاد الأمريكى أمر جوهرى لروسيا . وقد ساعد هـذا وما تلاه من إرسال القوة الروسية البحرية إلى نيويورك وسان فرنسسكو ، على منع بريطانيا وفرنسا من الاعتراف بولايات الجنوب الثائرة .

وفى الحرب العالمية الأولى كان فى قلوب أهل الولايات المتحدة مقت شـديد لنظام الحكم القيصرى فى روسيا ، ثم جاء بعـد ذلك خوفهم وقلة ثقتهم بالبلاشفة . ولـكن بالرغم من أن روسيا لم تمثل فى إمضاء الهدنة ولا فى مفاوضات معاهـدة فرساى ، فإن الوثيقتين قد اشتملتا على نصوص ترمى إلى حماية مصالح روسيا ووحدتها وذلك بفضل إصرار الأمريكيين . والسبب المهم الذى دعا إلى إرسال القوات الأمريكية إلى سيبيريا الشرقية فى سنة ١٩١٨ ، هو الرغبـة فى أخذ المسالك على مطامع اليابانيين فى روسيا . ولما سحبت القوات الأمريـكية أصرت الولايات المتحدة على أن تنسحب اليابان أيضاً .

ويقول المستر ليمان : « لقد دلت التجارب على أن روســيا والولايات المتحدة تختلفان اختلافاً شديداً فى المذهب السياسى ، وعلى أنهما تخشيان عاقبة كل اتصال وثيق يكون بينهما ، ومع ذلك فقد ظلت كل واحدة منهما تناهض أيـّة محاولة ترمى إلى تقطيع أوصال الأخرى ، وكل واحدة منهما تود أن تـكون الأخرى قوية الجانب ، ولم يحدث بينهما قط نزاع يجعلهما عدوين .

خير فرصة للتعاون

يجب على روســيا والولايات المتحدة أن تشد كلتاهما أزر الأخرى ، وأن تتعاونا على مصلحتها المشتركة ، وخاصة فى هذه الساعة الحرجة ، وذلك لأسباب كثيرة تتطلبهـا مصالحهما العاجلة والآجلة .

وإذا كانت الحـكومة السوفيتية تجهل مدى ما تضمره لهـا الولايات المتحدة من المودة وما ترجوه لها من الخير ، فمرد ذلك ولا شك إلى الأنباء المحرفة التى تبلغها . وسوء ظن روســيا فى الولايات المتحدة لا يقوم على أساس صحيح ، أما الشعب الأمريكى فيحيط بأخبار روسيا بكل وسيلة من الوسائل الحديثة ــ كالصحف والمجلات والـكتب والمحاضرات والراديو والسينما ، ويتلقاها بالحفاوة والاهتمام .

فلو أن روســيا خففت من غلوائها فى كتمان ما يمس الولايات المتحدة ، لـكان ذلك أحب إلى الشعب الأمريكى . وليس هناك سوى سياستين روسيتين هما مصـدر خطر لا يستهان به يهدد حسن الصلة بين

الأمتين : الأولى أن روسيا التي بلغت من القوة مبلغاً لم تدرك مثله قط — إذا هي اتبعت سياسة التوسع الإقليمي ، فلا مناص من وقوع التصادم بينها وبين أمريكا وبريطانيا العظمى . أما السياسة الأخرى فهي أن روسيا إذا أخذها الزهو بما حازت من النصر الذي لا مثيل له ، وتولت إغراء العالم باعتناق المبادىء الشيوعية الثورية ، فلا محيص للولايات المتحدة وبريطانيا من مناهضتها .

ومن العسير أن تصدق إمكان وقوع أحد هذين الخطرين المخوفين ، ولو كان ذلك لفقدت روسيا كثيراً مما تحتاج إليه ومما يطمح إليه الشعب الروسي ، وقد تضيع بذلك الفرصة المتاحة لها حتى تنجز ما تريده من تعمير بلادها ، ومواصلة توجيه الشعب الروسي إلى ما فيه خيره اقتصادياً وثقافياً .

ومن أخوف ما يخاف ضياع الفرصة الفريدة المتاحة للولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي ولجميع الأمم التي تنشد الخير — ألا وهي إزالة المخاوف التي تغشى المستقبل ، وتحرير البشر حتى ينالوا الحظ الأوفى من رغد العيش — وإنه لقريب المنال .

حب مقيم

وقفنا متلاصقين في مصعد الفندق ، أما هو فكان يبدو كريم النشأة ، وقد وخط الشيب فوديه ، وأما هي فكانت شقراء مليحة ، وكان هو يرنو إليها مبتسماً فيتألق في عينيها بريق يأخذ بمجامع النفس ولا تنساه ، فلما وقف المصعد عند الطابق الذي فيه شقتهما التفت إليهما عامل المصعد ، وكان يراقبهما ، وقال : «أتزوجتما لساعتكما» ؟

فقال الرجل : « نعم » . فلما بلغ بابه التفت إلى العامل . وقال : « منذ ست عشرة سنة » .

الرطب اليابس

نفخ الجاويش في صفارته وأمر بتنظيف المكان التي كنا فيه وقال : « افتحوا أعينكم ، والتقطوا من الأرض كل شيء لا ينمو ! » ولم نكد نشرع في العمل حتى خطرت على الأرض المعشبة غادة جميلة شقراء في ميعة الصبا ، فهرع نحوها اثنان منا ، وعندئذ نفخ الجاويش في صفارته وصاح : « لا يا رجال ، إن هذه آخذة في النماء » .

[عن أميريكان مجازين]

لا محيص لكتاب القصص الغامضة عن أن ينتهوا بقصصهم الى حل يقبله العقل ، غير أن الحياة لا تعبأ بمثل ذلك .

نهايات غريبة

من صميم الحياة

انتونى أبوت • مختصرة من مجلة "ستيرو"

قال شرلوك هولمز : « إن صروف الحياة أغرب غرابة لا حد لها من كل شيء في وسع العقل أن يبتكره ، فلو كان في طاقتنا أن نحلق فوق هذه المدنية العظيمة ثم نطلع فنرى ما يدور فيها من الأمور الشاذة ، والمصادفات الغريبة ، والمقاصد المتعارضة ، لصرنا نرى أن كل ما يصوره الخيال مبتذل تافه » .

إنه يعنى مدينة لندن ولا ريب ، غير أنك لا تكاد تجد في الدنيا مدينة أو بلدة تخلو من حوادث لا يفيد منها العقل ، تقع فيها سرًّا أو علانية .

كان في مدينة لوس أنجلس سيدة تدعى والبورجا أوستريش ، ولم يكن زوجها المليونير يعلم أن دولى — كما كان يسميها — قد اتخذت عاشقاً شابًّا يختفى في عِلّيتهم (أعلى غرفة في الدار) وظل أوتو سانهوبر ، الأشقر الرقيق الحاشية الذى كان يصلح آلات الخياطة ، عشر سنوات يعيش تحت سقف الدار ، ولا يجرؤ على الخروج إلا ليلاً يلتمس الرياضة والهواء الطلق .

وقد دُبّر هذا التدبير الشنيع بعد أن اكتشف الزوج أن زوجته مفتونة بحب أوتو . فأقسم لها أنهما لو تقابلا مرة أخرى لقتلهما ، فتظاهرت بالتوبة ثم أخفت أوتو في عليتهم ، حيث عاش في الظلام كالخفاش .

ثم أصيب الزوج ذات ليلة في عقر داره برصاصة أردته قتيلا ، فألقيت دولى لساعتها في السجن ، وقال وكيل النيابة إن أدلة إدانتها غير وافية ، فأفرج عنها من فوره ، وظلت القضية ثمانية أعوام لغزاً لا يحل .

وفي فبراير سنة ١٩٣٠ كتب هرمان شابيرو محامى دولى إلى الشرطة يطلب حمايته ، لأن حياته أصبحت في خطر ، فهو الذى أماط اللثام عن شبح العلية ، وقد أرشدته دولى نفسها وقالت له : « اذهب إلى غرفة ثيابى وانقر على الجدران بأظافرك ، يخرج إليك أوتو » .

واقتيد أوتو سانهوبر إلى دار الشرطة ، واعترف بأنه كان يدافع عن نفسه ، واتهمه أحد المحلفين بالقتل الخطأ ، غير أن المحكمة

العليا أخلت سبيله لنقص فى أركان الاتهام ، وكذلك برئت دولى أيضاً .

وإليك مثلا آخر من مآسى الحياة التى يستعصى حلها وهو سرقة قطار فى روندآوت فى ١٣ يونيه ١٩٢٤ . كان القطار رقم ٥٧ يشق طريقه تحت ليل تضىء كواكبه، حين وجد الوقاد على عنقه مسّ البندقية ، وأحس الميكانيكى فى ظهره مس المسدس .

« شدّ الفرامل وأضئ النور الأمامى ثلاثاً »

نفذت أوامر اللصوص ، وأخذ القطار يبطئ للوقوف ، ثم خرج من سيارة كانت منتظرة أربعة رجال على وجوههم أقنعة الوقاية من الغازات ، ويمموا شطر عربة البريد حيث كان ١٨ موظفاً يفرزون البريد المسجل . وانطلقت رصاصة أحد اللصوص فهشمت النافذة العليا ، وألقيت قنبلة غاز من النافذة المحطمة ، فتواثب الموظفون يفرون من العربة مختنقين يلهثون ، وألقى اللصوص فى السيارة ٦٤٨ حقيبة فيها نقود . وطاروا بسلبهم — ٣,٠٠٠,٠٠٠ ريال .

واجتمعت طائفة من أهل الرأى من رجال المباحث ليكشفوا سر هذه الجريمة المحكمة ، وعلى رأسها وليم فاهى أدهى رجال المباحث الجنائية ، وقد توسلوا بكل الوسائل التى يقرّها القانون فى تحقيق هذه القضية .

مَن من كتاب القصة يسعه أن يضع لهذا اللغز حلا كما فعل رجال المباحث فى هذا الأمر الواقع ؟ فى تلك الليلة تلقى أحدهم إشارة تليفونية من أحد سفلة المجرمين ، فلما وضع السماعة غلبه الذهول .

ماذا يصنع ؟ لقد كان خبراً لا يصدقه العقل ، ولكنه صمم على تقصّيه كما ينبغى لمثله ، وخاطر بمستقبله فى عمله بتصميمه هذا ، وأخيراً جاء بامرأة من سفلة المجرمين إلى مكتب رئيس تفتيش البريد ، ولما أخذ يستمع إلى المرأة جعلت تروى له قصة قفّ لها شعر رأسه .

فقد ألقى زوجها فى السجن متهماً بسرقة حقائب بريد ، وهى تهمة أقسمت أنه برئ منها . ثم غازلت المخبر الذى قبض عليه ، وهو الآن متعلق بها ، فكان ذلك أوج انتقامها ، لأنها استخلصت منه أنه كان رئيس العصابة التى سرقت قطار روندآوت .

فصاح رئيس البريد : « ما اسمه ؟ » .

« مفتش البريد وليم فاهى ! » .

كان الخبر صحيحاً ، فإن كبير رجال المباحث كان هو الذى دبر سرقة القطار ، فحكم عليه بالسجن مدة طويلة .

لقد صدق شرلوك هولمز ، فإن للحياة شهوة لا تنى تلتمس جاهدةً ما هو غريب ومحال لا يصدقه العقل .



أرلين بريتون بوشيه و جون ليو تيهان
مختصرة من مجلة " ذى ستردای ايفننج پوست "

كان الجندي الشاب يجتاز حقلا لا عهد له به قط ، فسأل رفيقه فجأة : « ألا ترى على يميننا منزلا صغيراً على بعد ٣٥ قدماً ؟ » أجل لقد كان ، وكان الجندي أعمى مطموس العينين .

في مستشفى الناقهين بأولد فارمز في آفون بولاية كونكتكت يتولى الجيش الأمريكي تدريب العميان عمى دائماً من رجاله ، على نوع من البصر الثاني أو ما يسمى منذ القدم « بحاسة الكفيف السادسة » أو ما يدعى اليوم « الإبصار بالوجه » أو إدراك الأصوات . ولم يكن هذا الجندي قد قضى في التدريب سوى فترتين ، يوم « رأى » هذا البيت الصغير .

لقد حاول العميان بعض ضروب هذه الرؤية منذ زمن طويل ، وليس منا من لم يمارس أن يسير في الظلام ويحس بعقبة في الطريق قبيل عثوره بها ، ولكن الطريقة العلمية التي يتبعها الجيش في التدريب على الانتفاع بهذه الحاسة هي الأولى من نوعها .

بدأ تدريب الجنود العميان في أغسطس الماضي في آفون تحت إشراف الدكتور يعقوب ليفن العالم النفساني المستشار . ولما كان الدكتور ليفن عالماً من علماء الأبحاث السابقين في جامعة هارفرد ، فقد أخذ يتقصى إدراك الأصوات بعد أن راقب الوطاويط في طيرانها . فقد كان ثمة عالمان في معمل قريب منه يدرسان قدرة الوطاويط — وهي المعروفة بكلال البصر حتى أصبحت مضرباً للمثل المعروف : أشد عمى من الوطواط — على الطيران في تيه من الأسلاك الممدودة دون أن تصطدم بها حتى ولو غُمِّيت عيونها .

والوطاويط لا تحدث صوتاً يدرك وهي تطير ، ولكن إذا استعمل مكبر صوت يضاعف الأصوات التي لا تدركها أذن الإنسان سُمع ، لطيرانها حفيف مضطرب ، فأمواج الصوت التي يثيرها صياح الوطاويط تنعكس من الأسلاك الممدودة ، وتعين الوطاويط على تجنبها ، فإذا حيل بين الوطاويط والصياح ، أو سدت آذانها

اضطرب طيرانها وكثر تعثرها بالأسلاك . وتلك ظاهرة من ظواهر علم تحديد الأمكنة بالأمواج الكهربائية يشبه طريقة رادار .

يقول الدكتور ليفن : لما كان الإنسان قد جُبل وفيه قليل من قدرة الوطواط على تمييز الأصوات ، كان في الوسع تنميتها بالمران حتى تؤدى إلى خير بعيد الأثر في حياة العميان . ولقد تجلت اليوم آثارها الرائعة .

فى بناء كنيسة آفون وقفت طائفة من الفتيان العمى فى ملابسهم العسكرية ، يرقبون زميلهم الضرير « ديك » وهو يتهادى قاصداً ستراً يتحرك بين يديه ، ويطقطق وهو يقترب منه بجهاز صغير ، ثم يقف فجأة ويصيح : « إنى لأحس بالستر أمامى ، وعلى بعد ١٥ قدماً » فيقيس مدربه المسافة فيجدها ١٥ قدماً لا تنقص ولا تزيد .

ويتساءل بوب التلميذ الجديد : « كيف تهيأ له أن يعرف مكان الستر ؟ » .

وسمعه ديك فأجاب : « إنه أمر يسير ، فحاول أن تجرب ، خذ الجهاز » .

وأخذ بوب يسير متردداً حتى إذا كان بينه وبين الستر ياردة واحدة صاح : « أجل . إن ثمة شيئاً ، وإنى لأحس به من أمامى » .

فيكرر ديك نفس السؤال الذى سأله بوب منذ هنيهة : « وكيف تهيأ لك أن تدرك مكانه ؟ » .

فأجابه بوب : « أحسست شيئاً مقبلا نحوى ، كأنه يمس وجهى ويضغطه » .

ويقول المدرب : « لقد أدركته يا بوب تمام الإدراك . إن الذى يبعث فيك الشعور بالستر هو انعكاس الصوت ، فإن أمواج الصوت المرسلة من الجهاز ومن وقع قدميك تنعكس من الستر ، ويوم تنمو فيك القدرة على الإبصار بوجهك فستظل لك عاصماً يقيك » .

إن نصيبنا من القدرة على الإبصار بالوجه يختلف باختلاف الأشخاص ، فبعضهم يحس بوجود شجرة أو جدار يبعد عنهم ٣٥ قدماً ، ويستطيع كثير منهم أن يحدد مواضع العقبات المنخفضة كصنابير مياه الحريق او مستودعات الرماد ، أو الكراسى ، وذلك بتحريك رؤوسهم من جانب إلى جانب ، كما يفعل الحيوان ، ليتلقوا أمواج الصوت . والإبصار بالوجه فى أكثر الناس يكون أرهف ما يكون فى الليل حين تقل الضوضاء التى تشتت السمع . والثلج أعدى أعداء هذه الرؤية ، ويسمى من أجل ذلك عادة « ضباب العميان » ، لأنه يمتص أمواج الصوت .

ولقد وصف أحد الجنود الإبصار بالوجه فقال : « هو كالظل يتحرك أمام الوجه » وكلهم متفقون على أن مكان هذا الإحساس هو

الجبهة ، وأن على المرء إذا أراد تنميته أن يجاهد فى سبيله جهاداً واعياً لا ينقطع ، وان تكتسب القدرة على الإبصار بالوجه البتة ، كما يقول أحد المتدربين ، إذا أنت تعدت تتوقع مجيئها عفواً .

ويبدأ التدريب فى آفون ساعة يصل الضرير ، ويستمر حتى يكتسب من الإبصار بالوجه غاية ما يستطيع ، ويستغرق ذلك شهراً فى العادة . فإذا تم له الإبصار بالوجه عادت إليه ثقته بنفسه ، ويتهيأ الضرير للمنهج المعقد الذى يتطلبه إعداده لحياته الجديدة .

وقد تجلت معجزة هذا الإعداد البدنى والعقلى والنفسى التى أصبحت مألوفة ، على خير ما تكون فى حالة بوب . فمنذ أربعة أشهر كان يرى أنه قد انتهى ، وكان قد بدأ حياته موسيقاراً يرجى له مستقبل بعد أن نال بكالوريوس معهد الموسيقى ، ثم أصيب فى حادث انفجار لغم فكف بصره ، وأصيب سمعه بالأذى ، وآل به الهم إلى التفكير فى الانتحار ، وأخذ يقول للأطباء : « لا خير فىّ لأحد ، لا للجيش ولا لنفسى ، فلم لا تدعوننى أذهب » .

على أن الجيش كان يمهد لبوب سبيلا غير هذا السبيل ، ومن أجل ذلك أخذوه هو وطائفة من الجنود المكفوفين إلى غابة بهيجة فى آفون على سفح آكام بركشير ، حيث كانت مدرسة للصبيان ، فقضى بوب ١٨ أسبوعاً أعدّ فيها لحياته الجديدة إعداداً أتمّ وأهم من كل إعداد أتيح له فى الجيش . وقد تهيأ لبوب اليوم أن يعود إلى الحياة . وقد تحول فى هذا الوقت القصير تحولا هائلا من قنوط الأعمى الحديث العمى . إلى الثقة بالنفس والمستقبل ، أما وقد صقل مواهبه الموسيقية فى مدرسة الموسيقى بهارتفورد ، فسيذهب إلى معهد كليفلاند الموسيقى لينال درجة أستاذ ، ثم ليتولى بعد ذلك عملا طيباً أعد له ليدرس الموسيقى النظرية ، وائتلاف الأنغام . وهو يؤلف الألحان فى ساعات فراغه .

وهو يقول على ثقة : « لن يكربنى شىء بعد اليوم . ليس معنى العمى أن يضيع من يدك كل شىء ، وإنى لأدرك أننى أستطيع بقليل من العون أن أبلغ وأنا أعمى ما كنت بالغه مبصراً ، بل إنه قد يكون بدء مرحلة جديدة فى الحياة » .

وتستخدم فى آفون — للوصول إلى هذا التحول فى النظر إلى الوجود — كل وسائل علم النفس والتعليم والفهم الاجتماعى.

ويقول الكولونيل فردريك ثورن الضابط المشرف على هذه المؤسسة، وهو من أساطين أطباء العيون : « إن العامل النفسانى أهم عوامل هذا التحول من الحياة

العسكرية إلى الحياة المدنية ، وإن كان هذا التحول يبدو مستحيلا للجندى الضرير الذى يزعزع فقدانه البصر شعوره الطبيعى بالأمان. وعند ما نبدأ تدريبه على الإبصار بالوجه نحاول أن نسد الثغرة بين الحياتين بالتقصى عما يجب أن يعمله ، وما يستطيع أن يعمله ، ثم نعده لعمله » .

ويتجلى فى حالة بوب كيف يتم هذا التحول ، إذ ما كاد يصل إلى هارتفورد بالقطار حتى استقبله هو ورفاقه عدد مثلهم من المدربين ، لكل منهم مدرب . فإذا هبط الجندى من القطار أخذت منه عصاه ، ويقول له المدرب : « إنا لا نستعمل العصى فى آفون ، وستصبح قادراً بعد بضعة أيام على أن تسير بغيرها ، حتى ترى العصا عقبة تعوقك » .

وعمل المدرب أن يعين بوب على استعادة توازن بدنه ونفسه ، وهو عمل يتطلب ما لا حد له من الصبر واللباقة والاهتمام . فقد يؤثر بوب مثلا أن يظل فى حجرته بعيداً عن أعين الناس ، ولكن المدرب يقترح عليه أن يتجول حتى يعرف المكان ، ويسيران فلا يقوده بل يسير إلى جواره يرشده بصوته، وما هو إلا أن يقرب ظاهر يده من ظاهر يد بوب .

وفى أحد الأبنية نموذج مصغر للمدرسة يتاح لبوب أن يتحسسه بأنامله، فيلمس نماذج المبانى الخشبية ، والمسالك التى تمثلها شرائط من الورق مكسوة بالرمل ، وصغار الحصى التى تدل على مواضع الشجر . والغرض من ذلك تعويد الجندى أن يألف معالم المكان بحيث لا يحتاج بعد ذلك إلى معونة الحبال المادية أو الكلاب .

وأول جولة يجولها المتدرب بغير مرشد تبدأ من هذا البناء الذى فيه النموذج إلى بهو الطعام ، ثم يعود أدراجه مجتازاً نحو ٢٠٠ ياردة . ولا يؤذن له البتة أن يعد خطواته ، وقد كان هذا العد يوماً ما هو الطريقة الشائعة لتوجيه العميان ، بل أن يدرك موطئ قدميه على الطريق ، ويميز بين الطريق المعبد والمفروش بالعشب أو الرمال ، ويتبين ضروب إحساس عضلات ساقيه بعد أن يقطع مسافات مختلفة ، وفى خلال صعوده السلم أو هبوطه عليه ، ومن ثم يصبح قادراً على أن يقدر ما قطعه، وفى أى بقعة من بقاع البناء يسير .

وسرعان ما يحسن تمييز الطريق حتى ليسير فيه ثابت القدم مرفوع الرأس ، مستوى القامة ، هين الخطو ، فإذا أتيح لك أن تراه لم يدر بخلدك أنه ضرير .

أما وقد قطع شوطاً فى التدريب ، فقد تهيأ للاختبار النفسى واليدوى الذى يكشف

مدى طاقاته ورغباته . وقد أثبت اختبار أحد المدربين أن فيه مهارة يدوية فائقة ، فأتيح له ، بمقتضى الاتفـاق مع الشركة الصناعية فى كونكتكت ، أن يدير آلة معقدة فى مصنع قريب ، فبلغ من مهارته فى إدارتها أن سأله مدير المصنع أن يلتحق به عاملا دائماً عقب فراغه من التدريب .

ولقد كان رجال الصناعة فى كونكتكت يترددون فى البـدء أن يستخدموا هؤلاء العمى المدربين ، ولكنهم اليوم يقبلون على استخدامهم . وهم يحسنون كثيراً من الأعمال كالصقل ، والطحن والثقب وغيرها . وقلما يقع لهم حادث ، إذ أنهم يدربون على الحذر قبل البدء فى العمل .

أما ذلك العنصر المهم وهو الثقة بالنفس ، فهم يستردونه بأساليب شتى . فهذا جاويش فى العشرين من عمره أعمته رصاصة ، كان فى مبدأ الأمر يائساً ، ثم بدا له يوماً ما أن ينشئ جريدة ، فلما أصبح المحرر الأول لمجلة أسبوعية ذات ست صفحات يقوم على إصدارها المتـدربون ، دون معونة من سواهم ، استرد مقدرته على إرشاد غيره وتوجيهه . وناهيك به مثلا حسناً على النجاح ، أن تعلم أنه يعد نفسه اليوم لكى يدخل جامعة شيكاغو .

ويكثر إقبال المدربين على دراسة الزراعة ، فيكتسبون التجربة بممارسة الزراعة فى الحقول ، وتربية المواشى والدواجن ، وزرع الخضر وجنى ثمارها بآلات زراعية خاصة .

والأساس الذى تقوم عليه هذه الدراسات كلها أن الأعمى إذا دُرِّب واسترد ثقته بنفسه ، لم يستعص عليه إلا القليل من الأعمال . وثمة دراسات فى الخطـابة وعلم النفس والكتابة تكسبه الاتزان والسكينة . ويجد كثير من المدربين فى الموسيقى ما يسرى عن نفوسهم .

أما الإعداد الاجتماعى فهو أشق أنواع الإعـداد . يقول شـاب ضرير : « إنى لأحتمل كل شئ إلا أن أرى الناس يشفقون على » . على أن منهج الترفيه المتبع سرعان ما يلقى فى روعه أن فى وسع الأعمى أن يستمتع بالحياة ، فترى كثيراً منهم يركب السيارة الذاهبة إلى هارتفورد كسائر الناس ليحضروا حفلات الرقص والسنما . والمنهج الرياضى يشمل الغطس والعوم وصيد السمك والتجديف والانزلاق على الثلج واللعب بكرة السلة وركوب الخيل ، وتصنع دراجات ذات مقعـدين فتتيح لهم لهواً وتعينهم على استرداد توازنهم .

أما خوف الضرير من أن يستوقف نظر الناس ، فعلاجه أنهم يعودونه الصعود والهبوط فى سلالم كسلالم السيارات العامة .

ولعل أعظم ما يعتز به المدربون أن لا فرق بينهم وبين المبصرين . وقد جاء ذات يوم إلى المستشفى تلميذ ليهدى لهم مذياعاً اشتراه هو وزملاؤه في الفصل مما ادخروه ، وحادث التلميذ اثنين من المتدربين وهما يركبان المذياع ، وسأله بعضهم : « ماذا تريد منا قبل أن تعود ؟ » .

فقال الغلام : « أريد أن أحادث أحد الجنود العميان » .

فقال له أحد المتدربين : « لقد قضيت نصف ساعة تحادث اثنين منا » . فلما تسامع أهل المستشفى بما كان من دهشة الفتى كان سرورهم بذلك أعظم من سرورهم بالمذياع .

ولقد تجرى ذكر عاهتهم بينهم عفواً فيقول أحدهم للآخر : « ماذا بك ؟ أأنت أعمى ! » أو « هيء لنا جزراً في الغداء فإنه يجلو البصر ! » ولكنهم مع ذلك يبرمون بأية إشارة من هذا القبيل تصدر عن غباوة المبصرين . يقول الملازم وليم جاميسون : « مهما يبلغ إعداد الضرير من كمال في آفون فقد ينهار كل شيء إذا لم يكن أهله على شيء من الفهم والإدراك ، كأن ييسروا له كل حاجاته أو يحولوا بينه وبين ما يحسن عمله . وخير ما تفعله أن تدعه وشأنه ، وأن لا تمد له يد المعونة إلا إذا التمس منك ذلك ، ولا تراقبه مشفقاً كأنك تخشى أن يصطدم بكل ما يلقاه ، فإن الابصار بالوجه كفيل بأن يجنبه العثار » . فإذا ما أعنته على أن يحدد مكان ما يحيط به من الأشياء في كل غرفة ، وأن يستوعبها في ذهنه ، فستجده معتمداً على نفسه كما كان في بيئته التي ألفها في آفون .

فإذا أشرف كل متدرب على مغادرة المستشفى أعطى شهادة بالتدريب من الكولونيل ثورن ، يقول فيها : « هذه شهادة بأن صاحبها قد أعد تمام الإعداد للسير في الحياة مستقلا بنفسه بأقل عون يُحتاج إليه ، وهو يقف اليوم على أعتاب الحياة من جديد ، مسلحاً بالثقة المستمدة من التدريب الخاص ومن الإبصار بالوجه » .

قال الأصمعي : دخلت على الخليل بن أحمد وهو جالس على حصير صغير ، فقال : تعالَ واجلسْ . فقلت أضيّق عليك ! فقال : مَه ! الدنيا بأسرها لا تسع متباغضين ، وإن شبراً في شبرٍ يسع متحابّين .

أساليب كيميائية جديدة تمنع الأرض أن تشرب الماء ، وتجنب الطرق الأوحال

بساط يعصم الطرق من الأوحال

هارلند مانشستر • مختصرة من مجلة "الكيمياء"

في أماكن كثيرة في الولايات المتحدة ، وفي ميادين القتال في البلاد الأخرى ترى طرقاً ترِبة ومهابط طائرات يبلغ طولها مئات الأميال ، فتبدو لك كغيرها — ولكنها تختلف عنها . فما صارت أرضاً وَحِلة قط . وإذا انهمر المطر ، سال الماء عنها إلى الخنادق ، أو تبخر ، فهو لا يخترق السطح .

لقد ألبست الأرض وقاءً لا ينفذ فيه الماء وذلك باستعمال مقدار يسير من مادة صمغية (راتنجية) تخلط بتراب الأرض وتمدّ على سطحها ، ولا يزيد عمقها على بضع بوصات . ولذلك صادر سلاح المهندسين في الجيش وكذلك الأسطول وسلاح الطيران ، كلّ ما وصلت إليه أيديهم من هذه المادة الكيميائية . وقد عمدت إدارة الطيران المدنى إلى تجربة الطريقة الجديدة ، ناظرةً إلى منافعها بعد الحرب في مئات من المطارات الصغيرة . ومصالح الحكومة التي تشرف على الطرق العامة تتوقع مستقبلا باهراً لطرق يبلغ طولها مليوني ميل . ولكن لقلة المرور عليها لا يسوغ إنفاق أموال جمة على رصفها .

وقد بُسط هذا البساط الكيميائي الواقي على الطرق التَرِبة في جنوب الولايات المتحدة وبنما وغينة الفرنسية . وقد ظل طريق ترِب في ولاية مسيسبي ، بعد أن عولج بهذه الطريقة ، جافاً صلباً طول فصول من المطر الغزير . وفي إنجلترا قضت سيارات النقل الضخمة شهوراً تدرج على طريق ترب في منطقة مصنع حربيّ ، ولكنك ترى الطريق خالياً من الوحل حتى حين ينهمر المطر .

واستعمال هذا الأسلوب لا يزال في مهده ، حتى ليتعذّر أن نستوثق اليوم من مدى فائدته ، ولكن الخبراء يقدّرون أنه يجعل البلاد المعتدلة تبقى سنوات خالية من الوحل .

ومن فوائده أنه يمنع نموّ الحشائش والأعشاب في أفنية المصانع غير المرصوفة ، والمناطق التي تمدّ فيها خطوط السكك الحديدية ، وساحات التنس التي اتخذت سطوحها من الصلصال .

والرائد في هذا الميدان عالم مهاجر . فالدكتور ونتركورن خريج جامعة هيدلبرج الألمانية ، هجر ألمانيا سنة ١٩٣١ وصار مدرساً في جامعة ولاية ميسوري ، ثم تجنس بالجنسية

الأمريكية . وهو خبير بشئون التربة ، فكانت كثرة الوحل فى ميسورى كأنما تتحداه . فسلك طريقاً مستقيما إلى حل المشكلة ، أفضى إليه به بحث لا صلة له بالموضوع . فقد كانت أشجار الحوامض فى بعض البساتين التى لا تروى آخذة فى الذبول . وبدا كأن التربة التى غرست فيها عاجزة عن امتصاص الماء . فحكم الدكتور ونتركورن بأن فى هذه التربة مادة تمنعها امتصاص الماء ، فتابع بحثه وامتحن عشرات من المواد ، فوجد أن طائفة من المساحيق الراتنجية تجعل سطح التراب كالمشمع حين تخلط به بنسبة قليلة ، قد لا تزيد على واحد فى مئتين .

ومنذ سنتين دعت جامعة برنستون الدكتور ونتركورن ، لينشىء فيها « معمل علم التربة » ، فكان الرائد السباق فى تحسين الأساليب الجديدة لتوطيد التربة على الوجه المتقدم . وكانت الشركات الصناعية قد بدأت مثل هذا البحث . فصنعت شركة « بارود هركوليز » مادة حمضية واقية من البلل ، تستخرج من جذوع أشجار الصنوبر فى الجنوب . وقد خلطت هذه المادة بالإسمنت وأطلق عليها اسم «ستابينول» ، والحكومة الأمريكية تشترى كل ما يصنع من هذا الخليط . ولم يزل البحث مستمراً عن مواد أخرى توطد ظاهر التربة ، وفى طليعتها شأناً مادة تصنع من السائل المتخمر المتخلف من صناعة رُبّ الورق . وقد أقام الدكتوران بونج وكونز ، مصنعاً فى ألباما لصنع هذا الصمغ .

ويخطىء من يظن أن كل من يشاء يستطيع أن يذرّ على طريق ما قليلا من هذا « المسحوق السحرى » فيمنع الوحل أن يتكون عليه إلى الأبد . لا بدّ من أن تحلل التربة ، وينبغى أن يترك استعمال المادة الموطدة للخبراء . والتربة التى يكون تفاعلها حمضياً تتأثر تأثراً يخالف التربة التى يكون تفاعلها قلوياً . وليس ثمة مادة حمضية تستطيع أن تجعل الرمل يأبى أن يمتص الماء ، ولا بد للطرق التى تجرى عليها سيارات نقل ثقيلة من أن ترصف . ومع ذلك يبقى المجال واسعاً لنفع هذا الأسلوب الجديد الذى يجعل التربة فى وقاء من الماء .

● من الرجال من يعظم إذا ولى السلطان ، ومنهم من ينتفخ . (مترجمة)

● قيل لعبيد الله بن بسّام : إن فلاناً غيّرته الإمارة ، فقال : إذا ولى المرء إمارة فوجدها أكبر منه تغيّر ، وإذا ولى إمارة فوجدها أقل منه لم يتغيّر .

من مذكرات فتاة نازية

مختصرة من بعض وثائق الجيش الأمريكى

(ماريا بيرجانز فتاة من بلدة مونشاو بألمانيا فى السابعة عشرة من عمرها ، وهى مثال لشباب هتلر المتعصب ، وقد اشتركت اشتراكا وثيقاً فى النشاط النازى خمس سنوات . ولها مذكرات كتبتها على صورة رسائل إلى حبيبها ، وهو أحد جنود فرق الهجوم . وقد تولى ترجمتها قسم مقاومة الجاسوسية ، ليتبين منها موقف الشباب الألمانى حيال احتلال الحلفاء) .

مونشاو فى ٧ أكتوبر ١٩٤٤

وأما وقد جاء الأمريكيون ، فلن يزلزلنى بعد اليوم شىء .

لو استطعت أن أعرف أين أنت يا بيتر ، لكنت أحسن حالا . لقد سمعت أمس أن بلدنا المحبوب ، كولونى ، قد شنت عليه بنذالة غارات يراد بها إرهابه . نعم ، يا عزيزى بيتر ، إنى لأدرك شيئاً فشيئاً أن هذه الحرب ليست ألبتة حرباً مقدسة نبيلة فى سبيل « الحق فى البقاء » ، ولكنها حرب خبيثة تقوم على وفرة العتاد . وإذا كانت أرضنا فقيرة غير غنية كأرض أمريكا ، فليست هذه غلطتنا نحن الألمان المساكين . ثم إنه ليس من شيمتنا أن نستغل الشعوب الصغيرة المستضعفة بالوسائل الدنيئة كما يفعلون .

لم يأتنا نبأ يدل على تقدم الأمريكيين فى موضع من المواضع على رغم قذفهم الذى لا ينقطع . ولا يسع المرء إلا أن يتعجب ويقول : « حقاً ، ليس فى الدنيا خير من الجند الألمان ! » ، أما الأمريكيون فجبنهم لا يوصف .

٨ أكتوبر ١٩٤٤

أشرقت الشمس اليوم فى سماء صافية . ولا عيب فى هذا النهار الجميل غير شىء واحد — دوىّ القنابل المتتابع ، وأزيز القنابل المتفجرة من المدافع ، إن الألمان يدفعون عن أنفسهم هذه الجموع المغيرة دفعاً باسلا فوق طاقة البشر ، ولكنهم مع الأسف مضطرون إلى التقهقر خطوة بعد خطوة . بيتر ، يا أعز الناس عندى ، لم كتب علينا هذا ؟ ألم يعمل الألمانى جاهداً لا يفتر ، وملء قلبه نيّة صادقة ؟ أيذهب كل هذا سُدى ؟

لا ، يا بيتر ، إنى لأشعر أننا — نحن الشباب — قد ابتلينا أشدّ البلاء ، وإن

كنا كالحديد صلابة ، إذ كتب علينا أن نمضى فى الجهاد من أجل المثل الأعلى ، مثل زعيمنا المفدى . ولو خذل الناس الزعيم ، لاستطاع أن يعتمد على شبابه الوفى ، فهم لن يخونوه . وعسى أن يعود الدهر فيحسن إلينا ، ويتيح لنا أن نسير ظافرين تحت قوس النصر .

لا ، يا بيتر ، إن حبيبتك حتى فى هذا الوقت العصيب ، لم تنقلب مخلوقة بلهاء أو عجوزاً باكية تندب . كلا بل إن هدوئى يقلق الجزعين من أقاربى .. أتراني باكية ؟ كلا ، إن ذلك لا يخطر لى ببال . ولعلك لا ترانى أضحك كما كنت أفعل ، ولكن ما تعهده من دعابتى باق بحمد الله .

١٠ أكتوبر ١٩٤٤

بيتر ! إن خسة جيرانى الأعزاء ، وزميلاتى السابقات من الفتيات . خسة لا حد لها . لقد تطرق أمس إلى سمع أحد المخلصين أن فتاتين من كبيرات أعضاء النادى المقيمات فى مونشاو قد رقصتا مع الأمريكيين . إنها نذالة لاحد لها .

إنه ليوم فظيع . لقد ظلت المدافع الرشاشة تجلجل من كل جانب ، كانت كوابل من الشرر يتخلل أزيز الرصاص . نعم ، يابيتر ، إن أمامنا صعاباً لم تذلل بعد ، وجنود العاصفة تطوف مسلحة فى غاباتنا ، وأسراب القاذفات الأمريكية تحلق فوق رؤوسنا . وهى الآن تطير قريبة من الأرض .

تحدثنا الليلة فى النادى عن خطبة الدكتور جوبلز . إنى لن أغفر له — يا بيتر — قوله إن من بقى فى الأرض التى يحتلها العدو لا يعد بعد اليوم ألمانياً ، وإننا ببقائنا هنا قد انحزنا إلى صفوف الأمريكيين . وبذلك أثار ثائرة كل من كان فى النادى . إلى أين كان ينبغى أن نذهب ؟ أإلى منطقة الرين ، لنستهدف لقنابل العدو وويلاتها ؟ .

لقد أدركت الآن وحسب كل الإدراك ، ما يجده المرء من سعادة عظيمة إذا كان ألمانياً . فمن كان ألمانياً فقد كتب عليه أن يقاتل . لقد تضاءل نادينا وصار ثلاثة أعضاء — أنا وآخران .

بلغنى أن الأمريكيين أرسلوا إنذاراً نهائياً إلى آخن كى تسلم ، فإذا جاءت الساعة العاشرة ولم تسلم ، دمرتها قنابل المدافع والطائرات . ولكن أترى جنود العاصفة يسلمون ؟ تالله لا أكاد أصدق ذلك . حقاً إنه لفظيع أن يسمينا جوبلز خونة ، لا لشىء إلا لأننا نريد أن نبقى ألماناً .

١١ أكتوبر سنة ١٩٤٤

جاء الصباح وجن جنون المدافع الأمريكية

فهى تطلق نيرانها على غير هدى . إن قذائف هـذه المدافع الهائلة تدوى منطلقة فى كل ناحية ، وتتصاعد سحب الدخان إلى السماء . تُرى ماذا تصنع آخن ؟ .

١٣ أكتوبر سنة ١٩٤٤

إنه ليحزننى أنى لم أستطع أمس الأول أن أتم رسالتى . لقد اضطررنا جميعاً إلى مغادرة المكان . فقد كانوا يبحثون عن جند ألمان . وما كدنا نعود هـذا الصباح حتى طلع علينا ثلاثة من الأمريكيين بنادقهم فى أيديهم ، وقد طافوا فى جميع الغرف . وكان علينا أن نخلى المكان فى نصف ساعة .

١٦ أكتوبر ١٩٤٤

لقد أسكنونا مسكناً فى لوفنستراس ، إنه لبغيض إلينا . الناس هنا فى أشد الفاقة . وكل شئ تطلبه غير موجود .

بيتر ، أين أنت اليوم وهذا عيد ميلادك؟ فلو قدّر لى أن أعرف أين مكانك من هذه الغابات ، إذن لخرجت فى طلب لقائك.

لقد نزل القضاء القاسى بمدينتى دويسبرج وآخن . أفهذا أيضاً مصير كولونى العظيمة ، ومصير غيرها من مدننا الجميلة ؟ يجب أن يصرف المرء نفسه عن التفكير فى هـذا ، إنه لفظيع . يجب أن ندع كل شئ للزمن وللقدر ، فليس يدخل فى طوقنا تغيير شئ من أمرهما ، بل علينا أن نثبت ونتشبث بالأمل . وما أشك فى أن أباك يا بيتر سوف يضايقك ، لأنك تثبت وتتشبث بالأمل . وأنا أيضاً فى نزاع مستمر كل يوم مع أهلى .

١٩ أكتوبر ١٩٤٤

ماذا عسى يكون رأيك الآن فى « جيش الشعب » الألمانى ؟ إنهم يزعمون ههنا أنها جريمة ومذبحة بالجملة ، وهو فى رأيى دليل على أن ليس لدينا أسلحة جديدة . إن نفسى تذهب حسرات يا بيتر حين أنظر فأرى شبابنا قد ظل طول هـذه السنوات يقوم بهذه الأعمال الجليلة والتضحيات الهائلة على غير جدوى . كيف يكون هـذا ؟ وماذا يكون مصيرنا ، نحن الشباب ، يا بيتر ؟

لقد عاد الآن مدفع ألمانى رشاش يمطر حممه ، والقتال فى غابات إيفيل شديد مرير . لقد جاء الأمريكيون ولكنهم وقفوا حيث هم لا يتقدمون ، فلو كان فى أيدى جنودنا هـذا العتاد الذى فى أيدى هؤلاء الضعاف المهازيل لطاروا به سراعاً إلى أمريكا . هؤلاء ليسوا جنوداً ، إنهم هواة رقص ولهو ، أما القتال والزحف فكلمات غريبة فى أسماعهم . فنرجو أن يتاح لنا أن نضربهم ضرباً وجيعاً .

إنى حين أذكر يا بيتر ، أيامنا التى قضيناها

معاً فى مونشاو ، لا أستطيع أن أتصور كيف انقضت هذه الحقبة السعيدة . أين المروءة والرحمة ؟ إنهم لا يشفقون على مخلوقين مثلنا ، ولكن ماذا أقول ؟ إننا لا نطلب الرحمة ، فالحياة هى القتال . ومن كان ألمانياً فعليه أن يكون مخلصاً أميناً ، وسأبقى مخلصة لعملى وغايتى . وأقسم أنى سأربى أولادى أيضاً على هذا المبدأ .

٢٧ أكتوبر ١٩٤٤

لقد فتحت أمس أبواب جهنم ، فقد انطلق رصاص المدافع الرشاشة واحمرّت السماء وتعالت زمجرة المدافع الجديدة ومدافع الدبابات الأمريكية . وفى وسط هذه الضوضاء الفظيعة نسمع أزيز قنابلنا . إنه فظيع لا يوصف .

إن علينا اليوم أن نذهب إلى مكتب الحاكم العسكرى ، وأكبر الظن أنها آخر مرة يؤذن لنا فيها بالرجوع إلى بيوتنا . وسيأتى وقت يظهر فيه الأمريكيون على حقيقتهم كما تعلم .

٢٨ أكتوبر ١٩٤٤

ما أزال يا بيتر شاحبة شحوب الموت . لقد حاولنا حتى أذن لنا أن نذهب إلى البيت ساعة واحدة . وفى وسط البيت والظلام دامس عثرت بشىء ، فوقع فى روعى أنه جسم إنسان ، وبرد دمى فجمعت كل قواى حتى لا أصرخ . ووجدت فى آخر الأمر بعض أعواد الثقاب ، وتحقق ظنى — إنها جثة ألمانى . يا للفظاعة ! لقد كانت سحنة الجندى منكرة . وفى الطبقة الأولى من البيت جريح منطرح على الأرض ، فعرفنا منه سر هذا المنظر البشع .

كان جنودنا المختبئون وراء بيتنا جياعاً قتلهم الجوع ، فتسللوا إلى البيت ، ولم يلبثوا أن سمعوا أصواتاً فى أسفل الدار . ثم إذا هم أمام بعض الأمريكيين وجهاً لوجه . ويمكنك أن تتمثل ما وقع بعد ذلك : سرق هؤلاء الخنازير ثلاثة دنان من النبيذ ولم يدعوا شيئاً فى الدواليب أيضاً . وبعثروا كل شىء ، وأراقوا شراب التوت فى أرجاء المكان ، وطرحوا فوقه جميع الثياب . إنه لمنظر فظيع . يا للخنازير ! لقد هشموا منضدة الكتابة بقضيب النار . أمر لا يكاد يصدقه العقل . إن لى إليك رجاء يا بيتر ، أنت الآن جندى من جنود العاصفة الشديدة البأس ، فهلا تسدى إلىّ يداً بأن تدع بيوت المدنيين وشأنها ، فإذا جعت فالتمس فيها شيئاً تأكله . ولكن دعها بعد ذلك وشأنها . إنه لعمل فظيع .

١ نوفمبر سنة ١٩٤٤

إذا ما وضعت هـذه الحرب أوزارها ، فسنكون قد أضعنا كل ما في أيدينا ، ولكن شيئاً واحداً لا يمكنهم أن ينتزعوه منا ، وهو أسلوب تفكيرنا وحياتنا ، فقد لقن شبابنا شيئاً كثيراً عن هذا كله . ألم ننشأ على القتال ؟ لسوف نستأنف حياتنا الجديدة على نفس المبادىء القديمة . لنأمل خيراً ، ولنثق في مستقبل عظيم لألمانيا .

٣ نوفمبر سنة ١٩٤٤

إننا ننال اليوم مقداراً كبيراً من اللحوم (رطلان للشخص في الأسبوع) ، فإذا جاء الشـتاء فربما نتضور جوعاً . لا يزال البطاطس في الأرض ، وعلىّ أن أنتظر أربع ساعات حتى أظفر برغيف . أليس هـذا شنيعاً ؟ .

استمعت الآن إلى أنباء الإذاعة في الساعة الخامسة . إنها لاتبشر بخير كثير ، ومع هذا فما زلت أومن بأن النصر لألمانيا . لقد كثر الجدل بيننا في هذا الأمر ، وإني لعلى يقين من أن أمي ستعدل عن رأيها ذات يوم ، ولعلها تفتح عينيها فترى حقيقة ما يجرى ، فالحياة في هـذه الأيام هي الكفاح ، وإلا لكان علىّ أن أفرّ بنفسي منذ أمد طويل .

٥ نوفمبر سنة ١٩٤٤

أنا في جوع دائم ، فالخبز والزبد قليل جدا ، ويجنّ جنوني حين أفكر في أن أعداءنا يريدون أن يسيطروا على بلادنا الجميلة ألمانيا ، وأن يقضوا على لغتنا الألمانية القديمة الرائعة . لماذا يكتب علينا أن نقاسي هذا كله ؟ ألأن بعض الناس لا يفتأ يفترى علينا ويلفق الأساطير ؟ إني أثق دائماً بالجندي الألماني ، لأنه خير الجنود جميعاً . إن في يد عدونا عتاداً هائلا ، ولكن جنده جبناء رعاديد لا كجنودنا . وهـذه الحرب حرب عتاد ، فكيف لنا بمواجهة هذا كله ؟

لقد مرت صباحاً من فوق رؤوسنا قنبلة صاروخيـة فأيقظتني ، وبعد دقائق معدودات سمعنا انفجاراً شـديداً ، فاهتزّ البيت كله ، وانفتحت الأبواب والنوافذ . ولابد من أن تكون قد سقطت بالقرب من بلدة بون ، وأرجو أن تكون قد أصابت هدفها . وحينما نظرت رأيت طائرات تملأ السماء . وارحمتاه لشبابنا ولجميع هذه البلاد الجميلة !

٨ نوفمبر سنة ١٩٤٤

لا سبيل إلى حسن المعاشرة بيني وبين أهلي بعد اليوم . لقد نشب خلاف على المائدة

لا لشيء إلا أنى قلت : « لم أزل جائعة » . فقال أخى : « خير لك أن تستشيرى طبيباً » . وعقبت جدتى كذلك أسوأ تعقيب : « يمكنك أن تستنجدى بهتلرك وعصابته ، ولكن لن يجدى عليك ، فإنهم مارقون اليوم ما كانوا يحذرون » . فلم أستطع البقاء فى الغرفة .

وألقيت اليوم بعض المقذوفات فيما حولنا ، أتظن الفوهرر يتحدث فى الراديو الليلة ؟ أرجو — إذا هو تحدث — أن لا يغلقوا الراديو ، فإنى أريد أن أسمعه . ليتنى كنت رجلا أقاتل فى سبيل آرائى .

٩ نوفمبر سنة ١٩٤٤

تساقط الثلج اليوم . لقد كنا نمرح ونلهو فى مثل هذا اليوم من السنوات الماضية ، أما اليوم فلا نستطيع الخروج إلى الشارع ، وغير مسموح لنا باستعمال مركبات الانزلاق على الجليد ، ولا أثر فى مخزن البيت للبطاطس . وفضلا عن ذلك كله ، كتب علينا أن نرى هؤلاء الأمريكيين الثقلاء منتشرين فى الشوارع . ليت جيشنا الألمانى يعود إلينا .

لقد امتلأت قلوبنا سروراً حين سمعنا بالسلاح السرى الجديد رقم ٢ . أرجو أن يكون فيه بعض العون . انتظرنا حديث الفوهرر فى الليلة الماضية ، ولكننا لم نسمع صوته . لقد كنت أمس متأهبة لأن أبذل كل شيء فى سبيل الفوهرر ، أما اليوم فقد خاب رجائى . أصحيح أن هملر قد حبس زعيمنا المحبوب ؟ إن القيادة العليا كفت عن ذكر الفوهرر . وما زلت أنا أومن به وأثق به ، وكذلك أومن وأثق بمستقبل أفضل . إن لواءنا ، ولا بد ، معقود به النصر .

حدث مرة بينما كان الجنرال دوايت د . ايزنهاور يقول لمستر تشرشل : إن الجنود البريطانيين لهم أثر حسن فى الحد من مرح الجنود الأمريكيين ، أن دخل جندى أمريكى وقال : « هل أستطيع أن أقترض سيارتك يا جنرال ؟ » .

وهدأ أيزنهاور من روع تشرشل وقال : « أترى ما أعنى ؟ إنه لم يكن ليطلب هذا الطلب منذ سنة مضت » .

كلُّ كلمةٍ تتعلمها تزيدك قدرةً على التعبير
(٢)

حياة اللفظ استعماله ووضعه فى موضعه الذى يليقُ به . وجميع أدباء الدنيا وكتابها وشعرائها وبلغائها وخطبائها إنما امتازوا من سواهم ببراعتهم فى معرفة الموضع الذى يليق بالكلمة ، وبهذه المعرفة استطاعوا أن يحفظوا الحضارة من الضياع ، فدلّوا من جاء بعدهم على ما بلغوا من العلم بتحديدهم لمواقع الألفاظ تحديداً جعلها تنقل المعانى من جيل إلى جيل ، فاستمرّ تيار الحضارة حتى جاء هذا الزمن بحضارته الرحبة المترامية ، فهو أحوج العصور للتعبير عن المعانى البعيدة الغور المتشعبة الفروع ، فصار لزاماً عليه أن يكون أكثر العصور إتقاناً للألفاظ وأوسعها بها معرفة ، ليبقى تيار الحضارة يتدفق لمن يجىء بعدنا .

وهذه كلمات مستخرجة مما ورد فى أعداد من المختار ، وأمام كل كلمة أربعة معانٍ . أحدها هو الصحيح ، فاختبر قدرتك ، وانظر أيها الصحيح ، فإذا فرغت من الاختبار فراجع الصواب فى ص ١٠٠

١ — الأَيْد : (ا) العنف (ب) القسوة (ج) القوّة (د) العناد

٢ — المِسْحاة : (ا) المكنسة (ب) الفأس (ج) المحراث (د) الجاروف

٣ — المَدْرَج : (ا) الفناء (ب) الحظيرة (ج) طريق الدبابات (د) السطح الذى تجرى عليه الطائرة قبل ارتفاعها

٤ — الأَبْرق : (ا) الإسمنت المسلح (ب) الحصى (ج) الرمل اللامع (د) الجير

٥ — هدْهَدَ الطفلَ : (ا) بهره (ب) غناه (ج) حرّكه لينام (د) لاعبه

٦ — الرّشأ : (ا) الظبى (ب) ولد الظبى بعد أن يمشى (ج) ولد الوعل (د) ولد النعجة

٧ — الأَقْطع : (ا) مبتور الإصبع (ب) أو الساق (ج) أو الذراع (د) أو الأذن

٨ — السَّمول : (ا) الشجر القوى الخشب (ب) النبات الجاف (ج) النبات الذى يحتمل البرد والحر (د) الثمر الفج

٩ — عَسْعس الليل : (ا) اشتد ظلامه (ب) أقبل سواده (ج) انتهى (د) قل ظلامه

١٠ — الوَشَل : (ا) ماء المطر (ب) الماء البعيد الغور (ج) المستنقع (د) الماء القليل

١١ — السابحات : (ا) السفن (ب) الطائرات الشراعية (ج) القنابل الطائرة (د) الطائرات المائية

١٢ — التطريف : (ا) تقليم الأظافر (ب) تطرية الجلد (ج) تلوين الأظافر وتسويتها (د) إطالة الأظافر

١٣ — هَوَّم : (ا) غلبه النوم (ب) حرك رأسه من النعاس (ج) أرق (د) أغفى

١٤ — أسفَّت الطائرة : (ا) ارتفعت (ب) سقطت (ج) دنت من الأرض (د) انقضّت

١٥ — أَخْمَص القدم : (ا) باطنها (ب) عقبها (ج) مقدمها (د) ما يمسّ الأرض من باطنها

١٦ — الفَرَق : (ا) الجبن (ب) الهيبة (ج) الفزع الشديد (د) الجزع

هل أنت أحد مئات الألوف ممن ينوى أن يبدأ عملا ويتولاه بنفسه ؟ لعلك تعمد إليه بقلب جرىء وطموح متأجج ابتغاء النجاح ، ولكن إذا لم تكن لك خبرة سابقة فى تولى عملك بنفسك ، فستجد فى سبيلك مزالق شتى .

فما الذى ينبغى أن تفعله وما الذى ينبغى أن تتنكبه فى تأسيس عملك الجديد ؟ ها هى ذى ثمانية مبادىء أعدها « فرضاً واجباً » .

١ — لا بد لك من فكرة

كل فكرة جديدة تجعل عملك ظاهراً بين من تنافسهم ، ولا يتم لك هذا فى الغالب إلا بالتخصص . فهنالك مثلا رجل فى شيكاغو قصر عمله على صنع أسوار ريفية للمنازل ، وهو يرفض أن يصنع أى نوع آخر . وهكذا جعله تخصصه ظاهراً بين أهل صناعته التى اختارها .

ظل جيمس وولف سنوات وكيلا لمدير شركة ولتر طمسن أكبر شركة للاعلانات فى العالم ، وله ثلاثة كتب عن فن الإعلان وممارسة الأعمال ، وكتب مقالات كثيرة فى المجلات ، وهو الآن يتولى إدارة عملين صغيرين .

نصائح أساسية سديدة عن الأعمال الصغيرة
— تتمة لما نشر من قبل فى المختار

وإنك لتجد مطعم ناشفيل هاوس فى براون كاونتى بولاية أنديانا لا يزال غاصاً بالناس ، لما يغريهم من عسله وفطائره الساخنة اللذيذة . وفى بلدة سانتافى محل يمتاز بنوع من الشطائر شهى طيب ، ويكاد لا يقدم من الطعام غيرها . والأمر بسيط كل البساطة ، فمثلها يصنع فى أماكن أخرى إلا أن الفكرة غريبة ، وقد استهوت الناس فى سانتافى .

إن مجال إحراز النجاح متسع لك إذا ميزت عملك عما يألفه الناس . إجهد جهدك فى البحث عن أسلوب فريد فيما تعمله ، فيتسم عملك بسمة ظاهرة متفردة ، تجذب إليك الزبائن وتحفظهم عليك .

٢ — لا بد من أن تبدأ صغيراً

اختبر فكرتك ومحّصها، وانظر كيف يقبل عليها الناس ، ثم نقحها وعدّلها قبل أن تخاطر بشىء كثير من مالك .

اخترع رجل من عمال مصانع الحرب جهازاً للمطبخ ثمنه ريال واحد ، وصنع منه مائتين ، وحاول ما استطاع أن يبيعها مراسلة

بالبريد ، فبـدأ بإعلان صغير نشره فى مجلة زراعية،فباع ١١٥ جهازاً ثم انتظر النتيجة؟ هل أعجب بجهازه هؤلاء المشترون وأوصوا غيرهم بشرائه ؟ أم تراهم وجدوا فيـه عيوباً واقترحوا لها بعض ضروب الإصلاح ؟ .

وجد أن النتيجة تشـجعه على المضى فى سبيله ، غير أنه لم يغامر بل صنع ٥٠٠ جهاز ونشر إعلاناً فى مجـلة أخرى . فاجتلب له ٨٠٠ طلب ، ولكنه ظل يسير رويداً رويداً وأعرض عن فرصة لاحت له فى تأجير مبنى لمصنع صغير، فهو يريد أن يمد عمله فى نطاق محـدود ، فإذا ما وضعت الحرب أوزارها مضى قدماً فى تنفيـذ مشروع مجرب ثابت الأركان .

لقد وقع هذا الرجل على الفكرة الصائبة. فعليك أن تنفق عن عملك أو مشروعك كل ما يشـينه قبل أن تخاطر بقسط كبير من مالك . والحماسة ، ولاريب ، عامل جوهرى فى النجاح ، ومن المتعذر أن تكبح جماح أحلامك ، غير أن الغلو وبيل العواقب .

٣ — لا بد من رأس مال يكفى

إن الطريقة المأمونة هى أن تقدر لمشروعك بعض الخسارة فى الأشهر القليلة الأولى ، فإن إقبال النـاس على سلعتك لن يسـير كما تتمنى . وربمـا أخفقت أيضاً فى تقدير تكاليفك ومصاريفك .

فتح شاب مكتبة فى مدينة بولاية «إلينوا» قدر مصاريفه بدقة — أو هكذا خيل إليه، فقدّر أجر المحل ومرتب كاتب وتكاليف النور والتدفئة، وقدّر أن يبيع فى كل شهر من الأشهر الستة الأولى ما قيمته ١٤٠٠ ريال، ثم يبيع بعـد ذلك فى كل شهر ما قيمتـه ١٦٠٠ ريال .

وإذا به قد أغفل عدة أبواب للمصروفات من هبوط سعر البضائع المختزنة ، إلى الديون الميتـة ، إلى الخسارة التى تصيبه من بيع ما لا يروج بأثمان رخيصة . وفضلا عن ذلك كان أكبر دخـله فى كل شهر ١٢٠٠ ريال ، ولم يكن رأس ماله كافيـاً لمواجهة الخسائر . وكذلك أفلس .

٤ — لا بد من أن تعرف كيف تعمل

إفرض أنك ستشتغل بتربية الدواجن ، فما الذى تعلمه عن تربية الدجاج وتجارتها ؟ فهذا علم قد قطع شوطاً كبيراً منذ كنت طفلا ، ولكن لا تدع ذلك يثنيك عن عزمك ، لأن الخبرة شىء يمكن أن يكتسب.

فهذا جاكسون مثلا يدير مزرعة لتربية الدواجن فى ميدويست ، تدرّ عليـه دخلا طيباً . ولم يكن يعلم قبل أن يبدأ فرق ما بين دجاج البر ودجاج البيوت ، ولـكنه قرأ الـكتب المفيدة فى ذلك ، وتحدث مع من يربّـون الدواجن فى كلية الزراعة، ثم التحق

طالباً منتسباً فى مادة الدواجن بمصروفات زهيدة . وكان الخبراء فى تربية الدواجن يرحبون بإرشاده ، وبعد مضى ثلاثة أشهر عرف أشياء كثيرة عن الدجاج . ولما أراد أن يبلغ الغاية عمل ستة أشهر فى مزرعة لتربية الدواجن ، فصار بذلك مستعداً كل الاستعداد أن يتولى عمله بنفسه .

وأيًّا ما كان نوع العمل الذى يدور بخلدك ، فابدأ بالمثابرة على دراسته ، يتسع بين يديك مجال النجاح ، وتذكر أنه ينبغى أن تدرس فن الإعلان والبيع ، فنجاحك أو إخفاقك رهن بقدرتك على إغراء الزبائن .

٥ — لا بد من أن تدون كل شيء

إذا تعاقدت مع أحد ، فدوّن عقدك على الورق ، ووقعا معاً عليه ، ولا تدع شيئاً للذاكرة ، ولا لحسن النية من قِبَلك أو من قِبَله .

افتتح إدوارد بارنس محلا للطباعة منذ بضع سنوات فى بنسلفانيا ، وكان عليه أن يشترى المطابع وحروف الطباعة والحبر والورق بمال اقترضه من أحد أصدقائه ، ووقع على عقد برد المبلغ فى خلال ١٢ شهراً ثم قال لصديقه : « عسى أن أكون قد وعدتك بأكثر مما أطيق » فأجابه صديقه : « لا تقلق ، إذا عجزت عن دفع الدين كله فى موعده فسأمدّ أجل الدفع سنة أخرى »

كان هذا وعداً شفويا — وهو الأول ، ثم وعده موظف مسئول وعداً ثانياً إذ قال له إن فى وسعه أن يكافئه بطبع مقدار كبير من الأوراق الحكومية . فأنفق بارنس ما بقى له من رأس ماله ، وهو ٤٠٠ ريال ، فى شراء الورق ، غير أن هذا الوعد لم يتحقق ، ومنى صديقه الأول ببعض الخسائر . فلما انقضت السنة طالبه ونسى ما وعده : أن يمد أجل الدين سنة أخرى . وكذلك أفلس بارنس .

٦ — لا بد لك من دفاتر دقيقة

إن كثيرين من أصحاب الأعمال الصغيرة لا دفاتر لهم ، أو لهم دفاتر غير دقيقة ، فإن كنت لا تعلم شيئاً عن إمساك الدفاتر ، فاستخدم أحد الملمين بهذا الفن ليعلمك مبادئه ، وفى وسعك أن تتعلم أصوله بسرعة . احتفظ بكل ورقة أو رسالة لها قيمتها ، فقد يحدث خلاف لا يسوّى تسوية ترضيك إلا إذا أظهرت وثيقة معينة .

٧ — لا بد لك من مشورة محام

تثبت من كل الشئون القانونية حتى فى العمل الصغير ، فقد تكون هناك قوانين تتصل بعملك . وإذا أردت تأليف شركة أو إبرام عقد ينص فيه على اقتسام الأرباح بينك وبين المستثمرين ، فقد جلبت على نفسك المتاعب ، إذا لم يحرر لك العقد محام .

٨ — لا بد لك من سياسة دقيقة في البيع المؤجل

قد تضطر في المنافسة أن تعامل زبائنك بالبيع المؤجـل ، أو أن تبيع بالتقسيط ، فلو اتبعت سياسة هوجاء ، أضعت نفسك . وتجد في معظم المكتبات مؤلفات عن البيع المؤجل والتحصيل والبيع بالتقسيط ، وما يتصل بذلك .

إن الأعمال التي تبقى على الزمن هي التي يديرها أولئك الذين يعرفون أصول النجاح في الأعمال ، ويتبعونها بكل دقة وحذر .

هؤلاء فازوا بالعمل

منذ عدة سـنين يوم كنت أعمل في مشروع إنشاء طريق بولاية مين ، طلب إليّ جار لي أن أبذل له معونتي في الحصول على عمل ، فلما قدمته في صباح اليوم التالي نظر إليه رئيس العمال نظرة فاحصة وسأله عن عمره .

فأجاب الرجل : « ثمانية وستون » .

فقال رئيس العمال : « لا كفاية فيك ، ولا يمكنك أن تبذل من الجهـد ما يبذله من هم أصغر منك سناً » .

فنظر العجوز نظرة سريعة إلى العمال الشـبان وقد اتكأوا على مجارفهم وقال : « لعلني لا أستطيع أن أعمل قدر ما « يسـتطيعه » هؤلاء . ولكنني أستطيع أن أنجز من العمل قدر ما « سينجزون » .

....

عندما تخرج من الكلية روى تشابمان أندروز المكتشف ، كان كل همه الحصول على عمل بمتحف ، فاتصل بمدير متحف التاريخ الطبيعي الأمريكي في نيويورك وقال له : « إني على استعداد أن أغسل الأرض إذا اقتضى الأمر » .

فسأله المـدير : « لا أظن شخصاً له تعليمك يقبل أن يغسل الأرض ! أو تقبل أنت ذلك ؟ » .

فأجابه أندروز : « لا أعني كل نوع من الأرض ، فإن أرض المتاحف شيء آخر »

أوربا: من الحرية الى الفاقة

مختصرة من مجلة "فورتشن"

كان مما يدخل في طاقة أوربا أن تجتاز محنة الهزيمة والخيانة، ثم بلاء النازية وأشباه كويسلنج ، ولكن لم يكن يدخل في طاقتها أن تواجه غاية المحنة فتجتاز مرحلة التحرير سالمة ، فإن ما تصيبه أوربا المحررة من الثياب والطعام والملجأ هو أسوأ وأقل مما كانت تصيبه تحت الاحتلال الألماني.

سقطت أوربا في وهدة من إملاق شامل لا قرار لها، وهو إملاق يبدو في ألف وجه منها التافه كانعدام الثقاب ، ومنها المهين كانعدام الصابون،ومنها مقطّع نياط القلوب كعويل الأطفال في طلب الخبز . وفي بعض المناطق التي هي أوفر من سواها طعاماً ، كنورمندي ، أملق الناس ، فهبت بعثات الجمعيات الخيرية الأمريكية مرة أخرى لدفع ما يحل بالبشر من بلاء ، وظلت تجوس خلال مقاطعة نورمندي خمسة أشهر بعد الغزو ، ودرست أحوالها دراسة دقيقة ، فأسفرت عن بلاد حياتها كالجحيم المتسعر .

طعام موفور، ولكن لا أواني طبخ ولا مواقد . وما بقي من السيارات معطل إذ لا بترول ولا إطارات ولا زجاج نوافذ ، ولا أحذية ولا أغطية ، ومئات الألوف لايجدون ثياباً غير التي على أجسادهم .

لقد تقوضت دور نورمندي ، ففي مدينة الهافر ١٨ ألف منزل هدم منها ١١ ألفاً وصارت أنقاضاً ، ودمرت ٤٥٠ قرية من ٧٦٥ قرية في مقاطعة كالفادوس ، ولم يبق منزل واحد في مدينة أوناى على نهر الأودون ، وأصبحت مدينة لا هوجين «قرية مهجورة ليس فيها ديّار . وإذا جن الليل لم تزل تجد ريح الجثث التي جيّفت ولم تدفن بعد » . هذه هي نورمندي حيث كان لدى أهلها كثير من اللبن والزبد . هذه هي نورمندي التي حررت !

ولو استطاع أهل باريس في الشتاء الماضي أن يجلبوا الزبد من نورمندي لما استطاعوا أن يصونوه من التعفن لندرة الملح . وحالت قلة الملح دون إعداد اللحوم المجففة . وهي غذاء أهل باريس ، بل لم يكن لديهم من السكر ما يحلون به قهوتهم ، وقل لم تكن لديهم قهوة يحلونها بالسكر !

وفي يناير الماضي لم يكن في جراية الرجل من أهل باريس سوى ١٣٠٠ سُعْر في اليوم

(وحدة الحرارة) وهى تقل ٥٠٠ سُعْر عما كانت عليه فى عهد الاحتلال النازى .
(أما فى أمريكا فقد بلغت فى السنة الماضية ٣٣٦٧ سُعْراً للشخص فى اليوم) .

لقد ابتليت باريس بجوع لم تبتل بمثله قط منذ أكلت الفئران سنة ١٨٧٠ . (كانت فئران سنة ١٩٤٤ هى القطط ، ويقال إن ٣٠ ألف قطة اختفت . وكانت القطة تباع فى السوق السوداء بستة ريالات بلحمها وشحمها وفروها) . ولما نزل برد لم تر مثله قط فى سنوات الحرب ، كانت لا تجد ثياباً ولا دواء ولا ضياء يضىء غرف الجراحات .

وبلغت نسبة الوفيات بين الأطفال ذروتها منذ قيدت دفاتر الإحصاء الوثيقة . وقد أوجزت إحدى الصحف الفرنسية منذ بضعة أسابيع وصف هذه الحالة فقالت : « لقد أشفى الشعب الفرنسى على الهلاك » واسم هذه الصحيفة هو « التحرير » !

وهذا الذى حدث فى فرنسا سنة ١٩٤٤ قد حدث ، أو سوف يحدث ، فى كافة أنحاء أوربا . فإن حكومات التحرير إذا مادخلت بلداً خضع نظامه الاجتماعى لسيطرة الألمان بضع سنين ، وجدت تحت أقدامها ثلاثة ألغام جسيمة خطيرة هى : انهيار الإنتاج ، وانهيار التوزيع ، وانهيار العملة .

كان إنتاج كل دولة قد أدمج حتى اتصل بالنظام الألمانى المعقد للعرض والطلب ، وكان التوزيع فى كل دولة مرتبطاً أشد ارتباط بنظام موحد للنقل فى القارة كلها . وقد اصطلح غزو الحلفاء وتخريب الألمان ، على تمزيق خطوط السكك الحديدية . أما العملة فإنها تنهار على دأبها حين يختل الإنتاج والتوزيع ، فما ظنك بها وهى عملة خلفتها جيوش الاحتلال الألمانى .

وعلى أنقاض هذه الثلاثة تقوم السوق السوداء ، وحتى هذه السوق السوداء لا تستطيع أن تأتى بالخوارق ، فهى عاجزة عن أن تعرض للبيع بضائع بطل إنتاجها ، أو تبيع لقوم تعوزهم القدرة على الشراء . وقد شل الإنتاج الصناعى وعمت البطالة فى كافة أنحاء أوربا المحررة . وستواجه فرنسا عما قريب مشكلة إعانة ٣ ملايين نفس يعانون البطالة ، وهم نصف مجموع صناعها ، ولا تدرى فرنسا ، كما لا تدرى سائر أوربا المحررة ، كيف تخرج من هذه الحلقة المفرغة الخبيثة : فقدان وسائل النقل التى تمد المصانع المخربة بالمواد الخام التى يشق الظفر بها .

ومع هذا فإن فرنسا أحسن حالا من بلجيكا ، فأهل بلجيكا قد قل غذاؤهم وساء ، حتى صاروا فى حاجة مفزعة إلى المواد البروتينية الحيوانية . أما مصانع النسيج

الضخمة معطلة لانقطاع الواردات من المواد الخام . ويحدث هذا وحاجة أوربا إلى اللباس أشد من حاجتها إلى الطعام . أما مناجم الفحم فى بلجيكا فلا تنتج إلا مقداراً ضئيلا مما تستطيع أن تنتج ، وذلك لأن دعائم المناجم قلما توجد أو تنال .

أما أهل هولندة فقد أشفوا على الهلاك جوعاً ، فقد قل الشعر فى جراية سكان أمستردام فى شهر فبراير الماضى حتى صار ٣٢٠ سعراً فى اليوم ، كما لحق البوار بعض أرضها المزروعة ، إذ غمرها البحر ، ولابد من بذل مجهود شاق سنين عدداً ، ليصلحوا ما أفسده البحر فى أسابيع معدودة .

أما فى البلقان وبولندة فإن ما ألحقه الإنسان بأخيه الإنسان من الأذى أشد وأقسى مما عساه يصيب الأرض من أذى البحر . فهذه المنطقة كانت أقل المناطق معونة للأداة الحربية النازية فى الصناعات ، فمن أجل ذلك أساءوا معاملتها ، فأعملوا فيها النهب والسلب ، فانتهبوا القمح ليختزنوه ، والماشية ليحفظوا لحومها ، وسبوا النساء ليكرهوهن على البغاء . فلما حررت هذه المنطقة لقيت من البؤس ما هو أشد هولاً وأعنف وقعاً . ولما غزا الحلفاء غرب أوربا أرادوا أن ينزلوا — على الأقل — مع قواتهم إمدادات للمدنيين ، أما القوات التى حررت بولندة ويوغسلافيا فقد اضطرت أن تنال بعض حاجتها مما تخرجه أرضهما .

أما فى بولندة فقد أذن للجندى الروسى أن يبعث إلى أهله من الطعام ما يزن ١١ رطلا . وأما فى يوغسلافيا فإن الثوار الوطنيين الذين تطاولت معاركهم ، قد دأبوا على استغلال الفلاحين والتماس الطعام منهم كأنهم معين لا ينضب . وانحسر البلاء ، وإذا البلد قد هلكت ماشيته ، وتخربت طرق مواصلاته تخريباً تاما ، وتضخمت عملته تضخماً مفزعاً . وأصبح الفلاحون أهل المناطق الخصبة التى تزرع القمح يصرون على التعامل بالمقايضة ، وإن لم يكن لديهم من البضائع ما يقايضون به ، فلا ثقاب ولا ملح ، ولا إبر ، ولا جلود . وأصبح ٥٠٠ ألف من الأطفال الأيتام يهيمون على وجوههم فى وطنهم وهم أشباه عراة ، أما سائر السكان فليسوا خيراً منهم ملبساً . وقد قدر أن ٨٠ ٪ من أهل يوغسلافيا يمشون فى أسمال بالية .

والمعونة إن أتتهم لم تأتهم إلا قطرة قطرة . ولا تزال بولندة فى كفالة روسيا ، وهى إذا جادت بالمعونة جعلتها مقيدة بما تلقاه هى من الشدائد ، وبالنظرة الواقعية فى عالم السياسة التى قلما ترق منها دواعى العطف والحنان . ولما أرادت إدارة الأمم المتحدة

للإعانة والتعمير (الأونرا) أن ترسل فى مارس الماضى مدداً إلى بولندة، لم تبحر أولى السفن إلا بعد مفاوضات مذلة مع روسيا ، وبعد أن رضيت أخيراً أن تعين أحد الروس ممثلا لها هنالك . والروس لا يشاركون الأمريكيين فى فهم سبل الخير وكيف يجب أن تكون المعونة بلا تفريق .

ومن السخرية أن أثينا التى مرت عليها سنوات وهى تذوق من العذاب أهوالا ، أصبحت أوفر مدن القارة طعاماً ، وأكثر من ذلك سخرية أن يكون سبب هذا أمراً لا يدعو إلى التفاؤل، فإن النظام الاقتصادى فى اليونان قد انهار انهياراً تاماً ، بحيث أصبح لا مفر من إعانة السكان جميعاً بلا استثناء .

أما إيطاليا فهى أعظم المناطق المحررة نصيباً من الإعانة ، فقد أرسل إليها منذ يوليو ١٩٤٣ إلى نهاية ١٩٤٤ ما يزيد على مليونى طن من الإمدادات (ثلثها على الأقل من الطعام) . ولكن هيهات أن يعد هذا تعميراً فى بلد خرب تخريب إيطاليا . ويعمد الإيطاليون إلى وسيلتين لتحسين جرايتهم المقررة ، أولاهما من السوق السوداء التى تمدهم بثلثى كل ما يباع من الطعام ، والأخرى اصطفافهم أمام مطاعم الجيش الأمريكى حيثما وجدوها . وكثيرون منهم يعيشون على فتات موائد الجنود الأمريكية.

ولعلاج هذا الخراب الذى جره هتلر على أوربا أنشأت الأمم المتحدة إدارة الإعانة والتعمير ، ولكن الآمال التى عقدت عليها حين بدأت عملها منذ سنتين قد خابت اليوم فإن جميع الحكومات من حَرَّرَ ومَنْ حُرِّر منها على السواء — تصر على اتخاذ التعمير أداة تستغلها فى سياستها الداخلية . فإذا قيل لحكومات القارة : إن الإعانة مبدأ رفيق يجب أن ينأى عن ميدان السياسة ، فكأنما قيل لها إن الثورات يجب أن تنأى عن ميدان السياسة . ولذلك فإن التعمير لا يزال أبعد ما يكون عن تحقيق مستوى عال من الحياة الدولية .

وإذا أريد أن ينجح تعمير أوربا فيجب أن تتوافر الإمدادات والسفن ، وأهم من هذا وذاك ، أن تضع أمريكا لنفسها سياسة محددة للتعمير .

ويجب ، قبل كل شىء ، أن نعرف ما مقدار حاجة أوربا من الطعام . وقد قدرت الجهات المسئولة فى أمريكا أن ٩ ملايين طن من الإمدادات تكفى أوربا فى أول سنة من تعميرها ، وربما تيسر مثل هذا المقدار ، فالمخزون من القمح فى أمريكا فى نهاية هذا الموسم يبلغ ١٠ ملايين طن تقريباً ، ويبلغ ١١٫٥ مليون طن فى باقى الممالك التى تصدر القمح ، وأقل

ما تحتاج إليه أوربا من اللحم والشحم لا يتعذر وجوده ، فحاجتها من اللحم تقدر بـ ٦٠٠ ألف طن ، وهى أقل من ٧ ٪ من مجموع ما استهلكه سكان الولايات المتحدة فى سنة ١٩٤٤ .

فإن نظفر بأقل ما يحتاج إليه من الإمدادات ، فلن نظفر بالسفن التى تشحنها. بل لو فرضنا إمكان شحن هذه الملايين من أطنان الإمدادات فى المحيط ، وفرضنا أن الموانئ المخربة فى أوربا تقوى على تفريغها ، وفرضنا أخيراً أن جميع المشاكل المالية والنقدية قد ذللت ، فلا يزال علينا أن نتغلب على أكبر العقبات كلها : ألا وهى اختلال وسائل النقل فى أنحاء أوربا جميعها .

وليس الجوع وحده هو بلاء أوربا ، بل إن الكيان الاقتصادى كله فى هذه القارة يجب أن يعاد تنظيمه بوسيلة ما فى سنة أو سنتين ، وهذا عمل ينبغى أن يؤدى من قبل المروءة أو من قبل المحافظة على النفس . ولعل أهم قرار سياسى اتخذته الولايات المتحدة منذ أن دخلت الحرب هو قرار تعمير أوربا وكيف يكون .

وهذا عمل منقطع النظير ، يقتضى من الولايات المتحدة أن تبذل جهوداً منقطعة النظير ، وأن تتبين أهدافها كل التبين . نعم إن قدرة أمريكا الاقتصادية ليست قدرة لا حد لها ، ولكن فى وسع الولايات المتحدة إذا أنفقت درهماً أن تنفقه بحيث تجنى منه أعظم نفع . وإليك فيما يلى بيان العناصر الأولى التى ينبغى ، فيما نرى ، أن تنطوى عليها خطة الولايات المتحدة لتكون لها سياسة حكيمة مطابقة للواقع .

١ — إن المحاصيل الزراعية فى أوربا تكفى فى الواقع كل حاجاتها ، إذا ما استقر نظام طرق المواصلات ، وعادت إلى الفلاح ثقته فى السوق واستقرارها . ومع هذا فالحاجة الملحة تحث على الشروع فوراً فى شحن إمدادات من الطعام إلى أوربا . ولما كانت الولايات المتحدة لا تستطيع أن تبذل كل ما يحتاج إليه من الإمدادات ، فيجب أن توجه هذه الإمدادات إلى أقل المناطق فى القارة قدرة على كفاية نفسها بنفسها — أى إلى غرب أوربا .

٢ — إن ألف طن من الآلات وعشرة آلاف طن من المواد الخام أكثر نفعاً فى دفع الإملاق عن أوربا ، من ١٠٠ ألف طن من الطعام . ولو خلفت الجيوش الأمريكية وراءها ما لديها من معدات صناعية هائلة لتعمير غرب أوربا ، لكان ذلك أجدى فى صون مصالح أمريكا من أن تشحن وتعاد إلى أمريكا .

٣ — إن إعادة إنشاء الصناعات فى

أوربا تتوقف على وضع أساس سليم تقوم عليه العلاقات الاقتصادية فى أوسع نطاق ممكن ، كما تتوقف على وجود عملة ثابتة . ولن يحدث هذا أو ذاك إلا إذا سارع غرب أوربا ووجه همته إلى تحقيق نوع من الاتحاد يضم أقاليمه . ويجب على الولايات المتحدة أن تتحرى سياسة ترمى إلى تشجيع هذا الاتحاد .

٤ — إن اتساع هـذه المهمة وتنوعها يتطلبان من أمريكا أن تخصص لها رجالا موهوبين من خيرة أبنائها وأوسعهم سلطاناً .

وعلى الولايات المتحدة أن تتبع فى سياسة التعمير قواعد الحرب الأساسية — أى أن تحشد قوى مجمعة فى مواقع هامة قد أجيد اختيارها . وهذه القوى الأمريكية المجمعة هى الآلات والمواد الخام والكفاية الفنية . أما المواقع الهامة فقد وقع عليها اختيار الزعماء الثلاثة .

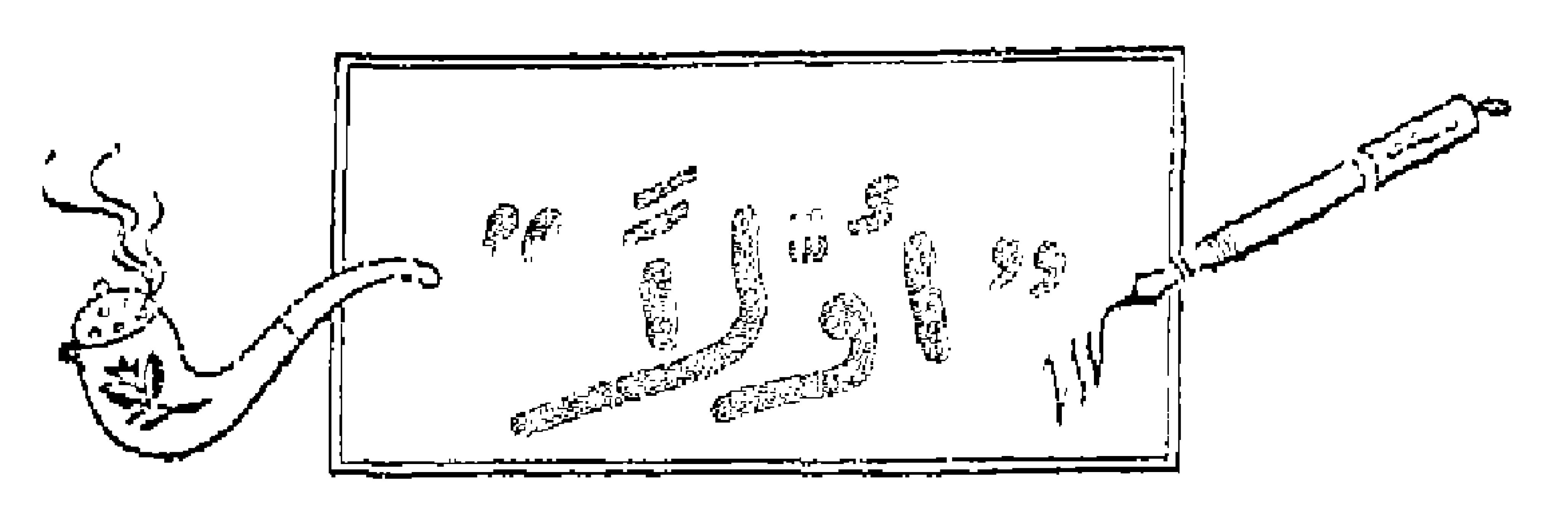
وسـواء أحببنا أم لم نحب ، فإن أوربا ستنقسم قسمين : منطقة النفوذ الروسى ، ثم غرب أوربا . وستشمل المنطقة الأولى كافة الممالك الأوربيـة إلا الدنمرك ، وهى تنتج عادة من الطعام ما يزيد عن حاجتها . وقد وصف أحد الثقاة المتازين ما عسى أن يحـدث فى غرب أوربا بهذه العبارات الجلية : « إن غرب أوربا سيلقى كثيراً من الجهد والعنت ، لأن روسيا لن تترك الطعام الفائض فى المناطق التى تحتلها يجتاز غرباً » .

وإذا ظل النظام الاجتماعى فى أوربا الغربية الصناعية يتدهور ، فإن ذوى الحاجات من المعوزين سيستميل الطعام قلوبهم نحو الشرق ، أما إذا أفلح التعمير فى تعميم الرخاء ، فإن أقاليم غرب أوربا ستنضم يداً واحـدة فى « جماعة المحيط الأطلسى » . وإن مصالح أمريكا لتدعوها إلى تشجيع الأمر الثانى .

ولسنا نشك إلا قليـلا ، أن منـاطق أوربا الخاضعة لروسـيا ستحاول أن تكتفى حاجاتها بنفسها . وسيتوقف مستقبل السلم الدولى والمشروعات الأمريكية على ما عسى أن يفعله الشطر الآخر من أوربا فى هـذا الصدد . وهذا يتوقف على نوع الدفعة التى تبعث بها أمريكا حركة قد همدت فى أوربا .

وإن الولايات المتحدة لم تتخذ نقص المواد الخام والسفن علة تعوقها عن إحراز النصر ، فقد تغلبت على هذين بمهارة بالغة ، إذ لم يكن لهـا بد من أن تحرز النصر . فإذا أدركت الولايات المتحدة إلحاح الضرورة الداعيـة إلى التعميـر ، فإنها يجب أن تتغلب على ما تلاقيه من نقص مرة أخرى ، وما ذلك إلا لأن تعمير أوربا . هو من خطر الشأن بمنزلة تحريرها .

الرجل الذي يعرف ما كان من كل شيء



مورت وايزنجر . . مختصرة من مجلة « ليبرتي »

منذ عهد قريب ، امتحن جوزيف ناثان كين ، ثلاثة من أساتذة التاريخ في نيويورك امتحاناً بسيطاً عن أول من صنع أشياء شتى تمت في القرن التاسع عشر ، فسقطوا جميعاً في الامتحان . ولما أقام لهم الدليل على أن روبرت فلتون لم يكن أول من اخترع الباخرة ، وأن توماس إديسون لم يكن هو الذي صنع أول مصباح كهربائي ، وأن ريمنجتون لم يكن صاحب أولى الآلات الكاتبة ، حثه الأساتذة على أن يكتب رسالة في الموضوع ، فكان جوابه أن أحالهم على مجلدين ألفهما ، عنوان الأول « مشاهير الأوائل » وعنوان الثاني « ذيل مشاهير الأوائل » وهما محفوظان في كل مكتبة في الولايات المتحدة ، ويجاريان في شدة الإقبال عليهما « تقويم العالم » الذي تصدره صحيفة « الورلد » (العالم) ، وغيره من كتب المراجعة المشهورة كالتقاويم ودوائر المعارف .

وفي سنة ١٩٤٠ بدأ كين يذيع سلسلة أحاديث لاسلكية عن « مشاهير الأوائل » ، فعرض فيها حقائق السابقين الأول إلى أشياء كثيرة ، مثل كلارنس بردزآي الذي أتقن طريقة تجميد الطعام ، والكولونيل جاكوب ربرت النيويوركي الذي كان منتخبه المعروف باسم « يانكيز » أول منتخب ظفر في مباراة « بيس بول » ثلاث سنوات متوالية .

وفي أحد هذه الأحاديث قدم كين إلى المستمعين رجلا من ولاية كونكتيكت يدعى تشارلز هوايتهيد ، فوصفه بأنه « ابن جوستاف هوايتهيد ، أول رجل طار بآلة أثقل من الهواء — قبل أن يطير الشقيقان ويلبور وأورفيل رايت في كيتي هوك بسنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام » . وكان هذا زعماً يهول ، فأنفق كين مئات من الريالات لكي يقنع المرتابين في صحة قوله . وقد أرسل بالبريد على حسابه ألوفاً من صور قصاصات الصحف التي تصف وصفاً مفصلا طيران جوستاف هوايتهيد البافاري في ١٤ أغسطس سنة ١٩٠١ ، مسافة نصف ميل بطائرة ذات

محرك خاضع للطيار . ثم عزز القصاصات بصور إحدى عشرة شهادة وقعها شهود العيان .

فإذا كنت أول جندى أسر يابانياً حياً ، أو أول امرأة أحرزت سبقاً فى لعبة ما ، فثق أن كين قد خلد هذه الحقيقة للخلف من بعدنا . وقد قضى ربع قرن وهو ينبش السجلات القديمة باحثاً عن حقائق الذين كانوا السابقين حقاً ، وقد كشف حتى الآن ٦٠٠,٠٠٠ منهم .

مثال ذلك : «كان أول رجل أعدم فى الولايات المتحدة ، هو جون بيلنجتون فى سنة ١٦٣٠ » ... «كانت المبارزة الأولى فى الولايات المتحدة فى ١٨ يونيو سنة ١٦٢١ بين جنديين » .

وعكوف كين على جمع هذا الضرب من الحقائق فى حياة أمريكا يدر عليه ما يقارب ٢٥ ألف ريال كل سنة . وقد ألف الآن أن يسمع جرس تليفونه يضرب فى كل ساعة من الليل أو النهار ، ليسأل فى تحقيق أمر قد ورد ذكره فى أحاديث الراديو ، قبيل موعد إذاعتها ، وهو يجيب راضياً — ويتقاضى الأجر .

ففى السنة الماضية وقف العمل فى فلم فى هوليود ، تقدر نفقاته بمليون ريال ، انتظاراً لنتيجة حديث تلفونى مع كين فى نيويورك ، سئل فيه عن تاريخ أول شمسية كانت فى الولايات المتحدة ، فكان رده أن الشمسية لم تكن معروفة فى أمريكا قبل سنة ١٧٧٢ ، فاضطر مؤلفو الرواية أن يعيدوا كتابة جزء منها .

وقد أسفرت العناية العظيمة بإذاعات كين ، عن اهتمام متحف نيويورك ، بإعداد معرض عن مشاهير الأوائل ، فخصص دور كامل لثلاثة آلاف من الحقائق التى كشفها كين ، وقد نجح المعرض نجاحاً عظيما — ولكنه أرهق كين . فإن مئات من الزوار الذين يتشوفون إلى الظفر بمكان بين «مشاهيره» غمروه بسيل من دعواهم . وقد قدم إليه أحدهم طبلا ، وزعم أنه أول طبل كتب عليه اسمه جاك دمسى الملاكم . وعرض آخر كرة جولف وقال إنها أول كرة جولف وضعت على رأس إنسان ، ثم قذفت عنه بإحدى عصى الجولف .

كان كين منذ سنين مكاتباً لاتحاد صحفى فى مدينة وشنطن ، فدأب على زيارة مكتبة الكونجرس ومكتب تسجيل المخترعات ، منقباً فى السجلات التاريخية عن قصص المخترعين الأمريكيين ، ففتنه ما وجد . فاقترح على ناشر أن يؤلف كتاباً فى هذا الموضوع ، فشجعه الناشر على المضى .

ثم ظفر كين بعمل بائع طواف ، فقضى

السنين العشر التالية يجول فى كل مدينة أمريكية يزيد عدد سكانها على ثلاثة آلاف ، وكان يزور فى كل منها المنشآت التاريخية ودور الكتب ، والكليات والمحاكم . وكثيراً ما كان يظل جائعاً لأنه كان ينفق مرتبه على تصوير الوثائق النفيسة ، وتسجيل شهادات المخترعين . وفى شهر إبريل من سنة ١٩٣٣ ، أتم كين الصفحة الأخيرة من كتابه « مشاهير الأوائل » الذى يملأ ٧٧٩ صفحة .

والذين يجنون فائدة مما يكشفه كين ، يغدقون عليه الهبات دليلا على تقديرهم له . فقد كشف مرة اسم رجل قد مات منذ زمن بعيد — كان أول من اخترع جهازاً مشهوراً من أجهزة المطبخ ، فجنى وارث ذلك المخترع ربحاً وافراً من الشركة التى تصنعه . وأنت ترى كين يسوق سيارة خاصة من طراز بويك أهداها إليه هذا الوارث .

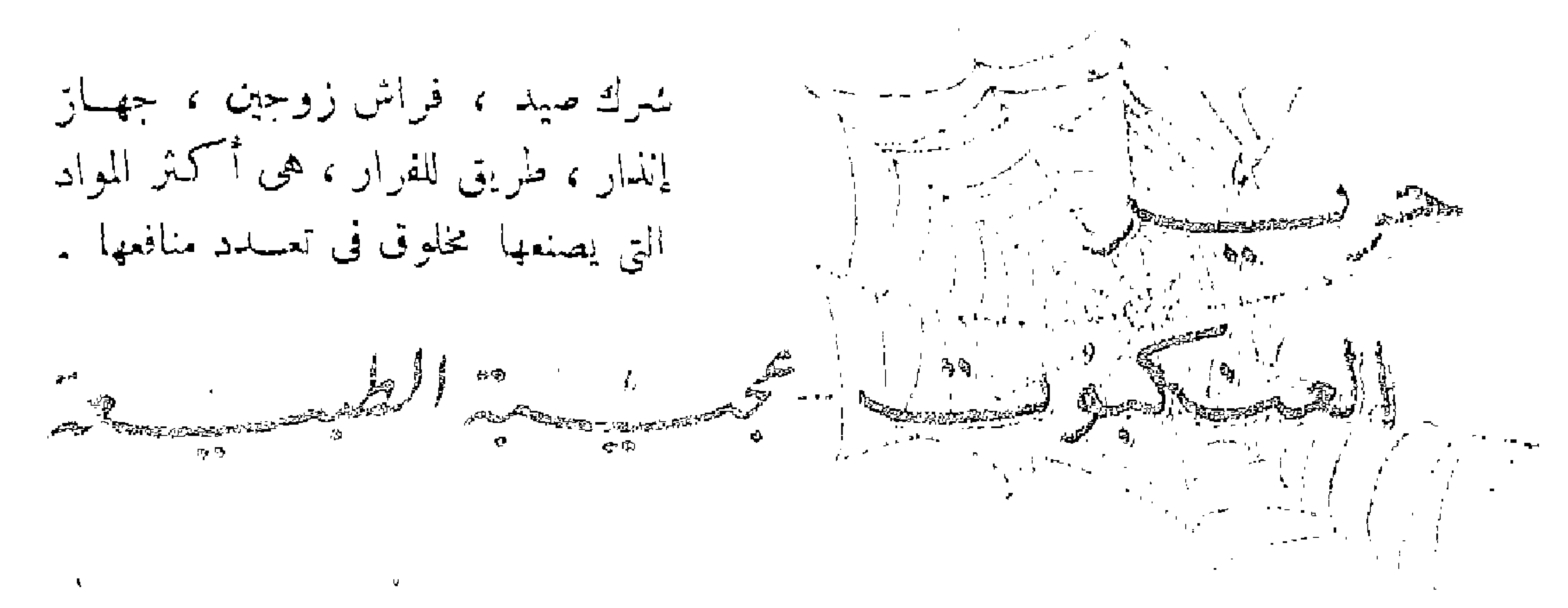
وقد اتخذ كين مسكنه ومكتبه فى شقة فى نيويورك مؤلفة من ثمانى حجر ، وأنت تراها غاصة بخزائن الجذاذات وليس فيها حجرة خالية منها ، حتى الحمام قد وضع فيه كين حوضاً يملؤه بمادة كيميائية تعينه على حفظ وثائقه من البلى . وقد أوصى أن تحفظ كل أوراقه بعد موته فى مكتبة الكونجرس فى وشنطن وغيرها من المنشآت الجليلة .

ومن عجيب أمره أن الحقيقة التى أرهقه البحث عنها كانت ماثلة بين سمعه وبصره دون أن يفطن لها ، فقد ظل ثلاث سنوات ينقب فى مجلدات الصحف ومجلات الطيران القديمة ، باحثاً عن أول رجل طار بطائرة من ذوات السطح الواحد . وكان قد يئس يأساً من العثور على ضالته أو كاد ، يوم ذهب إلى طبيب أسنانه الدكتور هنرى والدن ، فقال له كين إنه يجود بناب من أنيابه لقاء أن يظفر باسم أول رجل طار بطائرة من ذوات السطح الواحد .

فقال طبيب الأسنان : إذن فسآخذ منك هذا الناب . وأطلع كين على دفتر قصاصات قد حال لونها لطول العهد بها ، فإذا هى تثبت أن الدكتور والدن كان أول أمريكى طار بطائرة من ذوات السطح الواحد فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٠٩

إنما وهب الإنسان الخيال لكى يعوضه من نقصه ،
وأعطى روح الفكاهة لكى تعزيه عن حقيقته .

شرك صيد ، فراش زوجين ، جهاز إنذار ، طريق للفرار ، هى أكثر المواد التى يصنعها مخلوق فى تعدد منافعها .



حرير العنكبوت عجيبة الطبيعة

دونالد كلروس بيتى • مختصرة من " سينتفك أمريكان "

للعنكبوت فى حريرها الذى تنسجه منافع أكثر من منافع الصلب للمهندس . نعم فهذا النسيج الهفهاف البديع أمتن من صلب يُمْطَل حتى يصير خيطاً دقيقاً قطره $\frac{1}{1000}$ من البوصة ، وهو قطر خيط العنكبوت .

والعناكب تنسج ضرباً من الحرير تقضى به كل حاجة ، فتستعمله شركا ، ومائدة ، وفراشاً ، وملاءة لف ، وجهاز إنذار ، وطريقاً للفرار ، وقيداً ، وسبيلا للانتقال . فهو أكثر المواد التى يصنعها مخلوق حى فى تعدد منافعه .

من هذا الحرير نوع خشن تتخذه فى إنشاء هيكل متين لبيتها ، ومنه نوع آخر تتخذه فى صعودها وهبوطها ، وثمة حبل جاف تصنع منه الخطوط التى تتفرع من مركز بيتها فتسير عليها لتستقبل ضيوف العشاء . ولكنها تمد لضيوفها خطوطاً تأبى هى أن تطأها بأقدامها : لأنها لزجة تلصق .

ومنه نوع آخر غليظ الخيوط زاهى اللون ، تتخذه لتضع فيه بيضها كأنه ملاءة يلف بها الطفل .

وكل نوع من النسيج تفرزه غدة خاصة فى بطن العنكبوت . وغدد الحرير المعروفة سبع ، ولكن ليس فى العناكب نوع تجد فى جسمه الغدد السبع جميعاً ، بل لجميع أنواعها ثلاث غدد على الأقل ، وفى كثير منها أربع غدد ، ولكل غدة قناة إفراز تختلف عن أختها شكلا . أما العنكبوت فلا تتأنى حتى تتخير الغدة التى تستعملها ، كما لا تتأنى أنت حتى تتخير العضلات التى ينبغى لك أن تحركها لكى ترد إصبعك عن نار تحرقها .

وما تفرزه غدد العنكبوت حرير ولا ريب كالحرير الذى تخرجه دودة القز ، ولكن هناك فروق بين حرير دودة القز ونسيج العنكبوت ، وهذه الفروق تجعل نسيج العنكبوت أفضل ، فهو أدق وأنعم

وأمتن من الحرير الذى يباع ويشترى .

ويكاد حرير العنكبوت يكون أرق الجوامد ، إذا استثنينا رقائق الثلج .

على أن العجب العجاب ليس فى حرير العنكبوت بل فى الحشرة الصغيرة التى تنسجه ، فالعناكب تستطيع بطريقة ما ، أن تقيس الزوايا وأن تقسمها ، وأن تقدر متانة المواد وشدة الضغط ، وأن تحسب حسابها ، وأن تلائم بين ما تضعه وما تراه . وهى تستعمل العوارض فى تدعيم البناء ، وتلحم مفاصل البيوت التى تبنيها - أو تفعل ما يشبه الالحام .

وليست كل العناكب تنسج بيوتاً ، والإناث من ناسجات البيوت هى خير ما ينسج ، أما الذكور فتصنع على الأكثر بيوتاً غير دائمة ، كأنها « منازل العزاب » أو تقيم فى بيوت الإناث . وأكبر الظن أن أنواع بيوت العنكبوت متعددة كتعدد العناكب التى تنسجها ، وأبسطها خيوط قذرة ليس لهـا شكل معين تنسجهـا عناكب المساكن . وثمة بيت آخر أجمـل وأدق تنسجه « عناكب العشب » ، فهى تصنع سطحاً كأنه غشاء رقيق ، وفى مؤخرته مخبأ كالقمع ، ويغلب أن تحوك فوقه نسيجاً قائماً يلتقط الحشرات الطائرة ، فتسقط فى « حجرة الاستقبال » حيث تلصق فتنطلق مضيفتها إليها من القمع مرحبة بها .

وأعجب ما يبلغه فن العنكبوت ، بيت كأنه الفلك المدار ، وهو يبنى على طريقة العجلة تتفرع دعائمها من المركز ، ثم تعزز بخطوط تصل أطرافها كمحيط الدائرة . وهذا البيت تبنيه ضروب شتى من العناكب أعمها « عناكب الحدائق » .

وأكثر العناكب يعمل ليلا ، ولكننى شاهدت منذ عهد قريب إحـداهن تغزل غزلها فى النهار ، وكان اسمها « ميراندا » كما تسمى فى كتبى العامية ، وهى سوداء ذات خطوط صفر ، وكانت قد غزلت ضلعين من هيكل مثلث ، وكان من خيط غليظ متين تستعمله العناكب خاصة لهـذا الغرض . وكان أحـد الضلعين عمودياً ، والآخر ينحدر انحداراً قليلا من أعلى الضلع العمودية . وها هى قد بدأت تصنع الضلع الثالثة ، فتسلقت إلى أعلى الضلع العمودية ، وهى تفرز فى صعودها خيطاً جديداً أرسته عند قاعدة الضلع العمودية وأمسكته بقائمتيها الخلفيتين . وقد جهـدت فى تسلقها ، ثم مشت على الخيط المنحدر ، ولكنها لم تمش كما تمشى الراقصة على حبـل ممدود ، بل تعلقت به من أسفل . وحين بلغت نهايته ، وقفت وشدت الخيط الذى كانت قد حملته بين قائمتيها حتى صار كالوتر المشدود ، ثم أثبتته بقليل من مادة حمضية تفرزها غددها ،

ثم لما بدأت صنع الضلع الثالثة ـ القاعدة ـ من مثانها .

وعندئذ أخذت تستريح قليلا ، فقد كانت في حاجة إليها . وصار عليها الآن أن تحل مشكلة مد الخطوط المتشعبة من المركز أو دعائم العجلة ، فمشت إلى منتصف الجانب الأعلى من المثلث ، حيث علقت طرف خيط جديد ثم هبطت إلى الجانب الأسفل حيث أثبتت طرفه الآخر . ثم تسلقت مرة أخرى لتحاول أن تتبين المركز . وقد فعلت ، ولسنا ندرى على أية قوة استطاعت أن تعتمد فى قياس البعد . وهذا المركز ، هو مركز العجلة التى تنسجها . فأثبتت فيه طرف خيط جديد حملته معها فى تسلقها إلى أعلى المثلث ، ثم زحفت مسافة على رأس هيكلها ، ثم أخذت الخيط الجديد المسترخى وأثبتته . فعندها الآن إحدى دعائم العجلة ، أو ثلاث دعائم إذا عددنا ضلعى الزاوية وهما الدعامتان الأوليتان . وكذلك مضت تمد من المركز دعامة بعد دعامة .

ولكنها لم تصنع هذه الدعائم واحدة تلو أخرى ، فإنها لم تشأ أن يشتد الضغط على جانب واحد من العجلة ، ولذلك بنت ناحية من العجلة أولا ثم الناحية التى تقابلها ، ثم النواحى التى إلى يمين المركز فالتى إلى يساره ، ثم استراحت بعد ذلك . ثم بنت منبراً صغيراً سوف تتخذه مقراً لها فى المستقبل ، ثم واصلت عملها فى مد دعائم العجلة .

فلما أتمت عشرين دعامة ، تنحت ميراندا قليلا عن منبرها ، وكانت قائمتاها الأماميتان على إحدى الدعائم ، والخلفيتان على دعامة أخرى ، كأنها تقيس انفراج الزاوية بين الدعامتين .

وكانت راضية فى أول أمرها ، ولكنها وجدت زاوية يبلغ انفراجها ضعفى ما يجب ، فسارعت ووضعت فيها دعامة جديدة ، هى الدعامة العشرون . وقد تكون ميراندا عاجزة عن العد ، ولكنها كانت قادرة على تقدير انفراج الزوايا تقديراً أدق مما يستطاع بمسطرة . ثم بدأت تنسج خطاً حلزونياً مبتدئة من مقرها ، لتعزز به الأضلاع حتى تستطيع أن تتحمل الضغط الذى ستعرضها له . وجعلت دورات الخط الحلزونى أربع دورات ونصف دورة .

ثم مشت إلى طرف إحدى الدعامات السفلى ، وجعلت لأول مرة تفرز مادة لزجة ، وقد رأيتها منبثقة من غددها تلمع كقطر الندى ، وهى مادة مطاطة أيضاً فلا تنقطع ، والفريسة التى تقع فى حبائلها تزداد ارتباكا كلما زادت نشاطاً فى الخلاص منها . وألقت ميراندا بضع خيوط منها على أسفل النسيج وأخرى فى أعلاه ، وجعلت هذه

الخيوط متلاحقة ، وفى عودها من الخارج إلى المركز ، لقيت الخط الحلزونى الذى مدته من قبل ، فقطعته كما يقطع الخياط خيوط التسريح (التسريح : الخياطة المتباعدة) . فهى لا تريد أن يبقى هذا الخط الجاف بمنزلة سلالم تصلح لفرار ذبابة . ولا تكاد تزيله حتى تحل محله حلقات لزجة ، ولكنها تكف عن نصب هذه الحلقات قبل الوصول إلى مقرها .

وأخيراً تتم هذه المعجزة الصغيرة التى استغرقت جهد أربع ساعات ونصف ساعة ، بما فيها فترات الاستراحة القصيرة . إنه لأشد تعقيداً من أى بناء يبنيه كائن حى . وعش الطير يبدو عنده عملا غير متقن ، أما خلية النحلة فتبدو عملا هيناً .

وقد كفت ميراندا عن العمل ثلاث مرات من جراء اصطدام الذباب بالشبكة التى لم تتم ، وفى كل مرة كانت ميراندا تسرع ساعية على إحدى الدعامات لكى تلدغ الزائر لدغة واحدة ، وقد كانت القطرة القليلة من السم كافية أن تشلها لساعتها . ثم تبدأ ميراندا فى تكتيفه ، فترى الحرير مندفعاً من بطنها كاللبن ولكنه يجمد من فوره . وتشترك قوائمها الخلفية والأمامية فى لم شعث الخيوط ولف الفريسة الساكنة بها . وحين غابت الذبابة عن النظر ، عادت ميراندا إلى عملها ، وما يضرها أن يتأخر وقت عشائها .

والعنكبوت تفترس الجراد وشتى أنواع الحشرات الضارة . وقد وقعت فى شراك نسيج العنكبوت فئران وحيات ، وفى وسع بعض العناكب أن تقتلها .

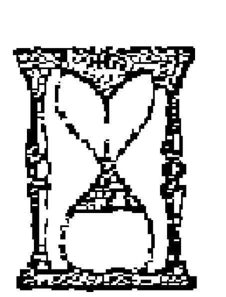
وتتخذ بعض العناكب الأسلاك الفضية فى النسيج خطوطاً كخطوط التلفون ، فيقف الذكر على طرف الشبكة ويجذبها حتى تخرج الأنثى لاستقباله ، أو قد ترد عليه بأن تجذب هى الخيوط هنيهة ، فكأنهما يتبادلان حديثاً تلفونياً .

وفى بعض ليالى الخريف ترى بعض أنواع العناكب تميل إلى الرحلة ، فتغزل خيطاً من حرير وتطلقه يسبح فى الهواء حتى يبلغ من متانته أن يحمل ثقلها ، ثم تنطلق ساعية عليه . وقد تنزل ألوف منها فى مرج واحد ، ومن يبكر فى اليقظة ير تلك الظاهرة العجيبة ، «ظاهرة سقوط حرير العنكبوت» كأنما هبط من جو السموات .

ولقد وجد الإنسان فى حرير العناكب منافع له . ففى مدغشقر يصنع من حرير بعضها ضرب من النسيج تغزل خيوطه العناكب الحية ، فتفتل ثم تنسج . وفى أمريكا يستعمل حرير العناكب فى بعض مناظير الفلك . وقد عكف عشرة أو اثنا عشر من المتخصصين

على تربية العناكب ، لـكي تنتج لهم أفضل حرير من هذا القبيل ، فهم يلتمسون منها خيطاً متيناً مطرد الكثافة ، غير قابل للمط.

وجميع العناكب سامة ، ففي كل منها قطرة قليـلة من السم تشل بها فرائسها ، ولـكن في البعوض والنحل مثل ما فيهـا من السم ، وهي أميـل منها إلى اللسع . وبعض الناس لا يستطيع أن يتغلب على خوفه من العناكب ، وكل امرىء تقريباً يعدها شيئاً بالغ البشاعة، أما أنا فأرى كثيراً منها ظريفاً ، وبعضها جميلا حقاً . وإن لم يكن بد لك من أن تخاف شيئاً أو أن تتقزز من شيء فأخلق أن يكون الذبابة التي تراها ، والتي تترك ما يعلق بها من جراثيم التيفود على زبدك وطعامك . وأما العنكبوت فعدو الذبابة الذي لا يغفـل — هي صديقك وحليفك بالليل والنهار .



هذا هو الجاني

كان وكيل المباحث الجنائية في إحدى الولايات الغربيـة جادا في إثر مجرم فارّ . فلما تلقى نبأ بأن المجرم متجه إلى مدينة صغيرة ، اتصل وكيل المباحث بمدير الشرطة المحلية ، فقال المدير : « أرسل إلى صورة هذا الرجل وأنا أقبض عليه » . وفي تلك الليلة أرسل الوكيل إلى المدير عشر صور لا صورة واحدة — صورة تمثله واقفاً وقاعداً ومرتدياً ملابس شتى ، وتظهر وجهه وصدغيه إلخ . فلم تنقض أربع وعشرون ساعة حتى تلقى وكيل المباحث إشارة تلفونية صاعقة : « قبضنا على تسعة من هؤلاء المجرمين ، وأعد بالقبض على العاشر قبـل أن يتنفس الصبح » !

[فلتون أورسلر]

* * *

اقترض جـون روكفلر ذات يوم نصف فرنك من سـكرتيرته أجراً للسـيارة من مكتبه إلى داره . فلما خرج من المـكتب قال : « لا تنسي أن تذكريني بهذه الصفقة » . فقالت : « ليس هذا شيئاً يذكر » فصاح بها : « ليس هذا شيئاً يذكر ! إنه فائدة ريال في سنتين » .

[جورج تلتور أبشور]

الشخصيات التي لا تنسى

روث ليونز

كنا نسكن في بيت تقيم بالطابق الارضي منه أسرة تسمى باولوس ، وكنت يومئذ في الثانية عشرة من عمري . ودخلت الزوجة هذا المسكن وهي عروس ذات بهاء ورقة ، لها بشرة ناعمة يزيدها الشحوب جمالا ، وعينان زرقاوان صافيتان كالفيروز غائرتان قليلا ، تحيط بهما هالة من ظلال . أما زوجها فكان رجلا ضخماً بديناً أسمر اللون ، ليس فيه شيء من رقة قرينته وسحرها . وكان بعض الناس يزدري مسز باولوس لأنها يونانية ، ولأن زوجها صاحب متجر صغير لبيع الحلوى ، ولكن هذه الأشياء ذاتها ، كانت لا تزيدني إلا اهتماماً بها.

رأيتها أول ما رأيتها جالسة أمام باب الدار ، فابتسمت لي وقالت : « ألست يا بنيتي ساكنة في الطابق الأعلى ؟ أليس كذلك ؟. ما أجمل أن يسكن المرء حيث يجد جيراناً . خذي هذه الحلوى — زوجي هو الذي يصنعها » . لم ألق إلى الحلوى بالا ، فقد انصرف همي حينئذ إلى التعجب من رؤية خاتمها الذهبي في الإصبع الوسطى من يدها اليمنى ، فقلت لها : « أراك قد أخطأت موضع الخاتم » .

فضحكت وقالت : « لا يا حلوة ، فإن اليد اليمنى هي موضع الخاتم عند اليونان » .

ثم استطردت تحدثني عن مسكنها الجديد وإعجابها به ، وعن زوجها ومتجره ، وعن أختها إيرين .

ومرت أيام ومرضت المسز باولوس ، ثم تماثلت ، ولكن المرض ظل ينتابها ، فكنت أجالسها في وحدتها ، وقد يأتي زوجها البدين إلى الدار بعض الأحيان أثناء النهار ليتحفها ببعض الطيبات ، ويطوف حولها ويحنو عليها وهو بادي القلق ، على طريقته الجافية ، ثم تبل فتغدو وتروح سعيدة راضية تثني على جيرانها جميعاً لما لقيته من رقتهم وعطفهم .

لم أكن أبالي شيئاً بمعرفة نوع علتها ، فإن الطفل يرى المرض عارضاً لا يثير دهشة ، بل لم أدرك ما علتها حتى حين أفضت إليه

مخاصة بأن مرضها يمنعها أن تحمل طفلا ، فوقع فى نفسى أنها تعنى بذلك أنها صارت من الضعف بحيث لا تطيق أن تحمل طفلا على ذراعيها .

وحدث مرة أن قالت مهتاجة : « ما أشد لهفتى على الولد ! » فرددت عليها بجواب ظننت أننى ضمنته من الحكمة ما يسرى عنها فقلت : « صبراً ، سيكون لك ولد فكل زوجة تلد » . فانبسطت أسارير وجهها وانبعثت منها تلك الضحكة الجذلة الصافية التى كانت تحببها دائماً إلى .

ومسز باولوس امرأة ودود ، فهى لا تزال تهدى إلى جيرانها شيئاً من حلوى زوجها أو من أشغال الإبرة التى تتقن هى صنعها . وإذا خرج بعض الجيران فى سهرة ، والتمسوا من يرعى لهم أطفالهم ، رأيت مسز باولوس تسارع فى نجدتهم . وقد قالت أمى ذات مرة : « هى أعظم من رأيت من النساء إيثاراً » . فلما أعدت هذا القول على مسمع مسز باولوس قالت : « إنى لأجد فى ذلك متاعاً ، فوقتى يتسع لخدمة جيرانى ، وأنا امرأة ليس لها ولد » .

وحين رأيت أختها إيرين رأيتها هى أيضاً جميلة ، وإن لم تكن مثلها جمالا ، فإيرين فتاة تستبد بها نهمة الحياة الدنيا ، وفيها خفة ونشاط واهتياج ، تجتاز الباب خطفاً فيسطع فى الجو عطرها المسكر ، وتقبل أختها ، وتظل قليلا تثرثر مرحاً .

فما هو إلا أن تسمع صوت نفير سيارة ينطق بأن الصبر قد نفد ، فتنطلق إيرين تجرى مهتاجة لتخرج مع أحد المعجبين بها.

وتقول مسز باولوس بهدوء : « إنى بها لمعجبة ! فقد ظفرت بعمل جيد ، وهى أنيقة تعرف كيف تلبس ، ولكننى أود لو تتزوج وتقر فى بيتها » .

ولما أوشك الصيف أن ينصرم لاحظت كأن إيرين قد فقدت شيئاً من توقدها ، ولا أدرى أتبينت مسز باولوس ما تبينت ، فإن إيرين كانت تتعمد أن تظهر ابتهاجاً لأختها لتدخل السرور على قلبها .

وعاود المرض مسز باولوس مرة أخرى فى شهر أغسطس ، فقضيت وقتاً طويلا فى صحبتها ، وغلبنى النعاس ذات يوم وأنا على أريكة فى غرفة نومها ، ثم انتبهت على أصوات أسمعها كأنها وسوسة فى حلم تأتى من بعيد .

وسمعت مسز باولوس تقول : « يا إيرين لا أراك على ما يرام ، وما أكثر لهوك وعبثك ! وأجدر بك أن تتزوجى وتقرى فى بيتك ، وتكون لك ذرية كثيرة » .

ساد الصمت لحظة ثم أرسلت إيرين ضحكة قصيرة جافية .

واستطردت مسز باولوس تقول : « ما أردت لك إلا الخير يا إيرين » وخفت صوتها قليلا ثم عادت محتدة تقول : « لو قدر لى أن أحمل طفلا واحداً . . إننى جد حريصة . فلست أجازف فأحمل الأثقال أو أجهد فى عمل ، ومع ذلك فلا يستقر فى جوفى جنين » .

كنت أحاول أن أدرك ما تقول ، فإذا إيرين تنتحب باكية بكاء الجزع ، وصرخت قائلة : « آه ! رباه ! لست أدرى ماذا أفعل ، ماذا أفعل » .

فتحت حينئذ عينىّ وأنا فى تمام اليقظة ، ولكنهما لم تشعرا بى لانهماكهما فى الحديث ، وهمست مسز باولوس تقول : « ماذا تعنين يا إيرين ؟ » .

رأيت إيرين تتمايل من لوعة الغم وتقول : « حدث ما حدث على رغمى ، فقد كنت مولهة بحبه ، لقد وعد أن يتزوجنى لكنه عاد فنكث الآن وعده » .

أجابتها مسز باولوس همساً كأنها لا تقوى على النطق : « إذن فسيكون لك ولد ؟ »

فعادت إيرين إلى نحيبها وصرخت : « ماذا أفعل ؟ »

ونظرت مسز باولوس إلى أختها التى تحبها حباً جماً ، ثم أطبقت يديها وقالت فاترة الصوت : « خلّ عنك القلق ، فسنجد من هذه الورطة مخرجا » .

ولقد بدرت منى حركة ولا ريب ، إذ رأيتها تلتفت إلى وترانى وتقول لى : « أأنت مستيقظة يا صغيرتى ؟ احملى هذه الحلاوى إلى أمك أيتها الصغيرة اللطيفة » .

فاختطفت صندوق الحلاوى وخرجت من الغرفة أعدو ، فلما بلغت البيت ، ذهبت إلى غرفتى وأغلقت علىّ بابها ، وطفقت أبكى وأنا لا أدرى لم أبكى .

ولما كان الغد أخبرتنى أمى أن مسز باولوس وأختها قد سافرتا إلى الريف طلب لشفاء مسز باولوس .

وما هو إلا قليل حتى ارتحلنا عن هذا الحى ، ومضت خمس سنين لم أر فيها مسز باولوس ، ولكنى سمعت أنها ولدت فى الربيع التالى . ولما كبرتُ قدّرت ما حدث كيف حدث : هذه مسز باولوس التى لا يستقر فى بطنها جنين ، قد اتخذت ولد أختها إيرين وادّعته لنفسها .

وذات يوم كنت خارجة من أحد المتاجر . وإذا بى ألقى مسز باولوس ، ومعها صبية تتوثب . فضمتنى إلى صدرها وقالت مسرورة : « وَىْ ، يا حلوة ، لقد صرت فتاة ممشوقة القد هيفاء ! » ثم استطردت تقول : « هذه إيرين إبنتى ! » .

فقلت معجبة : « ما أجملها من صبية ! »

ثم سألتها عن زوجها ، وبعد تردد قليل سألتها أيضاً عن أختها .

فقالت : « إنها بخير » وما أشك فى أنه كان فى نظرتى ما فضحنى ، فقد همست لى مسز پالوس تقول : « أنت تعلمين ما حدث أليس كذلك ؟ »

فأومأت برأسى أنْ نعم وقلت : « ولكنى لم أفض بسرى إلى أحد » . فقالت : « أعلم ذلك ، فإننى لم أخش قط أن تفعلى » .

وصوبت عينىَّ إلى الصبية الصغيرة وقلت : « ما أسعدها بأن تكونى أنت لها أماً ! » .

لم يبد على محياها شائبة تشوب فرحها ، بل تهلل وجهها بشراً وهى تنظر إلى صغيرتها وقالت بصوت ناعم : « بل أنا السعيدة ! إنها بنتى أنا ، وعما قريب سيرزقنى الله أخرى » .

أحسبنى شهقت عجباً ، فقد قالت : « ماذا بك ؟ » . ثم ضحكت واستطردت تقول : « أحسبتها بنت أختى إيرين ؟ »

وقفت فى مكانى معقودة اللسان ، وأخذ وجهها الجميل يشرق ، ثم قالت : « لقد ألقت إيرين حملها ميتاً . تصورى ! فإيرين القوية الموفورة الصحة تلقى جنينها ميتاً ، وتكون لى أنا هذه الصغيرة السليمة الحلوة ! »

ثم قالت : « وأعتقد أن علتى كانت فى صَرْف همى كله إلى التفكير فى هذا الإخفاق الذى منيت به مراراً ، فلما استأثرت إيرين باهتمامى وتفكيرى ، وكانت فى حال يرثى لها ، لم يبق لى وقت أصرفه فى الجزع على نفسى ، فقد وقفت كل قواى على رعايتها وتدبير أمر ولادتها ، فما كدت حتى شعرت بركض الجنين فى أحشائى ! ولقد أنعم الله على وأحسن بى ، رزقنى زوجاً كريماً وبنتاً حبيبة » ، ثم قطعت حديثها وقالت : « رباه ! على الآن أن أسرع إلى الدار لأطبخ طعام العشاء . ولا تنسى يا حلوة أن تبادرى وتتفضلى بالزيارة » .

لقد ملأ قلبى سروراً أن أرى مسز پاولوس قد جوزيت على محبتها وإيثارها خير الجزاء .

روى جو براون ممثل السينما الهزلى المشهور الرواية التالية فى كتابه : « أولادك وأولادى » ، عن الجنرال ماك آرثر قال : « كان ماك آرثر قد أمر أن تؤخذ صورة له ولى . فقلت فى ذات نفسى : « إن هذا لشرف عظيم » ولكن الجنرال قال : « إن ولدى الصغير يريد هذه الصورة يا جو ، فهو يحب أن يرى والده مصوراً مع رجل مشهور » .

مارك سليفان . مختصرة من صحيفة "نيويورك هيرالد تربيون"

« أمام أعيننا المبصرة جلال العمل ، وضخامة الشخصية التى لا تبذها عظمة فى التاريخ » .

أيها القارىء أنك شهدت العظمة الحق فى زماننا . وإذا كنت قد استمعت من جهاز الراديو الذى عندك إلى ونستون تشرشل فى ساعة نصره ، فإنك إنما كنت تصغى إلى واحد من عظماء التاريخ الحقيقيين .

وإنه ليكون من بواعث الأسف أن ينقصك إدراك هذا ، وأن تحسب أن عليك أن ترجع إلى جيبون وبلوطرخس تنشد عندهما الأبطال وجلائل المساعى ، وأن يفوتك أن تفطن إلى أن أمام عينيك الحيتين جلال العمل وضخامة الشخصية التى لا تبذها عظمة أية شخصية أخرى فى التاريخ . بل إننا لنكون على حق إذا نحن استعملنا صيغة التفضيل وقلنا إن عظمة تشرشل لا يفوقها شىء . ولو لم يكن ثم إلا تقاذف أرجاء الميدان الذى قال فيه وقاتل ، لكان دور تشرشل فى هذه الحرب العالمية كافياً لجعل أبطال رومية واليونان التاريخيين يتضاءل شأنهم نسبيا ، حتى يعود كشأن ممثلين فى رواية ضيقة النطاق .

كانت العظمة مكنونة فيه ، وكان الذى أبرزها فى أبهى صورها هو أن اللحظة الفاجعة انقضت عليه وأناخت بكلكلها حين اضطرت إنجلترا أن تقف وحدها . وقد خلق سقوط فرنسا فى سنة ١٩٤٠ الفرصة لبروز عظمة تشرشل من جهة ، وللأثر المهول الذى كان مقسوماً أن يكون له فى المدنية : « والآن كتب علينا أن نقف وحدنا فى الثغرة الفاغرة .. وإننا إذ نقف خاشعين أمام الله ومدركين مع ذلك أننا نخدم غاية تتبدى ، لمستعدون أن ندافع عن وطننا . وإننا لنقاتل بأنفسنا وحدنا ، ولكنا لا نقاتل فى سبيل أنفسنا وحدها . فهنا فى هذه المدينة القوية التى هى الملجأ الذى تصان فيه وثائق الرقى



الإنسانى . والتى هى ذات قيمة عظيمة للحضارة . نقف متهيئين للهجوم المرتقب لا جزعين ولا فرقين . . . ولن نخور أو ننكل ، ولن تنال منا صدمة المعركة المفاجئة ، أو طول محن اليقظة والإجهاد . . . فلنشدد إذن لأداء واجباتنا ، وليكن سلوكنا بحيث إذا بقيت الدولة البريطانية وجماعة أممها ألف عام لا يسع الناس إلا أن يقولوا : «كانت هذه أروع ساعاتهم !» .

اقرأ كلام تشرشل هذا فى الأيام السود فى سنة ١٩٤٠ وأوليات ١٩٤١ ، ثم اذكر أن الزمن راح يتكشف ببطء عما يطويه ، حتى قسم لتشرشل أن يعلن فى ٨ من مايو سنة ١٩٤٥ :

« فى الساعة الثانية والدقيقة الحادية والأربعين من صباح أمس وقع الجنرال جودل ممثل القيادة الألمانية العليا وثيقة التسليم بغير قيد أو شرط . فالحرب الألمانية إذن قد انتهت . . . حفظ الله الملك ! » .

واجعل بالك إلى فرق ما بين هاتين العبارتين — بلاغة تشرشل المثيرة حين كان الخطر الوبيل محدقاً به ، وبساطة عبارته لما جاء النصر — وهذا مظهر من مظاهر العظمة فى نفس تشرشل : إن النصر لا يحركه ، ولكن يحركه الكفاح والخطر إلى حد رائع . وقد كان موقفه فى الـ[illegible] استجابة طبيعية من شخصيته لما يهيب بها . لما كانت الكارثة تنذر بالحلول ، لم يحتج أن يدعو إليه شجاعته ، فقد كانت الشجاعة بعض كيانه كأوردته وشرايينه .

وقد كان جانب من عظمة تشرشل فذاً . فقد اجتمع فى شخصه الفعّال والقوّال ، وأوتى موهبة العمل وموهبة الكلام . واجتماع هذين غير معهود . ومن النادر فى أصحاب المناصب العالية أن يرزقوا الملكة التى تؤهلهم لاحتمال المسئوليات وملكة الإعراب عما فى نفوسهم فى الوقت نفسه . وسيظل كلام تشرشل يروى ما بقى شعر شكسبير يروى ، فما كان رجل العمل دون الشاعر فى نطاق الموضوعات التى تناولها الاثنان .

وضع شكسبير رواية على ملك إنجليزى خاض معركة قبل قرنين ، وتخيل ما كان يمكن أن يقوله الملك لجنوده ، فكتب ما يعد من أرفع صيحات الحرب فى الأدب

« كرة أخرى على الثغرة أيها الإخوان الأعزاء ! كرة أخرى : أو سدوا الجدار بقتلانا الإنجليز !

« . . . قلدوا عمل النمر :

«شدوا العضلات وأهيبوا بالدماء أن تفور»

فهذا رجل أديب يتخيل ما كان يمكن أن يقوله قائد قبيل المعركة ، أما ما قاله تشرشل فمن الواقع . وقد دوّنه المختزلون .

وكان تشرشل هو الزعيم المحارب ، وكان هو شاعر نفسه . وقد تولدت صيحة شكسبير من خياله الملتهب ، أما صيحة تشرشـل فاستطارت من وقدة العمل والمسئولية . وإذا قارنا العبارتين — ما تخيله شكسبير وهو فى مكتبه النائى وفى حماه ، وما تدفق به فم تشرشل وهو ينهد للعدو — فإن كلمات تشرشل تبدو أوفر نصيباً من الحقيقة ، ومن البلاغة الصادقة التى تصاحب الحقيقة :

« هلم بنا إذن ! ولننهض إلى الواجب ، إلى الحومة ، إلى الكدّ ... وسنقاتل على الشواطئ ، ونقاتل على المهابط . ونقاتل فى الحقول وفى الشوارع ، ونقاتل فى الجبال ، ولن نستسلم أبداً » .



من منابعها تستقى الأخبار !

قص علينا وستبروك بجلر كيف استطاع والده مرة أن يظفر بسبق صحفى عن قصة مدير مصرف فى شيكاغو اختلس أموال المصرف وهرب بها . قال : « دخل غرفة الاجتماع حيث كان المراجعون يطلعون على الأوراق ووضع عصاه وقفازيه على المائدة ، وقال : « لنتكلم يا حضرات الأفاضل فيما هو أمامنا من عمل ! » وظنه المراجعون محاميا عن المصرف وظنه المحامون مراجعاً ، حتى قام يريد أن يلحق طبعة من طبعات صحيفته وعندئذ سأله أحدهم « ومن تمثل ؟ » فأجاب والدى : « صحيفة شيكاغو أمريكان » وانحنى وخرج » .
[مجلة تايم]

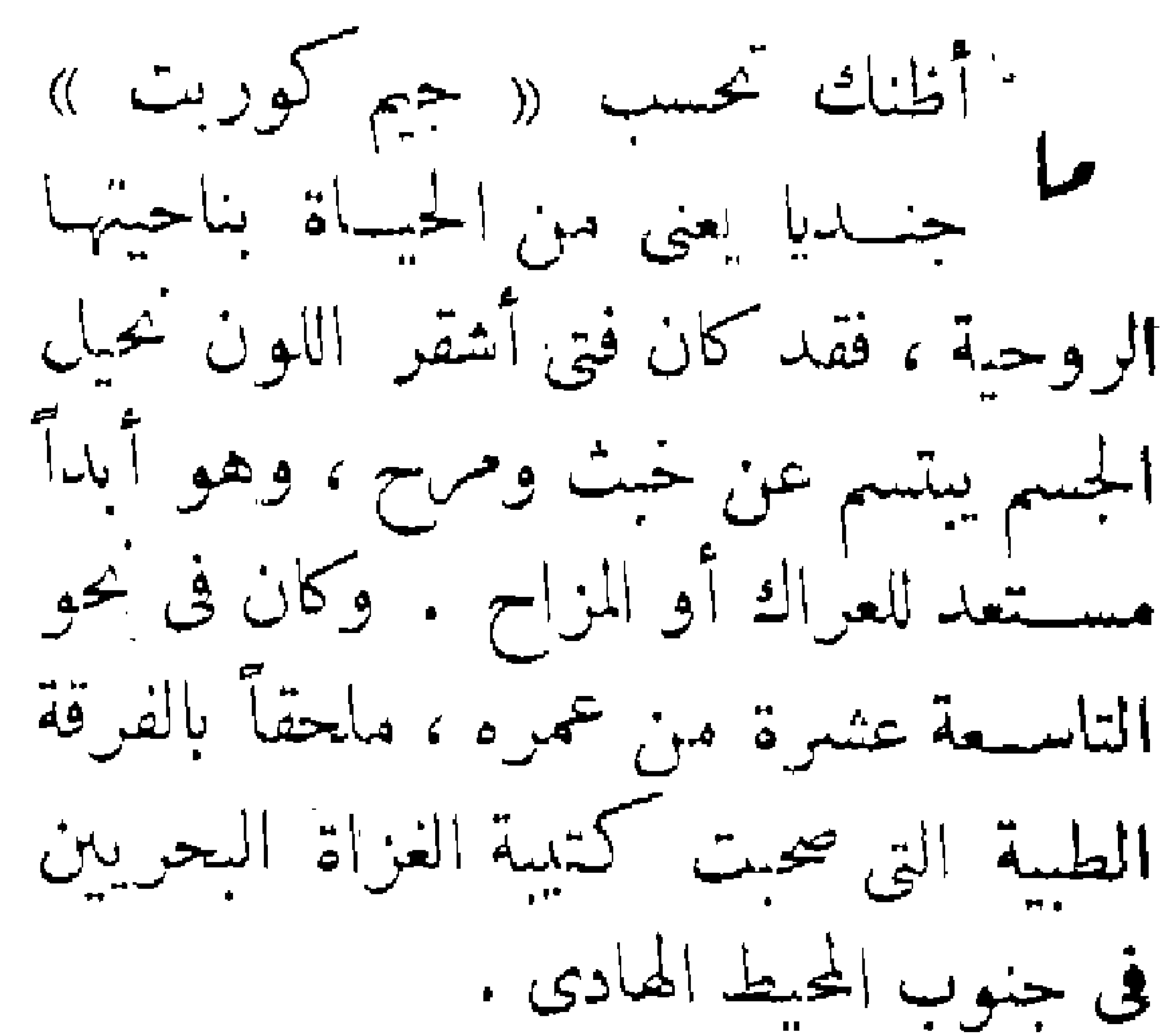
القرار بقولون

يروى أن الجنرال جورج س . باتون الأصغر تلقى رسالة من مركز القيادة العام يطلب إليه فيها أن يكون أقل مزحاً فى تقاريره ، إذ أنها ستكون جزءاً من تاريخ مكتوب ، وجاء فى ختام هذه الرسالة أمر بأن يطوق مدينة ترير ويخلفها وراءه ، إذ أن الاستيلاء عليها يتطلب أربع فرق . ولكن عندما وصلت الرسالة إلى الجنرال باتون كانت ترير قد سقطت ، فردّ باتون على مركز القيادة يقول : « استولينا على ترير بفرقتين . هل تودون أن أردها ؟ »
[بروكس ب . ميلر]

صحائف من يوميات طبيب فى البحرية الأمريكيــة ، وجد عجبا فى الجنود الذين يخوضون جحيم معارك الغابات .

لا حب أعظم من هـذا

اللفتنانت كوماندر جيمس ريجان من ضباط البحرية الأمريكية
مختصرة من مجلة " ذى أميريكان مجازين "



ما أظنك تحسب « جيم كوربت » جنديا يعنى من الحيــاة بناحيتها الروحية ، فقد كان فتى أشقر اللون نحيل الجسم يبتسم عن خبث ومرح ، وهو أبداً مستعد للعراك أو المزاح . وكان فى نحو التاسعة عشرة من عمره ، ملحقاً بالفرقة الطبية التى صحبت كتيبة الغزاة البحريين فى جنوب المحيط الهادى .

فى عصر يوم اشتدت فيه نيران اليابانيين ، زحف جيم إلى خطوط النار ليساعد جريحاً من مشاة البحرية ، فأطلق عليه أحد القناصة اليابانيين مقذوفاً أصابه فى العمود الفقرى . فلما عدنا به إلى الكوخ المصنوع من سعف النخل ، والذى اتخذناه مستشفى ، أدرك على ما أظن أنْ لا أمل فى شفائه ، ولكنه لم يعبأ بذلك ، بل قال وأنا منحن عليه أعالجه : « كيف حال رجالنا ؟ هل أصيب كثير منهم ؟ » .

فأجبته : إن الحالة ليست سيئة . فحاول أن يبتسم وسأل فى شىء من التواضع : « هل أحسنت القيام بالواجب ؟ » فقلت : « لقد أحسنت » ، فتمتم قائلا : « أشكرك » ، ثم أغمض عينيه ، وبعد هنيهة صاح : « لا تهتم بى ، بل ساعد رفاقى ! » فكان ذلك آخر كلامه .

وأنا طبيب من أطباء الأسطول قد تعود أن يعنى بالمادى من شئون الحياة ، ومع ذلك فقد تعلمت وأنا فى الغابات درساً روحيا يملأ النفس ثقة : تعلمت أن أهوال الحرب وأخطارها تنشىء فى الجنود المحاربين شعوراً بالترافق ، وإيثاراً يقرب من السمو الروحى .

وليس معنى ذلك أن رجالنا يحلقون هائمين فى عالم المثل الروحية العليا ، بل يعنى أن مشاق العيش وشظفه ، يجعلهم ينظرون إلى الحياة نظرة جديدة . فهم يعلمون أن تقصير رجل واحد قد يسبب هلاك كثيرين ، فهم يتعلمون أول سر من أسرار الديمقراطية وأدومها : قوة الاتحاد .

وعسى أن تقول إنى أتفلسف ، وقد يكون ذلك ، ولكننى أظن أنك كنت توافقنى لو صحبت حملة الغزاة إلى الغابات .

٣ يوليه — سنمضى غداً فى مهمة

« ج » ... وفي المستشفى ثلاثة عشر مريضاً بينهم فتى فلاح ، بدين دمث الأخلاق يدعى « ريك » ، وهو مصاب إصابة أليمة في ركبته . ومع ذلك فقد رأيته اليوم قائماً على قدميه مرتديا ثوبه وحوله معدات الجندى ، وكان يشحذ سكيناً . فلما أمرته بالعودة إلى سريره نظر إلىّ مستعطفاً وقال : « إننى على أحسن حال يا سيدى الدكتور ، ولست أشعر بشىء من الألم فى ركبتى ، انظر ! » .

قال ذلك وضرب الهواء بساقه المصابة ضرباً شديداً جعل العرقَ يسيل على وجهه حتى امتقع لونه ، فلمست ركبته فوجدتها قد ورمت ورماً شديداً . فقلت له : « حسن ! لنتفق . إذا استطعت أن تمشى إلى الساحل وتعود حاملا عتادك ، أذنتُ لك أن تنطلق مع الجماعة غداً » . وكان الساحل يبعد عنا ميلين ، وكنت أعتقد أنه لا يستطيع . ومع ذلك فقد ذهب إلى الساحل وعاد وهو يظلع بعد ٥٥ دقيقة . فصحت فيه عابساً : « إنك أحمق ياريك ، فلن تستطيع أن تساير الرجال ، وإذا تخلفت قتلك اليابانيون . لماذا تريد أن تحاول ؟ » .

فزمّ شفتيه وقال : « لابد لى من الذهاب يا دكتور . لقد قضيت خمسة عشر شهراً مع هذه الجماعة ، فلابد لى من الذهاب معهم » .

وسيذهب معهم . ترى بماذا نصف العناد الأعمى الذى يدفع رجلا مصاباً إلى أن يصحب رفاقه فى مهمة يعلم أنها قد تودى به ؟ أهو الوطنية ؟ إنها إذن لوطنية من طراز خاص ، أم هو التصميم على حمل نصيب من العبء مهما تكن المهمة شاقة ؟

٥ يوليه — لقد بلغنا الشاطئ ، وقد كان عندنا فى المستشفى اثنا عشر رجلا ، أما اليوم فلم يبق فيه أحد . لقد خرجوا جميعاً معنا — خرجوا من المستشفى بغير إذن . وحين أوغلت بنا سفن النقل فى مياه الأعداء ، بدأوا يخرجون من مخابئهم فيها واحداً بعد واحد ، وكثير منهم مصاب بالحمى ، وليس فى الإمكان أن نعيدهم الآن .

نزلنا الشاطئ بعيد منتصف الليل ، فغصت إلى ركبتىّ فى الوحل ، وكان الشاطئ غاصاً بصناديق كثيرة ، فلما رفعت واحداً منها إلى منكبى وحاولت أن أسير سمعت صوتاً يقول : « من هنا يا دكتور » ، كان أحد مرضاى القدماء مثقلا بما يحمل ، وأخذوا جميعاً يبذلون الجهد تلك الليلة فى نقل المؤن .

٧ يوليه — تألفت الطوابير فى الصباح الباكر وشرعت تزحف فى الغابة . وفى الضحى

بدأ الترامى بالنار أمامنا ، فزحفنا نحو قرية .
وهنالك أنشأت مستشفى فى كوخ ، أى اتخذت مائدة للجراحة من مقعد الخشب الخشن فمسحتها بمادة مطهرة ، وجلست أنتظر وصول الجرحى . وكان أول جريح وصل فتى أعرفه ، طويل القامة أصهب الشعر ، قد أصيب برصاصة فى يده ، وكان ينتحب . فقلت له معنفاً : « حتى الذين تكسر سيقانهم لا يبكون كما تبكى » . فقال : « لست أبكى ولكنى أكاد أجن ، أجن ، أخرجنى من هنا » .
فضمدت جرحه وأمرته بأن يستريح ، وما هى إلا هنيهة حتى فر عائداً إلى القتال .

١٠ يوليه — أخذت طريقى نحو صوت مقذوف نارى ، فسمعت صوتاً يصيح بى يقول : « تبا لك يا دكتور ! انبطح ! » فانبطحت على أرض قذرة وزحفت قليلا ، فرأيت الملازم جوزيف برودريك منبطحاً على الأرض تحت نبات كثيف ، والدم يقطر من ذراعه وركبته . فاتجهت إليه فصاح « دعنى يا دكتور ! إننى على أحسن حال ! » .
وحانت منى التفاتة فلمحت الملازم تومى بولارد على مقربة منى ، ثم أطلق هو والملازم برودريك النار معاً ، وإذا شجرة كبيرة تهتز وتميل ، ويسقط منها يابانيان من القناصة . ثم صاح الملازم برودريك : « حسنا يا دكتور . اذهب الآن واهتم بالآخرين » .
وفى المساء كنا لا نزال مستترين فى الغابة ، وعند الفجر نشبت معركة حامية دامت إلى الأصيل وأسفرت عن اندحار اليابانيين . وكثر المصابون منا ، فازدحم الرجال بباب المستشفى وأخذ كل يسأل : « هل من مساعدة أستطيع أن أؤديها يا دكتور ؟ هل أنتم فى حاجة إلى شىء من الدم ؟ إن دمى لغزير » .
وجىء بفتى يدعى « باورز » قد أصيب بجرح فى بطنه ، فقال لى : « يسرنى أن أرى رجالنا ينتصرون » . ولم يكن جرحه خطيراً ، لأن الرصاصة أخطأت المقاتل واستقرت تحت جلد معدته . وهو يريدها أن تظل فى مكانها لتكون تذكاراً .
وجىء بجندى آخر قد تمزقت يده ، فقد سقطت قذيفة يابانية عند قدميه ، فحاول أن يقذفها بعيداً عنه ولكنها سبقته فانفجرت . وقد جىء به ماشياً وقال لى : « أتستطيع أن تصلح شأنى يا دكتور ؟ » وبينما أنا أضمد جرحه قال : « أظن أننى سأضطر أن أشتغل ببيع السلع الرخيصة عند زوايا الأزقة بعد الحرب لأتعيش » ! » فقلت له : « صه ! لا تتكلم بمثل هذا الكلام ! » .

فقال : « لم أقصد ذلك يا دكتور . انظر ألسنا الآن فى شهر يوليه ، لعلى أستطيع أن أعود إلى أمريكا فأستأنف دراستى فى الخريف ! » .

أما « أيلرز » فقصير بادن ظفر بوسام « صليب البحرية » فى وادى الكنار ، ولكنه أساء السلوك فيما بعد فى أحد الحفلات فى جزيرة نيو كاليدونيا فحوكم فى مجلس عسكرى وحكم عليه مع وقف التنفيذ . وبعد أيام قليلة منح وسام « النجمة الفضية » جزاء له على بسالته . وقد قام اليوم بعمل باسل آخر ، إذ كان أحد أفراد جماعة أنقذت جنديين وقعا فى كمين وراء خطوط اليابانيين . وقد دنا منى هذا المساء على استحياء وقال : « أتظن يا دكتور أن الكولونيل سيعفينى من آثار الحكم إذا التمست منه ذلك ؟ » فقلت : « أظنه يعفيك » .

٢١ يوليه — زحفنا أمس صباحاً على آخر قاعدة يابانية فى هذه المنطقة ، وتوالى مجىء الجرحى حتى عجزنا عن إرسالهم إلى المستشفى . وعثرت فى الغابة على بقعة مسطحة من الأرض يحميها حجاز منخفض من المرجان ، فأقمت عليها محطة للإسعاف . وما خيم الليل حتى بلغ عدد جرحانا مئتين ، حشرناهم فى ذلك المكان الضيق . وكان القتلى أربعين أحدهم من رجال الفرقة الطبية يدعى ثاديوس باركر .

كان باركر هذا حين أصيب واقفاً على مقربة من رفيق له ، وهو جاويش ضخم الجثة كنا نسميه « ستوب الضخم » . وكان سيل من الرصاص ينهال على الأرض ، ومع ذلك ذهب « ستوب الضخم » يساعد باركر ، فأصيب هو أيضاً برصاصة من اليابانيين ، فلم يمنعه ذلك من أن يحمل باركر ويعود به . ولما قلت له إنه لا رجاء من شفاء باركر ، قطب أساريره ثم لوى وجهه ليذهب إلى خط النار ، ولكن ساقيه خانتاه . وعندئذ فقط علمت أنه مصاب بجرح .

وفى منتصف الليل هجم اليابانيون علينا بالحراب هجوم المستقتل وهم يصيحون كالمجانين ، وسرت إذ ذاك إشاعة كاذبة مؤداها أننا على وشك التقهقر وتخليف جرحانا . فجاءنى « براونى » رفيق كبير الصيادلة وهمس فى أذنى قائلا : « إننى سأبقى هنا مع الجرحى » فقلت له : « هل تعلم ماذا قد يحل بك ؟ » قال : « نعم أعلم ، ولكن إذا كان غيرى من الجنود يستطيع البقاء فأنا أيضاً أستطيع ذلك » . ولكننا لم نؤمر بالتقهقر .

وفى فجر هذا اليوم شرعنا فى نقل الجرحى إلى المستشفى على نقالات صنعناها

لساعتنا بلف ألواح من أغصان الشجر بمعاطفنا الواقية من المطر . على أن هذه النقالات لم تكن تبعث على تمام الرضى ، فكانت المعاطف تزل عن الألواح فيسقط الجرحى على الأرض ، ولكن صبر الفتيان على الشدائد كان عجيباً ، فقد ركعت إلى جانب أحد الذين سقطوا فظنني من حملة نقالته ، وقال لى وهو يحرق أسنانه : « لا بأس ياماك ، لم يكن لك في هذا حيلة » .

٢٣ يوليه — أودت الحمى والدوسنطاريا بحياة كثير من رجالنا . وقد ازدحم المستشفى بالمصابين ، واليوم وصلت سفينة نقل ، صعدت إليها لأطلب من ربانها أن ينقل جميع الجرحى ، فدعانى إلى إحدى الغرف لأشرب القهوة وآكل الشطائر ، وكنت قد نسيت تقريباً أن فى العالم أمثال تلك الأطايب . وفى المساء أصابتنى الحمى وأظنها من جراء ذلك الطعام الدسم .

ولم يكن لى بد بعد يومين من أن أنقل أنا والجرحى ، وكنت فى القاعدة حين رجعت البقية الباقية من كتيبة الغزاة ، فلما نزل أولئك الجنود الشعث الغبر الشجعان إلى البر ، كان النسيم العليل يلعب بالراية ، والفرقة الموسيقية تعزف نشيد « مشاة البحرية » ، فلم أستطع إلا أن أشيح بوجهى .

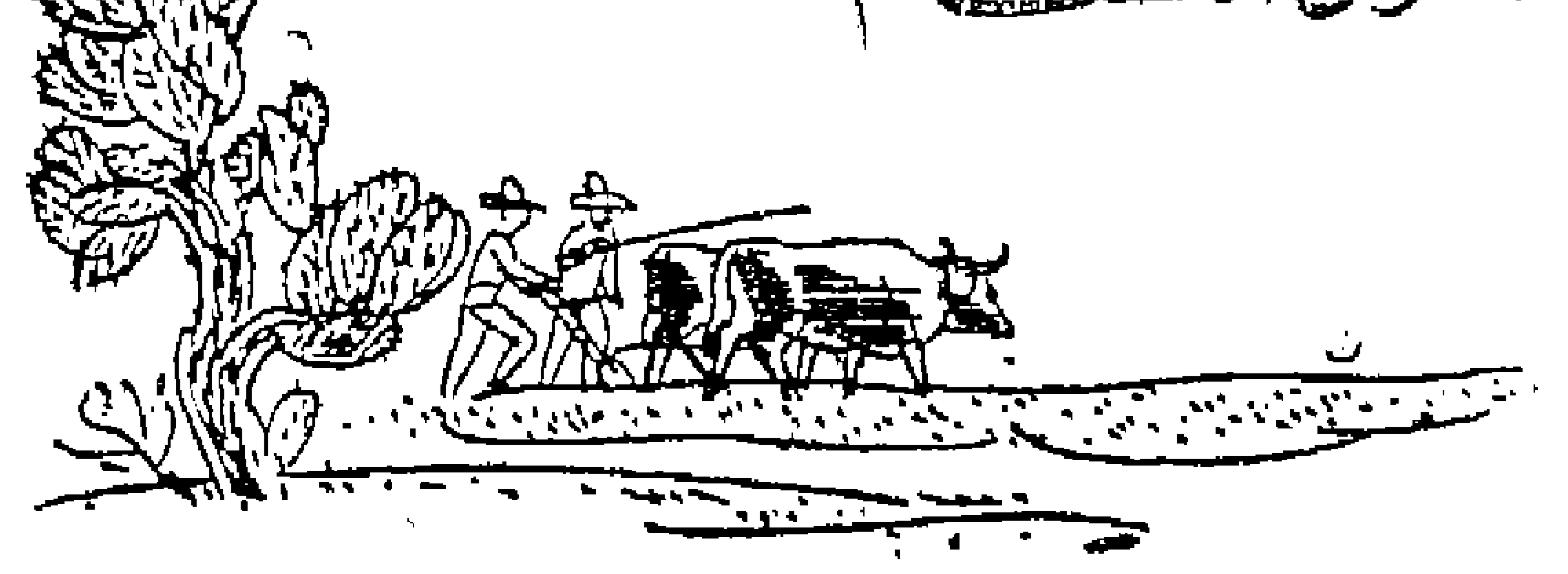
أبهما المعلم

ذهب صديق لى إلى مأدبة نادى الروتري فسمع خطيباً يبين كيف يستطيع الآباء أن يطلعوا الصغار على « حقائق الحياة » . وحين عاد إلى داره فى المساء ، عزم على أن يعمل بما سمع ، فدعا أكبر ولديه إلى مكتبه . وإذا الفتى يصغى صامتاً إلى حديث طويل مفصل ، يشوبه شىء من التعثر والاستحياء ، عن النحل والزهر . وأراد الوالد أن يتجنب مثل هذه المشقة فى مكاشفة أصغرهما ، فاقترح على أكبرهما أن يفضى بما علم إلى أخيه وهو فى الثامنة من عمره . فوافق ومضى إلى غرفتهما . وبعد هنيهة سمع الوالد ابنه الكبير يقول : « أتريد أن تعلم شيئاً جديداً ؟ » . « ماذا ؟ » . « أتعلم ما الذى يفعله الزوجان إذا أرادا أولاداً ؟ حسن . بابا يقول إن النحل والزهر تفعل ذلك نفسه » . [إسلى هوايت]

يعد برنامج تعمير الريف ، الذى تولاه رجل فرد فى المكسيك ، مثالا يحتذى فى مشروعات رفع مستوى المعيشة فى جميع البلاد التى يعانى سكانها شرور الفاقة

رَجُلٌ يساعد

من يُساعدون أنفسهم



ج . ب . ماك إيفوى ... مختصرة من مجلة " سيرفى جرافيك "

فى سبتمبر الماضى ، كان خبراء التعمير من جميع أنحاء العالم يبحثون فى وشنطن مشكلات النهوض بمستوى المعيشة فى الجماعات الريفية التى عضها الفقر بنابه فى كل بقعة من الأرض ، فصعد الدكتور سبنسر هاتش المنبر ، وتحدث حديثاً هادئاً مقنعاً ، وقص قصة الحملة التى قام بها وحده حتى يمهد لهنود المكسيك سبيلا إلى رغد العيش ووفرة الإنتاج والاعتماد على النفس .

فلما فرغ ، وقف أحد المندوبين وقال : « لقد مزقت لساعتى الخطبة التى أعددتها ، فقد اتضح لى أن حل المشكلة التى نعالجها هو أن ننشىء كما أنشأ هاتش مراكز يتعلم فيها الناس بالممارسة والعمل ، وحيث يتسنى لقادة الفلاحين أن يتدربوا على الأرض نفسها ، فيجب علينا أن نفعل كما يفعل هاتش — هلموا بنا إلى الحقول لنعمل بين هؤلاء الذين نحاول أن نساعدهم » .

وسبنسر هاتش خبير مشهور ، قضى عشرين سنة فى الهند يحرز النجاح الباهر . ومنذ ثلاثة أعوام مضت ، ألقى عصاه على مقربة من تبوزتلان فى واد صغير على بعد ٥٥ ميلا من مدينة المكسيك ، حيث لم يزل السكان يتكلمون لغة الأزتك ، ويعيشون كعهدهم فى زمن مونتزوما . وتتفرع دروب الجبال من هذا الوادى إلى إحدى عشرة قرية ، يعيش فيها اثنا عشر ألفاً من هنود الأزتك على الفطرة . وفى هذا المكان استطاع هاتش أن ينتج المحاصيل والفاكهة ، ويربى الحيوان ويكفل من أسباب الراحة ما لا بد

أن ينفع معظم المكسيك على الزمن ، ولم يكلفه ذلك إلا قليلا من المال . وكل بناء ، من أصغر عش للدجاج إلى المنزل الذى يسكنه هاتش وأسرته ، تريك كيف تحسن استخدام أرخص مواد البناء التى تتيسر لأفقر العمال .

فلما فرغ هاتش من إنشاء مزرعته النموذجية ، كان فى خطواته التالية حكيما كل الحكمة ، فهو ينتظر حتى يتنبه جيرانه الهنود . أتراهم أعجبوا بما صنع ؟ إنه لا يسألهم . أتراهم يودون استنبات ذرة طويلة مثل التى استنبت ؟ إنه لا يبحث . أتراهم أيضاً يحبون التوت والخضر والفاكهة ؟ أم الدجاج يبيض ثلاثة أضعاف ما يبيض دجاجهم أو أربعة أضعافه ؟، أم المعزى تدر اللبن لأطفالهم ؟ أم المنزل الجميل ؟ أم الماء النقى ؟ أم المرافق النظيفة ؟ سيقول لك هاتش : « إن الهندى المكسيكى الذى اعتدت رؤيته فى الرسوم المنزلية قابعاً ورأسه على ركبتيه ، وتغطى عينيه قبعة كبيرة من الخوص ، ليس بالرجل النائم الغافل ، فهو يراقبك من ثقبين صغيرين فى قبعته ، فإذا ما اقتنع بأن ما تفعله شيء ينفعه ، وأنه ليس مشروعاً جديداً يراد به استغلاله ، فعندئذ يحزم أمره على أن يقتدى بك » .

ويقول هاتش : « الفلاح فى جميع أنحاء العالم محافظ بالطبع ، لا يقبل إلا الأشياء التى يدخل فى طاقته أن يدركها ، والتى تتيسر له » .

ويجيء الهنود من مسيرة مئة ميل من قرى تعيش على الفطرة ، ليروا نباته يزدهر وبيوته تبنى ، ولينظروا إلى حسن نماء دواجنه وسائر حيوانه ، فيتأملون ويعجبون ، ثم يهرولون إلى منازلهم ليتدبروا ما رأوا . وفى أول الأمر كان قليل منهم من يعود ليستشيره أو يطلب من بذور النبات أو صغار الحيوان ، فما هو إلا أن يتم هؤلاء القلائل فى بلادهم « معجزة » هاتش حتى يرحل من جيرانهم من يطوى إليه الجبال بعد الجبال .

ويقول هاتش : « إذا ابتغيت النجاح فأمسك نفسك ، ولا تعط الهندى إلا ما كان فى طاقته أن يدركه . وإذا أردت أن تظفر منه بحسن التعاون ، فاجعله بحيث لا يفتأ يسألك ، وبحيث تيسر له أن يدفع ثمن ما يريد ، فالهندى الأمريكى أبى النفس ، يأنف من أن يأخذ شيئاً مجاناً . وأكبر خطإ يرتكبه الداعون إلى الخير من الأفراد والجماعات هو أن يصموه بالفقر والمسكنة فيفرضوا عليه أن ينال من صدقاتهم »

وهاتش لا يهب لأحد منهم شيئاً ، فإذا جاءه هندى يطلب بعض بذور هذه الذرة البديعة ، أو بعض هذه الدجاجات العجيبة ، جعل ذلك قرضاً يرده إليه من بذور أول محصول يجنيه ، أو من أفراخ (كتاكيت)

من أول الأفراخ ، فهو ضرب من المعونة ، ونصيحة خير من صديق خبير . إنها وسيلة بطيئة شاقة — ولكن هاتش يقول إنها « هى وحدها الطريقة المضمونة » .

وفى الصيف الماضى تتلمذ له يوماً واحداً فى هذه المزرعة طالب سحرته أساليبها ، هو « والت ديزنى » الذى كان ينقب عن موضوعات السينما التعليمية (الثقافية) ، وقد زارها مرتين ل . ج . ليجوتى ، أمين سر المؤتمر الكاثوليكى القومى للحياة الريفية ، وجاءها ثانى مرة ومعه رئيس المؤتمر والأسقف سكلارمان مطران بيوريا الذى قال : « لزام على كل قسيس يخرج للعمل فى ريف هذه الأرض أن ينهج هذا المنهج » . وكتب المنسنيور ليجوتى فى نشرته الرسمية « الأرض والمنزل » : « إذا كنت من طائفة البروتستانت فخرت بالدكتور هاتش ، وإذا كنت من طائفة الكاثوليك حسدته ، ولكن فى وسعنا جميعاً أن نعجب به » .

ولقد قيل : لا تثمر الأرض الفقيرة إلا شعباً فقيراً . فالفقر والجهل والمرض ، فى المكسيك وفى سواها ، هى مشكلات لا تنفك إحداها من الأخرى ، وينبغى أن تعالج جميعها دفعة واحدة ، وأن تعالج من أسسها . وقد بدأ هاتش بهذه الأسس — بالأرض التى نهكها سوء الاستغلال قروناً ، أحيا أرضاً مواتاً بسماد مركب من مخلفات النبات والأسمدة الطبيعية التى تنالها يد أفقر زارع ، واستنبت فيها ذرة بلغ طولها ضعفى طول الذرة فى مزارع جيرانه ، وبلغ محصولها أربعة أضعاف محصولهم . وفى المكسيك ، حيث تتلف الآفات أصناف الفول التسعة التى يعرفها الهنود ، ازدهر فول هاتش خالياً من الحشرات ، أما مواضع التجارب التى اتخذها ، فقد توالت عليها معجزة إثر معجزة فى محاصيل الخضر وصغار الفاكهة والأعشاب .

وقد حول هاتش فى ثلاث سنوات واديا مواتاً إلى جنة صغيرة ، استردت تربتها شبابها ، وطفحت مخازنها بغلاتها . وقد جرب زراعة سبعين نوعاً من محاصيل الحقل والخضر ، واستنبت عشرات من المحاصيل الجديدة التى نمت فى تربة ظلت أجيالا لا تنتج إلا قليلا من الذرة الضامرة . وتراها اليوم يزدهر فيها الشيلم والشوفان والحنطة السوداء والجزر والفجل واللفت والفول السودانى ، وواحد وعشرون صنفاً من أشجار الفاكهة . وقد زرع مرجاً من فول الصويا يغل طعاماً مغذياً على مدار السنة ، ويعلق عليه الأمل فى قلب أوضاع الزراعة فى المكسيك ، فأرض مساحتها ٢٠ قدماً مربعة منه تكفى أسرة كاملة غذاءها .

وكانت جميع الأغنام فى هذه المنطقة قد

آنى عليهـا الدهر ، ولكن هاتش بعثها بعثاً جديداً ، وأحيا صناعة نسج صوفها على أنوال وطنية . وكان الهنود يعرفون العسل البرى منذ آماد متطاولة قبل التاريخ ، ولكن هاتش علمهم كيف يصنعون الخلايا . وكيف يشتارون العسل بطريقة علميــة . ويشتار الهنود اليوم من الخلية الجديدة مثل ما كانوا يشتارون من أربعين جمــاعة من النحل البرى . وقد نجح هاتش نجاحاً باهراً فى تحسين أنواع الدواجن والحيوان فيما يجاوره من الريف ، وذلك بأن يمنح طلائقه من الثيران والكباش والديوك إلى أجل مسمى ، فتنتقل من قرية إلى قرية على نظام معلوم .

وربما كان أكثر ما يشغل هاتش من أقسام برنامجه ، وهو أعظمها أثراً فى نفوس الهنود ، هذه الدار الصغيرة النموذجية التى بناها هاتش وزوجتــه لمقام أسرة صغيرة ، فقد شادها القرويون من الآجر والقرميد والقش ، فلم تزد نفقتها على ١٥ جنيهاً . ومن مزايا هذه الدار حوض للماء النقى ، ومرافق صحية ، ومدخنــة بارعة التصميم ، وظُلل معلقة يُستذرَى بها ، وحمام بهرشاش (دش) مصنوع من صفيحة بترول سعتها ٥ جالونات . وليس فى الدار من مظاهر الترف سـوى أرض مصنـوعة من الأسمنت ، فالأسمنت المحلى رخيص ، وهذه الأرض تقى الأقدام العارية من دودة الأنكلستوما التى تكثر فى المكسيك . وفى المنزل أسرة صنعوها من الخشب والحبال المنسوجة ترفع النائم عن مس الأرض ، وفيه موقد حسن الصنع يقى الطعام من أقذاء التراب .

وقبل أن يتم هاتش بناء المنزل ومرافقه إذا شيخ أقرب قرية إليه يعيــد بناء منزله على هذا النمط ، ليظفر بمعظم ما فى بيت هاتش من المزايا ، وبنى عشاً للدجاج كعش هاتش . وأعلنت فتيــات القرية أنهن لن يتزوجن إلا من يبنى لهن المنــازل المشمسة وفيها مرافقها الصحية . وفى مزرعة هاتش معرض دائم حيث يتيسر للهنود أن يشهدوا سوقاً زراعية مستمرة فيها خير منتجاتهم ، ومكتبة لاستعارة الكتب والصور .

ولعــل أظهر خلال الدكتور سبنسر هاتش ، هو الاعتماد على النفس . فقد ولد بمزرعة بالقرب من جرينتش بولاية نيويورك ، وأصيب فى الخامسة عشرة بحمى الروماتزم فحمــل إلى طبيب متخصص فى بوسطن ، وخرجوا به ميئوسا من شفائه ، وأعيد إلى مسقط رأسه بالقطار السريع على مهد فى صـندوق ، وهو أضعف من أن يحرك إصبعاً ، ولكنه ثابر على أن يعلم نفسه المشى ، فأخذ يمشى على الثلج حتى لا يصاب بأذى إذا ما وقع على الأرض ، ثم شق طريقه فى

كلية الزراعة بجامعة كورنيل .

والتحق خلال الحرب العالمية الأولى بخدمة جمعية الشبان المسيحية بين صفوف البريطانيين فى الهند والعراق . فأخذ يدب فى أوصاله مرض روماتزم العضلات ،فأعيد إلى وطنه بالباخرة ، فما يتحرك إلا عانى الألم المبرح ، واستغرق شفاؤه عاما آخر اعتمد فيه على نفسه مثابراً على التدريب المضنى، ثم رحل إلى الهند ،ولحقت به زوجته سنة ١٩٢١ ، ومن يومئذ عملا معا ، يعلم هو الرجال فنون الزراعة ، وتعلم زوجته الأسر فى بيوتهم الغزل والنسج وسائر فنون التدبير المنزلى . فإذا جاءت شهور الإجازة عادا إلى أمريكا ليتعلما من الأساليب العلمية كل جديد ينفعهما فى إتقان عملهما .

وقد نجوا فى الهند من مجاعات وفيضانات وأوبئة ، منها وباء كوليرا قضى على ١٩ ألفاً من أهالى المنطقة التى كانا يعملان فيها . وكأن الموت لا يعرف سبيلا إلى هاتش ، فقد تدهورت سيارته من جرف هار فأخرج من تحتها بين الحياة والموت . وأخبره الأطباء ثالث مرة أنه لن يستطيع قط أن يمشى — ولكن اعتماده على نفسه ضمن له النصر مرة أخرى .

وعلى أن « مركز هاتش » له أثر عظيم فى ما حوله من الريف المكسيكى ، فإن إدارته لا تكلف إلا ٣٠٠٠ ريال فى العام غير مرتب مؤسسه المعتدل ، وهو يقول : « إننا نحاول أن نكفى أنفسنا ما استطعنا ، بأن نبيع منتجاتنا » . وهو يؤكد أنه إذا ما عدلت طريقته حتى تلائم أحوال كل بلد آتت ثمارها ولا تكلف إلا مالاً قليلا ، وذلك بتدريب عامى تجريبى فى مراكز تحيط بها مساحة نصف قطرها مئة ميل .

إن أكبر عقبة تواجهها البرامج الضخمة لتعمير الريف هى الظفر بالرجال الأكفاء ، وخير مكان لتدريبهم وأفضله وأرخصه هو قلب الريف . وقد درب هاتش أكثر من ألف مرشد لتعمير الريف فى مركزه التعليمى بالهند ، فنفرَّ هؤلاء المرشدون لينشئوا الجماعات القروية ، ولم يقتصر هذا على الهند بل شمل الصين وكوريا . أما فى المكسيك فإن مرشدى المستقبل يفدون على هاتش من جميع أنحاء القارة الأمريكية ليتعلموا أساليبه ، ثم يعودون لينشئوا مشروعات كمشروعه فى أوطانهم .

وممارسة الأعمال هى خير ما يعلم زراع المناطق الفقيرة فى المكسيك وفى سائر البلاد . نعم إن ما يشاهدونه فى المزارع التى تنشئها الحكومات لتكون نماذج قد يترك أثره فى نفوسهم وقد لا يترك ، إلا أن ما يصنعونه بأيديهم يكون له فى نفوسهم أبقى أثر .

مقعد خال في الفصل الخامس

مارجورى ماركس

مختصرة من مجلة "القصة"

يقرع الجرس الأول ، ويجلس التلاميذ فى مقاعدهم ، حتى أدركت المس ستاينك أنهم قد أدركوا . وقل منهم من نظر إليها حين حيوها تحية الصباح .

كانت المربية قد دعتها فى الليلة السابقة وقالت لها : حملت النبأ إلى جميع الأمهات بالتلفون ، وقد وعدن أن يكتمن الليلة الأمر عن الصغار ، وقد اتفقن جميعاً على أنه خليق أن تتولى أنت إخبارهم ، فتجربتك واسعة ، والصغار يحبونك حباً جماً .

وعلى أن المس ستاينك قد أخذها الفزع مما عهد إليها به ، فإنها عدته ثناء عليها . نعم ، إنهم كانوا يحبونها حباً جماً ، وإن كانوا يتلهون برسمها أحياناً مبالغين فى تصويرها طويلة العنق ، على أنفها نظارة ضخمة ، ثم يكتبون تحتها « مس ستاينك » .

وقد سهرت ليلتها تفكر كيف تفضى إليهم بالنبأ ، فدبرت فى نفسها كلاماً تبدأه فتقول : إنكم تعلمون أن « نورما » كانت مريضة . ثم تمضى فتقول : « إنها لو عاشت لظلت عاجزة عن الحركة أو المتعة بالحياة » وكذلك يفهمون أنه كان لها أفضل أن تموت ولا تظل عليلة ما عاشت .

ولا ريب فى أنهم أحسوا كما أحست هى ، أن نورما — الصبية الوثابة الذهبية الشعر ، وأكثرهم مرحاً — كانت فتاة مميزة ، طبعتها البهجة والرشاقة خاصة بطابعهما .

جلسوا جميعاً كأن على رءوسهم الطير ، على حين مضت هى فى قراءة أسماء الحاضرين مبالغة فى التظاهر بإكبابها على ما تفعل ، ثم استوت فى موقفها وقالت كما دبرت : إنكم تعلمون أن نورما كانت مريضة ، مشفية . وإذا بها تسمع فى الفصل خفقة من حركة ، وإذا إيفى وكارزلين تتبادلان نظرات مضطربة من فوق مقعد نورما الخالى ، وإذا جين أصغر التلاميذ ترفع صوتها من الصف الأول : إننا جميعاً نعلم أنها ماتت ، يا مس ستاينك ، فلا عليك أن لا تنبئينا .

فسرت فى الجماعة ضحكة مكتومة كأنها رعدة خفيفة ، فلا بد لمس ستاينك من أن تقول شيئاً ، وإذا هى تقول وهى لا تدرى :

« حين كنت فتاة صغيرة كنا نسكن مزرعة وكان لى غراب أليف أدلله ، وكان صديقى وخاصتى ، فكان يجىء إذا ما صفرت له ويجثم على يدى ، وكان إذا خرجت أتمشى يسير إلى جانبى مرفرفاً بجناحيه . وقد كان اسمه « تمى » وكنت أحبه حباً جماً » .

كان تلاميذ الفصل صامتين ينتظرون ، وعيونهم شاخصة إليها . فمضت فى حديثها : « وقد ظل « تمى » صديقاً لى طوال صيف كامل ، فلما جاء الشتاء كنت أضع فتات الخبز ، وأترك له نافذة المخزن مفتوحة لكى يدخل إذا ما ألح البرد عليه فى الخارج ولكنه لم يأت حين صفرت فى صباح يوم قارس . ووجده أبى ملقى على طرف الغابة ، وقد جمده البرد ، فما كان أشد بكائى ! وشعرت أنى لن أظفر بالسعادة قط ، وأقمت أفكر فيه وأتصوره هامداً قد ضربه البرد » .

وتوقفت قليلا لكى تتنحنح ، فلم يقل أحد شيئاً . وأحست لحظة كأن الذعر قد استبد بها ، ولكنها واصلت وجعلت تتكلم متمهلة ، لأنها كانت تتمثل الصورة وهى تتكلم . قالت : « وذات ليلة حدث شىء عجيب ، رأيت فيما يرى النائم أن الربيع قد أقبل ، وأننى واقفة فى الحديقة الناضرة ، وأنى دعوت « تمى » ، فجاءنى على الفور ، وريشه يلمع ، فرأيته أحسن ما رأيته . وقد جثم على يدى وأحنى رأسه وحدثنى بصوته الأجش .

قال : لم لا تذكرينى على هذه الصورة ؟ ثم أخذ يطير ، فحوّم ، ثم حلق ، ثم سما ، ثم دار ، حتى غاب عن ناظرى . ثم استيقظت وقد ذهب عنى الحزن ، فهو وإن كان قد مات إلا أنه كان يسعدنى أن أتمثله يخفق بجناحيه ، وأتذكر حظه العظيم من الجمال » .

وأدارت نظرها فى الفصل ، فلم يكن أحد من الصغار ينظر إليها ، ولم يبد على وجه أحدهم أثر مما قالت ، إلا جين تمتمت ساخطة : « لست أرى صلة بين الغراب السخيف ونورما » فوجدت مس ستاينك فى نفسها وقالت : « لقد أتحت لهم أن يسخروا منى » .

وقرع الجرس ، فقالت مس ستاينك فى أجف عبارة : « الحصة الأولى للفنون » فعلت ضجة الصغار يفتحون المكاتب ويأخذون أقلامهم وطباشيرهم للرسم .

فأمرتهم ، كأنما هى جاويش يدرب المجندين : الزموا السكون وارسموا اليوم ما تشاءون (لقد شعرت أنها عاجزة عن أى شىء آخر) . فأكبوا على عملهم ، على حين مضت تضع العلامات بقلم أحمر على كراسات الحساب التى حلوا فيها مسائلهم فى البيت ، وجعلت تتخيل الليلة المقبلة وهى تضع العلامات ، فتقاطعها أحاديث التلفون مع أمهات الصغار الساخطات .

وقرع الجرس ، فقالت وفى صوتها مثل حد السكين القاطعة : « أرجوكم أن تلزموا الهدوء ، خففوا من ضجتكم » . فكدسوا رسومهم على مكتبها تكديساً صاخباً ، وجمعوا كتبهم لدرس التاريخ مع المستر ماكفى . وتسابقوا كأنهم متشردون إلى المكان الأول فى الصف ، فسقطت من على الحائط صورة مشهد طبيعى كانت نورما قد رسمته بالطباشير وداسوها بأقدامهم .

فقالت مس ستاينك بجفاء : « ليخرج الفصل الآن . أرجوكم أن تخففوا من ضجتكم » فلم يحفلوا بها ، وخرجوا يطأون الرواق ، ووليم كعادته يحدث صوتاً كأنه فحيح الأفعى .

فبسطت مس ستاينك على صدرها الصورة الموطوءة التى رسمتها نورما ، وشيعتهم بنظرة جامدة ، وهى تخاطب نفسها : « عيال لا إحساس لهم . كان ينبغى أن أعلم أنه لا يحسن بى أن أبثهم ذات نفسى ، لن أمكنهم مرة أخرى من السخر بى ، لن أمكنهم » .

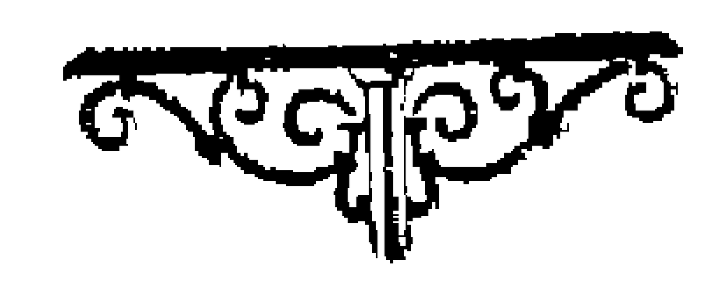
ثم أخذت بنظرها الصورة التى أعلى الكومة على المكتب بين يديها ، وقد كانت صورة طفل ذهبى الشعر لامعه ، يقفز على حبل فى حقل ناضر الأزهار .

كانت نورما تحب لعبة قفز الحبل ، فنقلت أنفاس المدرسة وانتقلت إلى الصورة التالية فكانت من تصوير إيفى . ولم تكن تحسن الرسم ، ولكن كان من السهل على المدرسة أن تتبين ما تبغيه الطفلة — جماعة من الأطفال يتسابقون ، وقد سبقتهم فتاة متوردة الخدين وشعرها الأصفر منشور تحمله الريح .

فجلست مس ستاينك فى مقعـــدها ، وراجعت الصور واحدة واحدة ، غير عابئة شيئاً بالصور التى لا يتجلى فيها خيال الصغار (صور سيدات جميلات رسمتها البنات ، وصور طائرات رسمها الصبيان) .

وكان قلبها يدق دقاً بين ضلوعها ، لأن جميع الصور الأخرى كانت صوراً تمثل نورما — نورما تصنع ما كانت تحب أن تصنعه ، تتسلق الأشجار ، أو تسبح ، أو تقذف الكرة . ولم تشذ عنها سوى صورة واحدة ، صورة وليم — وقد كان أجود الصغار تصويراً ، فقد رسم غراباً كبيراً ناشراً جناحيه ، ووراءه سماء زاهية الشفق .

فألقت مس ستاينك الأوراق على مكتبها ، وما راعها إلا أن تجد نفسها قد ألقت برأسها على المكتب ، ثم جعلت تبكى كما فعلت يوم مات غرابها « تمى » .



« ساعة مهولة فى تشريح جثة بالريف ، دفعت بثينيا أووِنْز فى طريق جهادها طول حياتها لتحرير النساء »

امرأة تقتحم حمى التشريح

نانسى ولسون روس • مقتبسة من كتاب "طلائع النساء فى الغرب"

يوماً قائظاً من صيف سنة ١٨٧٢ ، ويومئذ سرت فى قرية روزنبرج النائمة ، حميّا بهجة مبهمة ، فترك الرجال أعمالهم كأنما يستجيبون لهاتف خفىّ ، وأسرعوا يجتازون الطرق المتربة إلى كوخ مهجور فى أرباض القرية ، ونسى النساء فطائرهن فى الأفران تحترق ، وتألبن فى الأزقة المؤدية إلى الكوخ يتهامسن .

كانت بثينيا أووِنْز قد دعيت لتشهد أطباء القرية وهم يشرحون جثة جو مارسى الصعلوك المنبوذ ، وكانت بثينيا قد فرغت حديثاً من دراستها لنيل شهادة طبية فى كلية فيلادلفيا (وهذه الكلية أحد المعاهد القلائل التى تقبل النساء فى مثل هذه الأعمال التى لا تليق بالنساء) . وفى ذلك العهد الأول من تاريخ استعمار أمريكا ، كان شهود تشريح الجثث فى أغلب الأمر مقصوراً على طائفة محدودة ، إذ هو عمل بشع لا يطيق أن يشهده سوى الرجال . وما كان ليدور فى خلد أحد أن تنهض بثينيا مواجهة هذا التحدى ، ولكنها فعلت ، وخرجت غير هيّابة ميممة شطر الكوخ الذى ستشرح فيه الجثة ، حيث احتشد نحو خمسين رجلا ليشهدوا تلك المسلاة .

مضت بثينيا ، وهى فتاة جميلة نحيلة فى أوائل العقد الرابع من عمرها ، فاجتازت الطريق شامخة الرأس وتهامس نساء القرية : « يا لها من جرأة ! » وقالت إحداهن : « رويدكنّ حتى يقع بصرها على جومارسى الذى مضى على موته يومان . مهلاً حتى تقف على سر دعوتهم إياها . إنها لن تصبر ، ولن تلبث حتى تولى الادبار مذعورة تجرّر خلفها أحلامها أن تصبح طبيبة » .

وصبرت بثينيا على تهكمهن ، فقد كان أعظم ما تخشاه سخرية الرجال بها . فلما أخذت تقترب من الكوخ سمعت قاصف قهقهتهم ، وترددت لحظة وودّت أن تعود من حيث أتت ، ولكنها رفعت مزلاج الباب ، فما رأوها حتى ماتت الضحكات .

وقف الدكتور بارنز ، كبير الأطباء فى روزنبرج ، على مقربة من الباب ، وكانت بثينيا تدرك أنه صاحب الدعوة ، وأنه كان يجهد جهده فى إذلالها ، ولكنها بسطت إليه يدها قائلة : « أشكر لك هذه

الدعوة ، وأقدر ما أوليتنى من شرف » .

ونظر الدكتور بارنز نظرة المزدرى إلى هـذا الشبح الضئيل ذى الوجـه المحمر والعيون التى لا تطرف ثم صاح : « ليس يجمل بامرأة أن تشهد تشريح جثة رجل » .

فسألته بثينيا : « أى فرق بينه وبين أن يشهد رجل تشريح جثة امرأة ؟ » .

وغمغم أحد الأطباء على استحياء يقول : « إن العلة التى قضت على الصعلوك قد أصابت فيما أصابت من أعضائه عورة » .

وأحست بثينيا كأن الدم قد غاض من وجهها ثم عاد إليه طوفاناً ، ولكنها ملكت نفسها ، وسرّحت بصرها فى وجوه الرجال تحاول أن تتحدى أبصارهم الزائغة وهى تقول ثابتة الصوت : « ينبغى أن تكون أعضاء الجسم كلها سواء فى عينى الطبيب » .

وتلفت الشهود قلقين مخافة أن تفسد عليهم مسلاتهم هـذه المرأة النحيلة ذات الوجه الجادّ .

وقال الدكتور بارنز وهو يقذف محتداً بآلات التشريح بين يدى بثينيا : « إليك إذن ، تولى أنت التشريح » .

ومرت بها لحظة هول حتى حسبت أن سوف تغشَى نفسها ، فقد كانت الروائح فى الكوخ الضيق المغلق ، والحقـد الذى تلفحها لواحظه ، ومنظر جثة الصعلوك تحت أغطيتها القـذرة ، تكاد كلها تجتاحها .

أفتستطيع أن تتولى هذا الأمر ؟ لقد كان تعليمها نظرياً كله ، وطالما قضت ساعات طويلة تستذكر كتاب جراى فى علم التشريح ، ولكن كل ما كانت تعرفه إنما تعلمته من صور الكتاب لا من الممارسة والتدريب ، فلم يكن نصيب النساء القلائل اللائى صبرن على ما يلقين فى أمريكا من مهانة وخزى فى ممارسـة الطب ، مثل نصيب الرجال ، إذ كان محرماً عليهن أن يمارسن الجراحة .

وها هى الفرصة تتاح فى النهاية لبثينيا ، كى تردّ على نظرات السخرية التى استقبل الناس بها أملها فى أن تصبح طبيبة .

وشمرت هادئة أكمام ثوبها الخفيف الأنيق . ولم تكن القفازات قد عرفت يومئذ ، فلا محيص من أن تمسّ يداها العاريتان تلك الجثـة التى كشفت عنها غطاءها . وتألب عليها الشهود واقتربوا منها ، وهى صامتة تعمل بمهارة ، كى يشهدوا تشريحها عن كثب . وفى تلك الأيام كانت الطرق الميكروسكوبيـة والبكتريولوجية والكيمياوية المعقدة التى تستخدم الآن فى التشريح لم تزل مجهولة ، وكان ما يمكن استنباطه من مثل هذا الفحص لا يعدو ما تراه العين المجردة بجلاء . وكانت بثينيا تدرك ذلك ، كما كانت تدرك أنه كثيراً ما كان الحافز لمثل هذا التشريح هو الدّم

ونشوة رؤيته ، وقد استفز حضورها نشوتهم حتى كادت تتأجج .

بدأت تشق الجلد ذلك الشق ذا الرأسين الذى يتيح لها أن تفحص الأسباب الباطنة للداء المتوغل الذى قضى على الميت ، وقد راضت على الهدوء كل عصب من أعصابها وكل عضلة من عضلاتها ، فلما فرغت أبدت رأيها فيما وجدت متواضعة ، إلا أنها جريئة الجنان ، ثم خاطت الجلد صامتة وهيأت الجثة لتدفن .

ثم غسلت يديها على خير ما تستطيع أن تفعل فى طست محطم ، وأسدلت أكمامها ، وتلقت تحية فاترة من بعض الشهود . ولقد تجلى لهم جميعاً أنه ما من طبيب من الحاضرين استطاع أن ينتقد عملها ، أو ينقض نتيجة من النتائج التى وصلت إليها . ولكن الأطباء أنفسهم كانوا واجمين صامتين ، بل لعلهم كانوا غضابا ، ثم فارقت الكوخ تمشى وحدها . كان وجهها ساهماً شاحباً من التعب ، وعادت أدراجها تجتاز الطرق الترية والأزقة القائظة راجعة إلى بيتها الصغير . وجعل الأطفال يصفرون بها من خلف الأسوار وغصون الشجر ، أما النساء اللائى لم تزل تعرفهن منذ ولدت ، فقد جلسن فى دهاليز بيوتهن ينظرن إليها صامتات وهى تسير ، ولكن عجوزاً منهن صاحت بها :

« أخزاك الله يا بثينيا أوونز ، إنك عار على بلدك وأسرتك . خير لك أن ترحلى عنا ، فما من أحد هنا يريد بقاءك » .

حاولت أن تذكر نفسها بأنها رائد ، والرائد مُصاب ، وأنها ولا ريب أول امرأة فى أمريكا تتولى تشريح جثة علانية على أعين الناس ، وأنها أول أنثى حملت مبضع الجراح . ولكن الجهد بلغ منها حتى ما تعبأ بشىء كهذا ، فما كان همها إلا أن تعود إلى البيت فتغتسل وتنظف ثوبها الملوث .

ولما أدركت بثينيا أنها لن تستطيع أن تمارس عملها فى روزنبرج حملت أطماعها الشامخة ، وعلمها الذى كان لم يزل ضئيلا ، ويممت شطر بورتلاند ، فافتتحت عيادة أدارتها برسم « طبيبة حمام » تتولى عمل الحمامات الكهربائية والطبية لزبائنها ، وهو الفرع الوحيد من الطب الذى كانت المرأة تستطيع أن تطمح إليه يومئذ . واتسع عملها ، ومن ثم أخذت تصعد ببطء مجاهدة فى مراقى النجاح الطبى .

فلما جاءت سنة ١٨٧٨ كانت بثينيا قد تهيأت تخطو خطوة جديدة ، فقد صبت نفسها إلى نيل درجة طبية تجعلها طبيبة حقيقية ، وحاولت أن تدخل كلية جيفرسون الطبية فى فلادلفيا فردّت عنها ، فاتجهت إلى جامعة ميشيجن حيث يقبلون النساء والرجال على

سواء . وفى نفس العام ذهب ولدها إلى كاليفورنيا ليبدأ دراسة الطب هناك (وكانت قد تزوجت وهى فى الرابعة عشرة رجلا لا يصلح لشىء) .

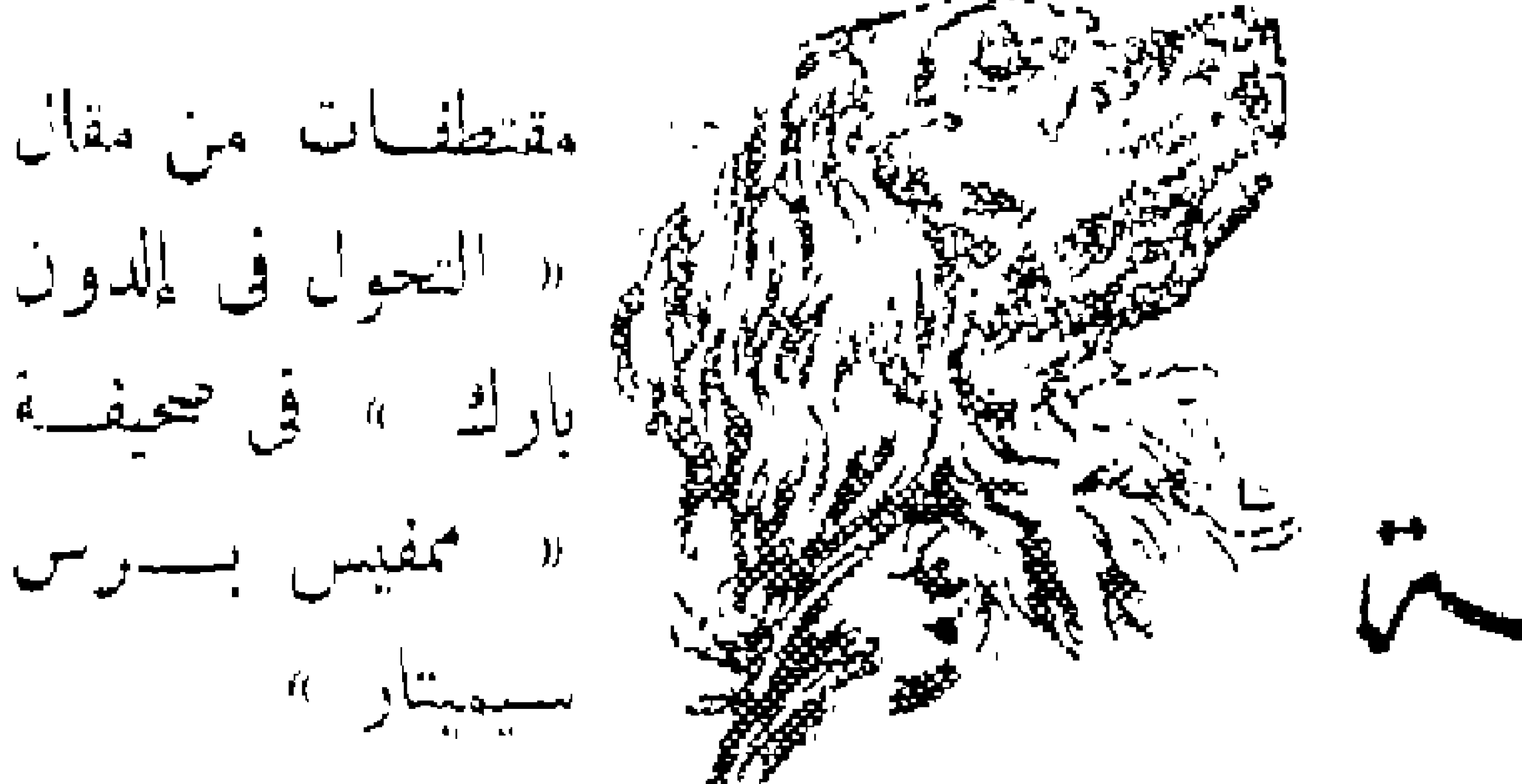
نالت الدرجة التى طمحت إليها فى سنتين ، وصارت طبيبة فى مستشفى بشيكاغو مع زملاء من الرجال ، وسافرت إلى أوربا فجلست فى أشهر مدرجات الجراحة ، وراقبت أشهر الجراحين وهم يعملون ، ثم عادت إلى أوريجون لتمارس عملها بعد لأى مع الرجال على قدم المساواة .

ولقد عاشت بثينيا حتى أنافت على الثمانين ، قضت منها أكثر من خمسين عاماً تناضل فى سبيل التمكين للجديد من الآراء فى الصحة والوقاية ومساواة النساء بالرجال . وكانت من أوائل النساء اللائى حاربن المشد القابض ، وندّدت بركوب الخيل على جنب واحـــد ، وبالعادة التى تحرم على المرأة أن تخرج إلى الطريق مكشوفة الرأس . واستحثت النساء على تنمية عضلاتهن بالرياضات التى لم تكن يومئذ مما يليق بالنساء كالانزلاق والعوم . وترامت المناقشة مستعرة بينها وبين الرئيس تشارلس و . أليوت مدير جامعة هارفرد ، وهو فى الطرف الآخر من القارة الأمريكية ، وكان يخشى أن يكون التعليم العالى والرياضة فى الهواء الطلق مما يفسد على المرأة مهمتها الطبيعية وهى الحمل والأمومة . وقد ألزمته الحجة حين تزوجت زوجها الثانى فى الرابعة والأربعين ، وحملت وهى فى السابعة والأربعين .

وذاعت شهرة بثينيا فى البلاد سنة ١٩٢٢ يوم نجحت فى سن قانون يقضى على كل من يريد أن يتزوج أن يفحص فحصاً طبياً ، وذلك بعد أن سلخت ١٥ عاماً تناضل الهيئات التشريعيـــة فى ولاية أوريجون . فكانت هذه أول خطوة ظاهرة فى سبيل جعل تحسين النسل موضوعاً يناقشه الجمهور علانية . وكان هذا القانون أول قانون من نوعه فى أمريكا وكتبت مجلة بورتلاند يومئذ تعلق على توقيع محافظ أوريجون على القانون: « إنه نصر يؤثر للدكتورة أوونز آدير » .

استطاعت بثينيـــا أوونز آدير بخطبهـــا التى لا تحصى ، ومقالاتها فى الصحف ، وأحاديثها بين الناس ، وسيرتها التى لا غبار عليها ، أن تحطم بعد لأى أسوار الجهل والتعصب المنيعة ، وتفض أغلال الحرمان التى طوقت أعناق النســاء . فكانت تلك الساعة المفزعة التى قضتها فى ذلك الكوخ القديم بروزبرج ، هى التى ملأت قلبها شجاعة وعزماً وإرادة ، حتى تناجز فى سبيل عقائدها كل العوائق ، وحتى تجسر ــ وإن تك أنثى ــ على أن تصبح رائداً يجتاب مفاوز العلم .

كلاب ذكية



مقتطفات من مقال « التحول فى الدون بارك » فى صحيفة « ممفيس بـرس سيميتار »

إنقاذ

تلقينا قصة كلبة من كلاب مطاردة السناجيب، وكانت تدعى كوين، ولدت ستة جراء خلاسية ، وكان صاحبها ما برى دور ، لا يحب أن يستبقيها عنده . فوضع خادمه الجراء فى كيس ووضع فى الكيس حجراً ليغرقها ، ثم ألقاه من منتصف الجسر فى النهر حيث الماء أعمق ما يكون. وكانت الكلبة كوين تراقب ما تم مراقبة دقيقة .

وفى صباح اليوم التالى ، سمع مابرى صوتاً غريباً من أسفل الدار ، وإذا به يجد جراء كوين لم تزل فى الكيس حية وسليمة . أفترى كوين غاصت فى الماء فأنقذت جراءها قبل أن تغرق ، أم طفا الكيس زمناً كافياً أتاح لها أن تسبح إلى منتصف النهر ثم تعود به ؟ لا ندرى ، ولكن العجب كل العجب أنها أنقذتهم قبل أن يغرقوا مهما تكن وسيلتها . وحمل ستة جراء فى كيس مبلول مسيرة مئتى ذراع إلى البيت ليس بالأمر الهين .

الكلب والفراشة

كان فى ممفيس وكيل نيابة نزل ضيفاً على صديق له فى الريف ، فلما جلسا فى الشرفة قال المضيف : « سترى بعد نصف ساعة شيئاً غريباً مسلياً — شيئاً لم تره قط ، ففى الساعة الخامسة كل يوم تأتى فراشة تلاعب جروى ، وهو من كلاب الصيد ، وقد مضى على ذلك شهر كامل » .

وبعد نصف ساعة ، اقبلت فراشة كبيرة صفراء تحوم على المرج ، وإذا هو ينطلق ليتلقاها . فحطت الفراشة على العشب وتسلل الكلب إليها وجمد فى مكانه مشيراً بأنفه إلى مكانها — فعل ذلك تماماً كما تفعل والدته حين تذهب مع سيدها فى صيد السمك .

وإذا الفراشة تطير ، فهجم الجرو عليها مداعباً ، وجعل يطاردها وتطارده ، هى تطير وهو يعدو ويقفز ، وكانت الفراشة أحياناً تهوى فتحط على ظهر الجرو — كأنها تقول : « لقد أدركتك ! » .

وقال صاحبى : « هكذا يحدث كل يوم . وقد يلعب الجرو أحياناً مع فراشات أخرى ، ولكن الفراشة الكبيرة هى أحبها إليه » .

حرص على الحياة

لو فكر كلب قط لكان هذا الكلب ماك ، وهو كلب صيد ، وكان هو وصاحبه بيوكانان يحبان صيد الطيور، فخرجا للصيد فى يوم من الشتاء . وكان ماك إذا ما خرج إلى الخلاء يمرق أبيض كالسهم من بين الأعشاب . ولا يطيق بيوكانان أن يجاريه إذا مادعاه داعى المرح، فراح يجرى لا يلوى على أحد . ولم يكن ذلك ليزعج بيوكانان إذ كان يجده بعد حين واقفاً كتمثال من رخام مشيراً إلى طير من الطيور .

ولكنه لم يعثر فى هذه المرة على ماك، وراح يبحث هنا وهنا ولكن لا أثر لماك . ثم سمع من بعيد عواء ونحيباً خافتين، فأسرع نحو الصوت واقتحم دغلاً من العشب حتى وقف على حافة خزان قديم ، وكان ماك فى أسفله يبذل فى السباحة جهد المستميت .

وصاح بيوكانان بالكلب يقوى من عزمه، ثم عمد إلى ملابسه على برودة الجو فخلعها عنه، وربط قميصه وشعاره وسراويله بعضها إلى بعض، وأدلى حبل النجاة هذا فى الخزان.

ولم يكن ماك قد درب على أن يمسك الأشياء بين أنيابه ، كان كلب صيد وحسب ، ولكنه كان فطناً ذكيا ، فأنشب أنيابه فى رجل السراويل وتعلق بها . وأخذ بيوكانان يشده إليه ويشجعه قائلا : « اصبر يا ماك برهة أخرى ! » واستطال عنقه حتى كاد ينخلع عن كتفيه ، ولكنه شد بأنيابه على الحبل وخرج من البئر .

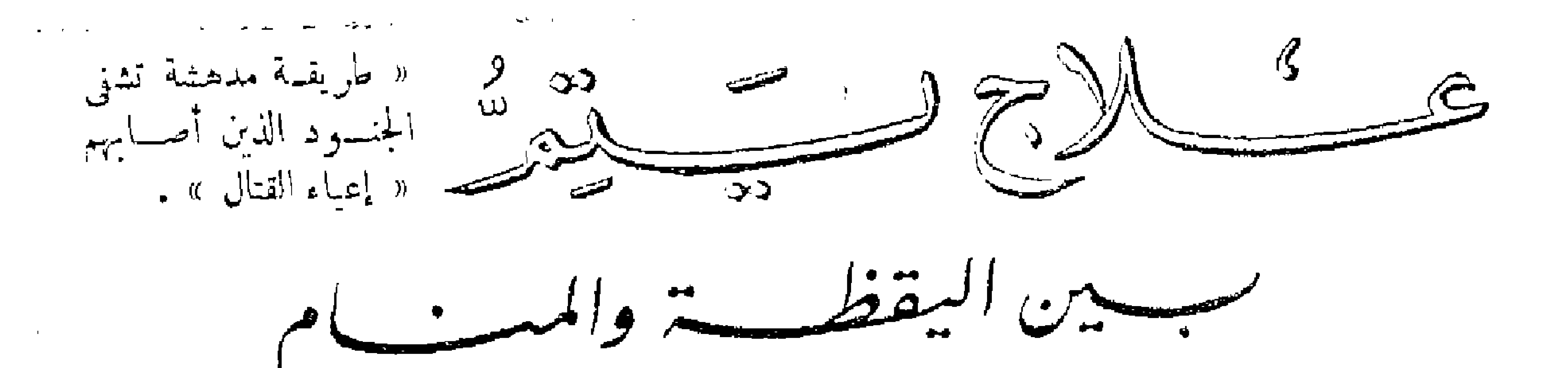
خرج الكلب وهو يترنح لما غشيه من خوف وإعياء حتى كاد يعجز عن الوقوف ، واضطر بيوكانان أن يحمله مسافة ميل إلى سيارته وقد لفه فى معطف صيد .

فى الميعاد

كان روبرت ساندرز مسافراً على القطار السريع وهو يمر فى ولاية فيرجينيا ، وكان يتحدث إلى ندل عربة الأكل، وبعد برهة أخرج الندل ساعته من جيبه وقال :

« تطلع من النافذة بعد عشر دقائق حين يبطىء سير القطار، وسترى كلب صيد عجوزاً آتياً من وراء التل ميمما شطر الخط الحديدى ، ليلتقط عظمة يلقى بها الطاهى إليه . ولم يفته القطار أبداً ، فهو لا يعرف ميعاد وصول القطار فحسب ، ولكنه يعرف أيضاً مركبة الأكل وفى أى طرف منها يكون المطبخ ، وجميع السواقين يعرفونه وينتظرونه عند مرور القطار بهذه الناحية، وكذلك يفعل الطهاة » .

وقد وقع ماقاله بحذافيره ، ولقى الكلب العجوز القطار ورجع بعظمته .



دون هوارث

أحس المدفعى الشاب أن شيئاً ما فى نفسه يتمزق ، وقد طال بقاؤه فى جحيم القذائف على أكمة لونجستوب . فأعادوه إلى الجزائر فى حال يرثى لها ، لم يكن يتذكر شيئاً ، وقد عجز عن الكلام ، وظل أياماً راقداً فى سرير المستشفى شاخصاً ببصره إلى السماء .

وحاول البكباشى روى جرنكر الطبيب النفسانى الرفيق القلب ، أن يستدرج الجندى حتى يقص ما وقع له فى المعركة المروعة ، أو أن يحدثه عن أهله ، أو أن يذكر اسمه ، فذهبت محاولاته عبثاً ، إذ لم يستطع المدفعى أن يتذكر ، بل لم يستطع أن ينطق .

وعزم جرنكر أن يجرب طريقة أخرى ، فشمر كم قميص الرجل وشده على ساعده ، ثم حقنه فى الوريد حقناً بطيئاً بجرعة من عقار كالثوم فى رائحته هو « بنتوثال الصوديوم » ، فغلبه العقار حتى نعس ؛ وجاءت معجزة ، فنطق وأخذ يروى ما وقع على أكمة لونجستوب ، فلما أخذ يتذكر ما كان فى المعركة زالت عنه سكينته ، وأخذته الرعدة والخوف ، فجعل يجفل من انفجار قذائف يتوهمها ، وتركه جرنكر يتحدث عشرين دقيقة ثم أيقظه .

فلما زال أثر العقار عاد قادراً على الكلام وإن ظل يتلجلج ، واسترد ذاكرته كاملة ، وبدا عليه القلق المعتاد الذى كان يكظمه صابراً متصبراً . وبعد أسبوعين من العلاج النفسى زال قلقه ولجلجته وعاد إلى الميدان .

وكذلك ظهرت طريقة جديدة لعلاج الذين أصيبت نفوسهم فى هذه الحرب ، وسماها جرنكر وزميله الصاغ جون سبيجل (ناركو — سنثسيس)(*) وهى فى أساسها طريقة لجمع ما فرقته صدمات الحرب من شخصية المصدوم ، أو تقويم بنائها باستذكار المحن المضنية التى حطمت هذا البناء ، ثم روايتها وممارستها ثانية . ولقد ظلت هذه الطريقة مخبوءة خلف الستر المنسدل على الأسلحة الجديدة ، ولم يسمح لكاتب حتى اليوم أن يطلع على أخبارها ، أو أن ينقل عن

(*) « ناركو » حالة التخدير ، « سنثسيس » جمع الشتات

المقالات الطبية التى ذكرت هذا التقدم المدهش ، الذى حمل الجنرال أيزنهاور على أن يكافئ جرنكر بوسام الاستحقاق .

ولجرنكر الآن مستشفى فى فلوريدا فيه ٩٠٠ سرير ، كلف إنشاؤه أكثر من نصف مليون ريال ، وعولج فيه ٣٦٠٠ من رجال الطيران مما كان يسمى فى الماضى « صدمة القنابل » ثم أصبح يعرف اليوم باسم أدق هو « إعياء القتال » . ويعود أربعة من كل خمسة جنود و ٩٨ من كل مئة ضابط بعد العلاج أصحاء إلى الميدان . ويدرب جرنكر اليوم أطباء آخرين على العلاج بطريقته الجديدة فى الولايات المتحدة . وثمة أحد عشر مستشفى للناقهين من رجال الطيران ، وكثير مثلها وراء البحار تستعمل اليوم هذه الطريقة .

نزل جرنكر فى إفريقية خطأ ، فقد كان طبيباً من أطباء العلاج النفسانى فى فى شيكاغو ، وتلميذاً من تلامذة فرويد بفينا ، وأمر أن يلتحق بقوة الطيران الثامنة فى إنجلترا فى أواخر سنة ١٩٤٢ ، ولكن وقعت غلطة من كاتب فى أحد مرافئ التوزيع على ساحل أمريكا الشرقى ، أفضت إلى نزوله فى سفينة مبحرة إلى وهران . ولما وجد أن ليس فى قوة الطيران الثامنة عشرة فى شمال إفريقية طبيب متخصص فى علاج أمراض النفس أقنع طبيبها الأول أن ينشئ هذا المنصب ففعل ، ولولاه هو ، وأصبح طبيباً مستشاراً للقوات البرية .

وقد لقى عملا كثيراً ، وواجه فى غرف المستشفى كل ضرب من ضروب جراح النفس ، فمنهم الخرس ، وصرعى الفزع ، ورجال كأن وجوههم وجوه الدمى ، وآخرون أفعالهم كأفعال الأطفال المذعورين العاجزين عن الإفصاح . ومنهم من كان ينتابه البكاء ، ومن يظل يحرك ذراعيه حركات لا معنى لها ، أو ينكت الأرض بأصابعه كأنه يحفر جحراً يختبئ فيه ، ومنهم من يثب من فراشه وينتفض مذعوراً إذا سمع صوت باب يغلق ، أو صوت عود ثقاب يشعل .

أدرك جرنكر أن شفاء العليل شفاء يدوم ، فى مثل هذه الأحوال ، يقتضيه أن يتحرى سر ما يزعجه ثم يستخرجه من طوايا نفسه ، ويساعد المصاب على أن يسيطر عليه . وكان ذلك مستحيلا لو اتبع الطريقة المألوفة فى الطب النفسانى ، وهى محادثة المصاب حديثاً طويلا متتابعاً ، إذ لم يكن الوقت يتسع ، ولا كان معه عدد واف من الأطباء النفسانيين . فآثر أن يختصر الطريق فيستعمل عقاراً ، فاختار بنتوثال الصوديوم لسبب بسيط : أنه كان فى إفريقية الشمالية قدر وافر منه للتخدير الجراحى .

وقد استعمل بعض الأطباء النفسانيين من قبل هذا العقار بدلا من التنويم المغناطيسي، واتخذه آخرون وسيلة لتشخيص المحنة المضنية التي صدعت نفس المصاب وتحديد مكانها ، ولكن جرنكر كان يرى أن استدراج المريض في الحديث ليس إلا بدء العلاج ، فاتخذ هذا العقار كشافاً لجراح النفس وشفاء لها أيضاً . ففي هذا العلاج يبوح المصاب بما كان يخفي من عواطفه ويفيض ، ثم تتجمع عناصرها في إدراكه الواعي . فإنه إذا ما أخذ يذكر ما كان ويستعيده ويمارسه ، عادت إليه مخاوفه ، واستطاع الطبيب أن يهدىء روعه ويعينه على تقويم بناء شخصيته المهدم .

ولا يقسر مريض قط على أن يحقن بالعقار ، ولا يأباه إلا اثنان في كل مئة مريض ، ولكن بعضهم يطلب العقار مرة ثانية . ويقول جرنكر إنه لا يؤذي ، ولا يصير عادة، ولم تحدث وفاة ما في نحو ١٠٠٠٠ ممن عولجوا به . والجرعة المعتادة تبلغ عشر الجرعة المستعملة في الجراحة للتخدير .

ويبدأ العلاج في غرفة معتمة حيث يرقد المريض مطبق الأجفان ، ثم يحقن العقار ببطء في الوريد ، فإذا ما جاءت الغشية بين اليقظة والمنام ، طفق بعض المرضى يتكلم من تلقاء نفسه ، على أن أغلبهم يحتاج إلى منبه حتى يتكلم . وقد يضطر الطبيب أحياناً أن يتظاهر بأنه زميل للمريض في الطيران فيصيح : « الطائرات المطاردة في آثارنا » أو «قذائف المدافع المضادة كثيرة أمامنا !» وفي بعض الأحيان لا تستطيع أمثال هذه الكلمات أن تفتح أبواب السدود القائمة ، فيلجأ الطبيب إلى صفير كصفير القذائف ، أو يلقي على الأرض علبة من الصفيح .

وكثيراً ما يبدأ المرضى كلامهم على صيغة الفعل الماضي ، ثم سرعان ما يتحولون إلى الفعل المضارع ، فيصفون مشاهد المعركة كأنهم يخوضونها . وهم يسيرون في الغرفة كأنما يبحثون عن خندق ، أو صديق مفقود ، أو يجفلون من قذيفة مدفع مضاد ، أو يتحدثون إلى رفاق لا يرونهم .

وهذا حديث جرى في علاج بالبنتوثال رواه جرنكر وسبيجل في كتابهما : « رجال في الضيق » : « لقد انقلبوا راجعين ! لقد هوى يا جورج ! النار ! وددت لو استطعت أن أحدد بصري إليه . هذه القذائف المضادة ! لقد حطموا كل كل زجاج الطائرة . لن نستطيع العودة اليوم أبداً حذار يا جورج ، مطارد يتبعك . . . لقد انحرف عنك » .

فإذا جاءت ساعة الحرج كذكرى انفجار طائرة ، أو مصرع صديق رآه بعينيه ، توتر

جسمه وتتابعت أنفاسه ، وحملق بعينيـه وحرك يديه مهتاجاً يبحث عمن يشاطره الخطر ، ولربما ألقى بنفسه فى حضن الطبيب. وكاد يغمى على أحـدهم حين بلغ فى قصته ذكرَ تلف كمامة الأكسجين ، فوضـع الطبيب يده على أنف الجنـدى وقال له : « هذا هو الأكسجين » ، فأفاق لساعته .

وثمة قائد طائرة مقاتلة كان يستعيد ذكرى مهمة أصيب فيها بجرح عميق ، فعاودته غشية النزف ، وامتقع لونه ، وتفصّد عرقاً بارداً ، وأسرع نبضه وضعف ، فبادر الطبيب بدير مروحة كهربائية أمام وجهه وقال : « السقف مفتوح ، أتشعر بهبة الهواء » فأجاب الطيار : « أجل ، فأنا الآن أحسن » .

وقد تكفى حقنـة واحدة من البنتوثال أحياناً ، وقد يقتضى الأمر حقنتين أو ثلاثاً أحياناً أخرى . وكان فى إفريقية مهنـدس فى العشرين من عمره ترتعش يداه رعشـة ظـاهرة ، وكان أقل شىء يفزعه ، وكان يشق عليه أن يتذكر ماضيه فى القتال ، وإذا سـئل عن أهله أخرج مفكرة من جيبـه وقرأ منها اسمه وعنوانه ، فلما حقن أول حقنة بالبنتوثال لم يستعد غير ذكرى مشهد واحد : « رأى خير أصدقائه يقتله لغم منكـّر من ألغام الألمان ، وأنه جر جثته مسافة طويلة تحت نيران المدافع ، ثم تركها فى النهاية » .

وقد تحسنت حالته فى اليـوم التالى بعض التحسن ، ولـكنه كان أشـد فتوراً ، فلما حقن بالبنتوثال حقنـة ثانية وسـئل عن بلده ، جعل يذكره مشتاقاً متلهفاً . وفى اليوم الثالث كان أشد فتوراً ، فلما حقن ثالثة بالبنتوثال انطلق يقص كيف رمى جنـديا ألمانيا فى مثل سنه ، وكيف قتله وهو منه على مدى قريب ، ونمّ حديثه عن جزعه وندمه على ما اقترف — فما هو إلا أن ذهب عنه الفتور . لقد كان هذا الحادث سر علته .

وكثيراً ما يتجلى بعد علاج البنتوثال أن الإعيـاء الذى أصاب المريض أثناء المعركة مردّه إلى حادث فى طفولته . فقد تبين مثلا أن علة أحد الطيارين ترجع إلى ذعر أصابه فى الخامسة من عمره ، يوم أرغمه أبوه على أن يصعد السلم وحيداً إلى غرفة مظلمة .

ومهما يكن فليس ثمـة قاعدة عامة ، ويقول جرنكر إن كثيراً ممن خلا ماضيهم من الهم والقلق قد تتصـدع نفوسهم ساعة يتعرضون لانفجار القذائف ، على حين ترى آخرين ممن كان ذلك فى ماضيهم يخوضون معارك عديدة قبل أن يغلبهم إعياء القتال .

ويقول جرنكر أيضاً : « إن أى رجل بالغاً ما بلغ من القوة ، قد يعنو فى النهـاية لإعياء القتال ، ومن النادر أن تضعضع المحنة الأولى نفوس ضحاياها ، وإنما يأتى ذلك من

جراء التكرار القاسي مقروناً باليأس من الخلاص ، وكثيراً ما نسمع من يقول : لقد احتملت ذلك جهدى ، ولن أطيقه بعد اليوم » .

وهذا ما كتبته فى مذكراتى عن قائد قاذفة أسقطت قاذفته فوق يوغوسلافيا فى مهمته الرابعة عشرة ، وأعيد إلى الولايات المتحدة ، وقضى إجازة مع زوجته وولديه . ترى ماذا دهاه ؟ إنه لا يستطيع أن يأكل أو ينام ،فأرسل إلى أحد مستشفيات النقاهة فقص على الطبيب أهوالاً شتى رآها : رأى صديقاً ينسف فى الهواء ، ورأى قاذفة من سربه تنفجر وهى إلى جواره ، وقاذفتين أخريين تتصادمان فوق مطاره ، ثم وجد ملابسه قد أودعت بين ملابس الموتى أثناء فراره من يوغوسلافيا . ثم أخذ يقول : « كاشفت الطبيب بكل هذا ، فلما حقنت بالبنتوثال جعلت لا أذكر سوى غارتنا على فينا . كان هدفنا يومئذ هو مصنع ألمانى لطائرات المطاردة فى فينر — نويشتادت . ولكنا أمرنا أن نتجاوز الهدف وأن نلقى قذائفنا على فينا، إذا كان الضباب يغشى هدفنا الأول. وكذلك وجدناه ،فأيقنت أنا سنقتل أفواجاً من النساء والأطفال فى فينا . وانحصار همى فى هذا وحده له معناه ، فقد كان مرده إلى أن لى زوجاً وطفلين » .

ومعدل ما يقضيه المصاب تحت تأثير البنتوثال ثلاثون دقيقة ، فإذا ما ثاب إلى رشده أصبح على اتصال بمحنته الماضية فى المعركة، وبيئته الآمنة الحاضرة معاً . فيعيد له الطبيب ذكر ما باح به تحت تأثير البنتوثال ويفسر له مكنون عواطفه ، ويعينه على الإيمان بأن مخاوفه أو قلقه لا مسوغ لها الآن . ثم بعد ذلك يحادثه أطباؤه مراراً غير مستعملين البنتوثال ، ويؤيدون ذلك كله بالرياضة البدنية وألعاب الجماعات ، وبالتدريب على بعض الأعمال اليدوية والتصوير وما إلى ذلك . فطريقة جرنكر ليست علاجاً قائماً بذاته يعطى المرضى ، ولكنه طور هام من أطوار العلاج .

وبهذه الوسيلة استطاع ألوف من الجنود المحطمين أن يعودوا إلى الحياة النافعة . يقول الجنرال أرنولد : «إن مهمتنا لا تنقضى بأن نلقى القذائف على هدف ، أو بأن نحطم طائرة للأعداء ، وإنما تنقضى يوم نعيد جنودنا إلى ربوعهم الآمنة على أحسن حال ممكنة » . وقد استطاع روى جرنكر بما ابتكره فى طريقته أن يعين قوة الطيران فى الولايات المتحدة على مقاربة هذا الغرض ، فإن طريقته لم ترد الجنود إلى الميدان فحسب ، ولكنها ساعدت أيضاً على أن يجنب آلافاً منهم دخول المستشفيات العسكرية .

نوادر الظرفاء

كان لأستاذ ضعيف الذاكرة شارد الذهن خفان من المطاط ينتعلهما إذاما أنذر الجو بالمطر ، فاستطاع هيو تروى ، أحد المبرزين فى الرسم على الجدران ومن أهل العبث بالناس ، أن يأخذ هذين الخفين من خزانة الأستاذ ، ودهنهما بالألوان حتى صارا كأنهما قدمان عاريتان؛ ثم ذرّ عليهما طبقة من السواد حجبت الرسم . وفى عصر ذات اليوم مضى الأستاذ غير شاعر بما دبر له يقصد بيته والمطر ينهمر ، فما سار إلا قليلا حتى أزال المطر السواد عن الخفين. ولشدما كانت دهشة المارة حين رأوا الأستاذ يخوض فى الشارع ـ كما خيل لهم ـ عارى القدمين.

بينا كان هيو تروى وصديق له جالسين ذات يوم على مقعد فى حديقة « سنترال بارك » بنيويورك ، إذ أبصرا شرطياً يدنو منهما ، فنهضا وحملا المقعد وسارا به . فاندفع الشرطى نحوهما وسألهما ماذا يريدان بالمقعد ، فقال هيو عابثاً : « لقد خطر لنا أن نأخذه معنا إلى البيت » فصاح الشرطى : « تأخذانه معكما إلى البيت ! ! شىء جميل ! هلمّا ، سآخذكما معى إلى دار الشرطة » ، فلما وصلا أبرز هيو للضابط وثيقة تثبت أنه يملك المقعد ، فقد صنع له ووفى ثمنه . استولى الغيظ على الضابط ولكن لم يسعه إلا أن يطلق سراحهما ومعهما المقعد .

فكرّا عائدين إلى الحديقة حيث كمنا فى بعض الشجر، حتى إذا رأيا شرطياً مقبلا ، خرجا يحملان المقعد ويتلفتان تلفت المريب فى كل ناحية ، إلا حيث وقف الشرطى ، وسرعان ما قبض عليهما .

وفى مركز البوليس واجها الضابط نفسه وقد كاد يتميز من الغيظ ، فانهال عليهما يسبهما ، ووكل بهما ضابطاً يصحبهما حتى البيت ، وقال : « لا أعرف حكم القانون فى هذا الأمر ، ولكن إذا عدتما بهذا المقعد إلى الحديقة فسأجعل هذا الأمر نزاعاً شخصياً بينى وبينكما » .

قبيل افتتاح معرض للقطط ، عثر برايان هيوز ، وهو من الظرفاء المعدودين ، على قط شريد مصاب فى فقار ظهره، فهو لا يزال شامخ الرأس كأنه نبيل من النبلاء . فأسرع هيوز وأدخله المعرض باسم « نيقوديموس » مع نبذة طويلة كتبها بنفسه ، ذكر فيها نسب القط وأصله .

وحمل نيقوديموس إلى المعرض فى قفص مذهب تحفه الزهور النادرة ، وكان يعوده كل يوم خادم فى ثيابه المزركشة ويحمل إليه

اللبن وصدور الدجاج . وعلق على قميصه بطاقة كتب عليها : « الثمن ٢٠٠٠ ريال ، غير معروض للبيع » .

ومنح نيقوديموس الشريط الأزرق وهو أكبر وسام ، وسأل المحكمون رايان : « إلى أين تريد أن نبعث به ؟ » .

فقال : « أطلقوه ، إنه قط شريد يعرف كيف يدبر أمر نفسه » .

لما نزل وليام هوراس دى فيركول ، وهو من ظرفاء الإنجليز ، مدينة البندقية ، أخذ حقيبتين كبيرتين فأفرغهما وبطنهما بالورق ، وتسلل تحت الليل إلى إسطبل فى ضاحية المدينة ، وانسل إلى المخزن حيث ملأهما من تلك الأخلاط التى تكون فى الإسطبلات . وعاد ساكناً إلى المدينة ، ثم مضى إلى ميدان سان ماركو الرائع ، وليس فى البندقية شوارع مرصوفة إلا فى هذا الميدان ، أما الطرق الأخرى فهى مسارب مياه تتخلل المدينة وتحيط بها ، ويكاد يكون من المحال أن تجد أى حصان فى ميدان سان ماركو .

ولكن فى صباح يوم أول أبريل ١٩٣١ وقف أوائل المارين بالميدان يفركون أعينهم دهشة وحيرة . مستحيل ، مستحيل ، إنها جياد جاءت ليلا ! إنه ليس جواداً بل جياداً كثيرة عليها فرسان من الملائكة ولا ريب . وهذه هى الشواهد فى كل مكان من الميدان ، وأمام كنيسة سانت مارك وقصر الحكام . وشاع الخبر ، وأقبل آلاف يحملقون ويعجبون لهذا الحدث العظيم .

كان الكسندر وولكوت ، المؤلف والراوية الممتاز ، لا يتحرج عن أن يتخذ أصدقاءه أهدافاً لعبثه الظريف . فحين أرادت دورثى باركر وزوجها ألان كامبل أن يفتتحا حساباً فى متجر بفيلادلفيا ، وذكرا اسم وولكوت ليسأل عنهما ، تلقى المتجر من وولكوت الرد التالى :

« إن مستر ألان كامبل من فوكس هاوس ببيرسفيل بنسلفانيا ، وهو الآن زوج دورثى باركر ، قد ذكر اسمى لكم لكى أكون مرجعا ، إذ يحاول أن يفتتح فى متجركم حساباً جارياً ، وإننا جميعاً نرجو أن تمنحوه ما طلب .

إن منزلة دوروثى باركر فى الأدب الأمريكى تجعله عاراً علينا أن نقابلها بالرفض الدنىء الذى قوبلت به هى وزوجها فى كثير من الفنادق والمطاعم . وماذا يضيركم إذا لم تستردوا مالكم ؟ ولم لا تتحملون نصيبكم من النفقات ؟

المخلص

ألكسندر وولكوت »

جَلَدٌ رائع

فيرفاكس داونى ... مختصرة من مجلة "ذى نورث اميريكان"

كانت الجدة كاين فى الخامسة والسبعين وطريحة الفراش . ولكن دعهم يحاولوا أن يذهبوا بدونها ؟ لقد استخفت بما قصوه عليها من أخبار الهنود وغير ذلك من أخطار الرحلة الطويلة إلى كاليفورنيا فى ذلك العام — ١٨٤٦ ، فوضعها زوج بنتها — جيمز ف. ريد على فرشة من الريش فى مركبته المغطاة ، وخرجت هذه الأسرة من الروّاد وانضمت إلى أصدقاء لها هم أسرة دونر ، من إلينوا حيث كانت تقيم وذهبت مغرّبة . ولن تلبث هذه السيدة العجوز التى لا تعرف الخوف أن توارى فى رمس فى سهوب كنساس ، غير أن الروح المتلهبة التى استولت عليها ستحدو جماعة دونر وتحثهم على مواصلة السير فى وجه الموت بالسكين والرصاص ، والظمأ ، والجوع والبرد القارس .

واجتازوا سالمين أرض الهنود «السيو» المستوحشين . ودخلوا فى الصيف بعد الربيع ، وكانوا إذا نزلوا يوقدون النار ويقصفون كأنهم فى نزهة ، ويجلسون إلى طعام شهى من لحم الجاموس والتيتل ، ثم يغنون ويرقصون على أنغام القيثار . ولم تساورهم الطيرة ، ولا ارتمى ظل ذلك المصير القاسى الذى سيحفر إلى الأبد قصة أولئك المهاجرين فى تاريخ الغرب .

وفى يونج الغربية الجنوبية نزلوا مع غيرهم من أصحاب المركبات عند « ليتيل ساندى كريك » وتشاوروا أى الطرق يسلكون . وكان لا بد لهم جميعاً من أن يصعدوا فى جبال سيير انفادا من طريق واحد ، ولكن المسألة هى كيف يصلون إليه .

وقد سلك آلاف قبلهم طريق أوريجون المطروق إلى الشمال الغربى ، غير أن هؤلاء كانوا من أوائل النازحين إلى كاليفورنيا ، وكان قد أطمعهم ما قال الجنرال جون س . فريمون عن الجنة التى ارتادها غربى جبال الروكى ، وشجعهم ما أعلنه الرئيس بولك فى ١٨٤٥ من أنه معتزم ضم الأقليم الغربى الذى لم يكن يقوم على حراسته سوى ٥٠٠ من الجنود المكسيكيين ، ولا يقيم فيه إلا عدد صغير من الرعاة المكسيكيين ورهبان البعثات وتجار الفرو من أهل الشمال . فبدأت الهجرة سلسالا ضحضاحاً ولن تلبث أن تصبح سيلا متبطّحاً .

وكان هنالك أيضاً كتاب ألهب خيال أهل الغرب الأوسط : دليل المهاجرين إلى أوريجون وكاليفورنيا لمؤلفه لانسفورد و . هستنجز .

ولم يكن أحـد يدرى أن هستنجز المنافق كان يحتال لاجتذاب النازحين ليرفع نفسه، فى كاليفورنيا التى كانت لا تزال مكسيكية ، إلى مثل الذروة التى بلغها هوستون فى تكساس . وإنما كان الذى يدريه الناس أن هستنجز قد نقل جماعات عـديدة بنجاح ، وأن طريقه المختصر — جنوباً بغرب مخترقاً يومنج إلى فورت بردجار ومن ثم إلى الجنـوب بدلا من شمال « جريت سولت ليك » — يعفى المسافر من ٠٠ ٢ ميل متعبة .

وكان هستنجز قد قال إنه سينتظر عند فورت بردجار ثم يقود الجماعـة ، ولـكن رجال الحدود المتمرسين حذروا المهاجرين من الطريق الجديد ، فلما استؤنف السير فى ٢٠ يوليه، لم تأخذ طريق هستنجز سوى ٢٠ مركبة ، وأخـذت الـكثرة الـكبيرة الطريق القديم .

وسار الفريق الأصغر والأجرأ قدماً بقيادة جورج دونر الرضى الأخلاق — وكانوا ٨٧ نفساً معهم أشـياؤهم وماشيتهم — وهم من بناة الغرب المعهودين . فمضوا معاً يحملون علماً واحـداً، وفيهم الأمريكى والإرلندى والألمانى، والمتعلم والأمى والشيوخ والأطفال، ومنهم أسرة كانت أشياؤها القليلة لا تملأ مركبة واحـدة ، وأخرى لها سلسلة من المركبات ومعها عشرة آلاف ريال مخيطة فى لحاف . وكان هناك بعض البارزين : جيمز ريد وهو مندفع وكفء ، وتاسن رونر وهى رقيقة الخلق وزوجة جورج ، وكانت فيما مضى معلمة . وويل ماك كانشتون القوى المتين ، وطوله ست أقدام وست بوصات ، وشارلز ستانتون وله نظرة المثالى الصافية ، ووليم إيدى وهو رام لا يخطىء ، ولويز كيسبرج وهو ألمانى طويل القامة واللحية ولا يؤمن شره .

وبلغوا فورت بردجار فعلموا أن هستنجز قد مضى بجماعة أخرى غير أن جيم بردجر وهو من مقاتلة الهنود وصياد ، أكد لهم أن طريق هستنجز المختصر أقصر ، وأنه صالح فى أكثر المواضع ، وسيقطعون أرضاً لا نبات فيها ولا ماء — نحو ٤٠ ميلا — ولـكنه يسعهم أن يحملوا معهم الماء والخضر . وقد كذب عليهم ، ولوجوزى بما هو أهله على هذه الخطيئة لنهضت الأرواح من ثلوج جبال سييرا لترافقه وتعذبه بقية حياته .

وصادفت المركبات المغطاة أرضاً ذات وعورة وصخور ، ولما بلغوا نهر وير وجدوا رقعـة من هستنجز مسمرة إلى شجرة فيها وصف المتاعب التى عاناها ركب آخر ، أوفر من ركبهم رجالا فى وادى وير ، وحضهم على اجتناب الوادى واجتياز

جبال واساتش . فعالجوا الجبل وضاعفوا الثيران المشدودة لجر المركبات فى المراقى الصعبة، وكان عليهم أن يشقوا كل ميل شقاً فى هذه السباسب ، وأخيراً اجتازوها ولكنهم سلخوا ٢١ يوماً ليقطعوا ٣٦ ميلا . وكان الصيف قد كاد يولى ، وقلت المؤونة، ولن يلبث الثلج أن يسد فى وجوههم جبال سييرا .

ولما صاروا على مقربة من الموقع الحالى لمدينة سولت ليك، تزودوا من الخضر والماء وألقوا بأنفسهم على الصحراء . وكان جيم بردجر قد قال إنها « مسافة أربعين ميلا فقط » غير أنها كانت أقرب إلى الثمانين . فمضوا متحاملين على أنفسهم يوماً بعد يوم تحت الوهج الساطع ، والجبال البعيدة تبدو كأنها تنأى عنهم . وسخر منهم السراب ، ورأى الركب كله نفسه مرة بادياً فى صقال ما يشبه مرآة هائلة ، وحدق أحدهم فى صف جانبى من عشرين صورة له تحكى حركاته ، وكان الماء قد قارب النفاد ، وكابد الرجال والحيوان عذاب الظمأ ، وامتد الركب متفككاً مبعثراً، وهُجرت المركبات، ورفع النير عن الثيران ليكون سوقها أسرع ، غير أن بعضها بعد حله انطلق فى الصحراء .

وظلوا خمسة أيام قائظة يسيرون ، وظل الأطفال خمس ليال مقرورة يلتصقون بالكلاب التماساً للدفء ، وأخيراً بلغوا عيناً ولكنهم كانوا قد فقدوا ربع ثيرانهم .

واعترى جماعة دونر بطء خطر فى رحلتها، فقد قعد بها وعوقها ما خسرته من المركبات والماشية ، فاستحال أن تتم الرحلة بغير مؤونة أخرى . وساورها اليأس فأرسلت ستنتون ، ودبل ماك كتشيون المارد ليغذا السير إلى « فورت ساتر » بوادى سكرمنتو ويعودا بطعام فى مركبات . وفى خلال ذلك واصلت المركبات سيرها وهى تصر وتصرف، ودخل الركب فى أرض الهنود مرة أخرى ، ولم يكن الهنود المخاتلين يجرءون على الهجوم المباشر، ولكنهم بالسرقة وبالسهام ذات الصفير أتوا على كثير من الماشية الباقية .

وأضنت المشقات نفوس هؤلاء الرواد المكدودين ، واشتبكت مركبتان على تل وعر، فراح سنايدر يضرب الثيران بسوطه ضرباً مبرحاً ، فاحتج ريد ، فأهوى سنايدر على رأسه بمقبض سوطه ، فلمعت سكين ريد ، وسقط سنايدر صريعاً .

وحوكم ريد بقانون الرواد المرتجل ، وكان من الجلى أنه يستطيع أن يحتج بالدفاع عن النفس ، ولكنه كان معدوداً من « الأرستقراطيين » ولم يكن محبوباً ، على حين كان سنايدر رقيقاً ظريفاً حسن المعاشرة ، وخاصة حين يجلسون يصطلون ،

رشد كيسبرج حبال مركبته إلى شجرة وطلب الحكم بالإعدام ، غير أن الحكم صدر بالنفي ، فخرج ريد يضرب فى الفيافى أعزل بغير سلاح ، وقد استطاعت أسرته فيما بعد أن تمده سراً بحصان وبندقية وتزوده بطعام . وكان من حسن حظ الركب أنهم التقوا به مرة أخرى فيما بعد .

وغدا الموت يسير فى ركاب النازحين من الآن فصاعدا ، إذ تطمر العجلات فى الرمال ويغير الهنود فى الليل ، وأنزل هاردكوب — وهو بلجيكى — من مركبة كيسبرج لتخفيف حملها فتخلف واختفى ، وأبى راكبو الخيل أن يرجعوا ليبحثوا عنه ، فقد صار شعار كل أسرة « نفسى نفسى » وابتلعت الصحراء أيضاً وولفنجر وهو ألمانى كان الذائع عنه أن معه مبلغاً كبيراً من المال . وكان معه اثنان من مواطنيه ، فتلكأ معهم فسبقهم الركب ، ولما عادا بدونه زعما أن الهنود قتلوه . فحمل آل دونر الكرام أرملته معهم ، ومضى الركب وئيداً يعذبه الظمأ والجوع .

وتجدد الأمل عندنهم تراكر ، فقد رجع ستانتون من « فورت ساتر » ولقيهم ومعه راعيان من الهنود يستاقان سبعة بغال موقرة بالزاد .

فأقاموا يستريحون ويستجمون ، وكانت جبال سييرانيفادا لا تزال بينهم وبين أرض كاليفورنيا الموعودة ، وكان شهر أكتوبر قد شارف نهايته ، غير أن الطريق يظل فى العادة مفتوحاً إلى منتصف نوفمبر . ولكن وا أسفاه ! لم يكن هؤلاء النازحون من الغرب الأوسط من أهل الجبال ، ولا كانوا يستطيعون أن يشيموا الشتاء المبكر .

واجتازوا الموقع الحالى لمدينة رينو ودخلوا فى منطقة جبال سييرا المقطبة ! الوحى ! بالله عليكم ! أسرعوا ! ومروا بكوخ مهجور على شاطئ بحيرة تراكى ونبذوا المركبات ، وحملوا الثيران متاعهم ، واحتملوا أصغر الأطفال على أذرعهم ، وألقوا بأنفسهم على الطريق المغطى بالجليد ، وغاصت البغال التى خرجت عن الطريق فى أخاديد عميقة .

وفى تلك الليلة ثلجتهم السماء ، وبلغ ارتفاع ما سقط منه عشر أقدام ، فارتد المهاجرون إلى الكوخ على شاطئ البحيرة ، وأقاموا بسرعة ملاجئ أخرى يحتمون فيها من العاصفة ، ورفع الثلج حولهم جدران سجن واسع ناعم .

وكان من العبث أن يحاولوا مرة أخرى أن يجتازوا الطريق الذى سده الثلج ، ومرت الأيام ، ولم يعدموا مأوى وملبساً وحطباً ، ولكن الطعام كان نزراً ، وذبحوا القليل الباقى من الماشية وأكلوه ، وثنوا

بالكلاب ، وحاولوا عبثاً أن يصيدوا سمكا ، واستطاع ولم إيدى أن يتعقب دباً أبيض فيه ٨٠٠ رطل وأن يصيبه بآخر رصاصة معه ، ثم يجهز عليه بضربة ، ولكن لحم الدب لم يطعم هذه الأفواه الجائعة طويلا .

واشتد بهم التضور ، فاندفع عشرة من الرجال وخمس من النساء ، في السادس عشر من ديسمبر ، على الطريق يعالجون اجتيازه مستيئسين ، واتخذوا لأقدامهم خفافاً للثلج صنعها بيلى جريفز من أهالى فيرمونت. وكان ستانتون والراعيان الهنديان أدلاءهم ، فواصلوا السير يوماً بعد يوم ، ثم إن ستانتون أمرهم ذات صباح أن يمضوا على أن يلحق بهم . وكان يعلم أنه لن يستطيع اللحاق بهم فقد أعماه الثلج ونهكه التعب ، وقد كان قبل ذلك آمن السرب في وادى سكرمنتو ، ولكنه عاد لينقذ أصحابه . فالآن أوردته شهامته مورد التلف وحده في الثلج .

ونفد الطعام . وأخيراً ، بعد يومين ، نطق بات نولان بما كان يدور في رءوسهم وراء عيونهم الشاردة اليائسة ، فما زال عندهم شيء يطعمونه ــ اللحم البشرى !

لحم من ؟ ألقوا على أنفسهم هذا السؤال الفظيع . فليقترعوا ! ولكن أيذبحون الذى تخرجه القرعة ذبحاً ؟ كلا ! بل فليقتتل اثنان بالمسدسات ، ولكن المقتول هو الضحية. على أنهم لم يستطيعوا أن يحملوا أنفسهم على ذلك .

وسرعان ما ناب عنهم الجوع والبرد والاجهاد في الاختيار ، فجعل الرجال يسقطون واحداً بعد واحد ويموتون ، وعجز معظم الباقين المساكين عن مقاومة الإغراء الفظيع . فجعلوا يقطعون اللحم من الجثث ويشوونه على النار ويأكلونه ، « ويشيح بعضهم بوجهه عن وجوه الآخرين ، ويبكون » . واجتنبوا شيئاً واحداً ــ أن يأكل أحد منهم لحم أهله .

ورؤيت ذات يوم آثار ظبي على الثلج ، وكأنها آية من السماء ، فانطلق ذلك الصياد الذى لا يقهر ، ولم إيدى ، ومعه مارى جريفز ، وكانت من قبل أجمل فتاة في الركب أما الآن فقد أصبحت ممصوصة هزيلة . وأخيراً لمحا غزالا كبيراً على مسافة ٨٠ ياردة لا أكثر ، فرفع إيدى بندقيته بكل ما بقى له من قوة إلى كتفه وأطلقها ، فوثب الغزال يعدو .

وصاحت مارى : « أيها الربّ الرحيم ! لقد أخطأته ! » .

ولكنه لم يخطئه ، فقد سقط الغزال ، فذهبا يعدوان إليه ، وقطعا رقبته ، وكرعا من دمه !

وسرعان ما التهموا لحم الغزال ، وعادت آلام الجوع ، وصارت النظرات اليائسة تحوم خلسة على الراعيين الهنديين. وتذكر إيدى أن هذين الرجلين قد جاءا لنجدتهم، فحذرهما ، وكانا أضعف من أن يبعدا فى الهرب — فقد كانا ، مثل إيدى ، قد أبيا أن يأكلا لحم الإنسان — فوجدا منطرحين على الثلج متشبثين بآخر نفس من الحياة . فأطلق عليهما وليم فورستر النار ، فصار هناك مرة أخرى ما يقيم الأود .

وبعد نحو شهر منذ خروجهم من الكوخ ، خرج إيدى وفورستر — وهما كل من بقى من الرجال — والنساء الخمس كلهن ، من الجبال متعثرين ، منطرحين إلى مخيم هندى ، فأعينوا على الوصول إلى ضيعة فى الوادى .

وخفت كاليفورنيا الآن لإنجاد بقية المهاجرين من ركب دونر ، فخرجت فى أول فبراير فرقة وصلت إلى بحيرة تراكى بعد جهد باسل ، فخرج إليها من الأكواخ الباقون المتضورون ، مارين بالجثث التى أخرجت على الثلج . وكان طعامهم كله قد نفد — حتى كلابهم — ولم يبق من شىء سوى المرق اللزج وجلود الثيران .

واقتسمت فرقة الإنقاذ مؤونتها القليلة مع الباقين على قيد الحياة ، وكانوا أضعف من أن يحتملوا مشقة الرحلة ، ثم عادت الفرقة إلى كاليفورنيا ومعها ثلاثة رجال وأربع نساء و١٧ طفلا ، وكان سبعة عشر من هؤلاء لايزالون أحياء حين قابلتهم فرقة أخرى للإنقاذ ، وكانت هذه الفرقة بقيادة جيمز ريد — ذلك الرجل الذى نفوه لأنه قاتل . وكان قد جاهد وحده وشق طريقه على الجبال وسلم ، وبذل جهوداً عديدة باسلة للعودة مخترقاً الثلوج لينجد أصحابه .

وجاءت مؤونة ريد فى أوانها ، وارتمت بنته فرجينيا بين ذراعيه ومضت به إلى زوجته التى كانت قد تهافتت على الثلج . ثم علم أن طفليه الأصغرين قد تركا فى الأكواخ التى يحف بها الجمد ، فأرسل ريد الناجين إلى مأمنهم . ورجع هو وبضعة رجال أشداء من الطريق الخطر .

ووجد فى الثلج حول الأكواخ جثثاً قطع منها اللحم ، فكان ذلك شاهداً ينبئ عن الثمن الذى ابتيعت به الحياة . فما كان ثم سوى أحد أمرين : أكل اللحم البشرى أو الموت .

ولكن طفلى ريد كانا على قيد الحياة ، فحملوهما ومعهما كل من كانت فيه بقية من القدرة على السير ، واقتحمت بهم فرقة الإنقاذ الثانية الممر الجبلى . ومع أن كارثة أدركتهم

حين وجدوا أكياس الطعام التى تركوها على الطريق قد التهمتها الحيوانات ، إلا أن ريد استطاع أن ينجو بطفلين ونفر قليل آخر .

وكان إيدى وفوستر لما بلغا كاليفورنيا أضعف من أن يرجعا مع هؤلاء المنقذين ، ولكنهما الآن وقد علما ان أبناءهما لا يزالون أحياء ، وجدا قوة دفعتهما إلى المخاطرة بالعودة إلى البحيرة مع زميلين . وهناك صدمتهما أخبار فظيعة ، فقد مات أبناؤهما وأكلوا ! واتهم الأحياء كيسبرج فأقر ، واستطاع الوالدان أن يضبطا أعصابهما فلم يقتلاه ، فقد صار ضعيفاً كسيحاً غير قادر على دفاع ، واكتفيا بتركه وعادت فرقة الإنقاذ الثالثة هذه بدونه .

وقد تركت أيضاً ، باختيارها ، تامسن دونر ، وودعت طفليها ، وكانت بنتان لها أكبر من هذين قد رحلتا من قبل . وكانت تستطيع أن ترافق ولديها ، ولكنها أبت أن تترك زوجها الذى كان فى سياق الموت على الرغم من توسلاته إليها أن تذهب . واجتاز طفلا دونر الصغيران واثنان آخران من الصغار ، جبال السييرا فى سلام على أذرع منقذيهم الأربعة . وفى منتصف إبريل ، وبعد عام من خروج جماعة دونر من إلينوا ، خرجت بعثة رابعة هى الأخيرة إلى البحيرة ، لتستنقذ متاع المهاجرين الذين لم يكن منتظراً أن يوجد أحد منهم حياً . فوجدت الأسلاب هناك — ووجدت كيسبرج . فقص على القوم قصة الأيام الأخيرة المروّعة ، فقد تطرحت تامسن دونر إلى كوخه وهى كالمجنونة ، تبكى وتقول إن زوجها مات . وفى تلك الليلة — على ما قال كيسبرج — ماتت هى أيضاً .

ولم يصدقوه ، وعزز ارتيابهم فيه وأنه قتل المدرسة الضامرة وأكلها ، أنهم وجدوا حليها معه ، غير أن كيسبرج زعم أن تامسن أعطته الحلى ليحفظه . وقد ظل بقية حياته يقول إنه برىء .

وأخذ المنقذون كيسبرج معهم — آخر رجل يخرج . وفى أحد مخيمات فرقة إنقاد سابقة ، وقف كيسبرج يعبث بأصابعه بقطعة من قماش بارزة من الثلج ، وتكشف الثلج الرقيق عن ثوب فيه جثة ابنته المتجمدة « أدّا » .

وهكذا انتهت هذه القصة المذهلة لرحلتنا إلى الغرب — وهى قصة موت ، مفاجىء أو بطىء معذب ، اغتال أربعين رائداً قبل أقل من قرن . قصة جلد رائع خرج منها ٤٧ إلى الأرض الموعودة التى كانوا ينشدونها ، وعاش الناجون بقية حياتهم فى أحوال شتى التقلب ، وعمر بعضهم ،

ومات آخر جماعة دونر فى ١٩٣٥ ، أما ذلك الشرير هستنجز فمات فى ١٨٧٠ فى البرازيل، وأما كيسبرج فبعد فترة وجيزة من الرخاء فى عهد البحث عن الذهب ، فقد قضى بقية عمره الطويل فى بأساء .

وفى مكان بلواهم فى جبال سييرا ــ وقد أطلق عليه اسم بحيرة دونر، وصار مصيفاً ــ ظلت جذوع الأشجار زمناً طويلا ، ذاهبة مقدار عشرين قدماً فى الهواء ، دالة على ارتفاع سطح الثلج الذى وقف فوقه المهاجرون يقطعون الحطب . وفى مكان أحد الأكواخ قامت هناك صخرة عليها لوحة من البرونز ، واليوم إذ يقف المصطاف أو طالب الألعاب الشتوية وفى قدميه حذاء الانزلاق ، يستطيع أن يقرأ أسماء جماعة دونر السبعة والثمانين .

لكل رجل مقام

— ١ —

حين كان كالفن كولدج نائباً لرياسة الولايات المتحدة ، اتخذ هو وزوجته شقة فى فندق ويلرد فى وشنطن . وذات مساء دوى فى أرجاء الفندق إنذار النار ، فاجتمع كل ساكنيه فى الردهة . ولكن رجال المطافىء حجزوهم هناك مدة طويلة ، حتى بعد أن أخمدوا النار . فعيل صبر كولدج ، فخرج من الجماعة وسار نحو السلم ، فاستوقفه رئيس المطافىء وسأله : « من أنت ؟ » فرد : «أنا نائب الرئيس» . فقال له : «حسن . امض فى طريقك » . فلم يكد يمضى خطوة أو خطوتين حتى استوقفه ثانية وقال مستريباً به : « نائب رئيس من ؟ »

— أنا نائب رئيس الولايات المتحدة .

— إذن فعد ، فقد حسبتك نائب رئيس الفندق . [جورج هوارتون بيبر]

— ٢ —

ذهب لورد هاليفاكس سفير بريطانيا فى وشنطن فى رحلة إلى ولاية أيوا ليخطب فيها . قال : « وبعد أن ألقيت إحدى الخطب أقبل على فلاح شيخ وقال لى إننى أسدى يداً عظيمة إلى قضية التفاهم البريطانى الأمريكى ، فشكرت له قوله وسألته : ما الذى يحمله على أن يظن هذا الظن ؟

فقال الفلاح : « كنا قبل أن نسمع خطبتك نخشى البريطانيين ، ونظن أنهم أبرع منا وأمهر ، أما وقد سمعناك فقد صرنا لا نخشاهم » . [دروبيرسون]

سحقاً للحشائش !

نبأ من أعظم الأنباء شأناً فى فلاحة البساتين منذ سنوات . مسحوق يسرى سمه فى النباتات التى يرادهلاكها ، ولكن سمه لا يسرى فى الحيوان ولا فى التربة .

ز . ملتون كارلتون — مختصرة من مجلة "بترهومز آند جاردنز"

كشف مركب كيميائى جديد لفلاحة البساتين ، يقضى على شر حشائش الحدائق أن تنتحر . ونبأ هذا الكشف يعد من أعظم الأنباء شأناً فى فلاحة البساتين منذ سنوات ، ويرجع الفضل فى كشفه إلى علماء مصلحة البحوث الزراعية الأمريكية وغيرهم .

أخبث الحشائش وأعتاها هى المعمرة من ذوات الجذور الضاربة فى جوف الأرض — كالعليق ونوع من البوال ورأس الحمامة والهندباء البرى . وقد كانت الطريقة الفذة للقضاء عليها أن تقتلع من جذورها ، ولكنك إذا ما رششتها اليوم بهذا المركب الكيميائى الجديد فموتها حتم مقضى . ولهذا المسحوق منافع عجيبة أخرى .

يختلف هذا المركب عن المبيدات القديمة للحشائش ، فهو غير قابل للاشتعال وغير سام للحيوان ، ثم إنه لا يحدث صدأ فى معدات الرش ، ولا يلوث الملابس ، ولا يقتل التربة .

والرجل الذى جعل هذا المبيد سلعة تجارية قريبة المنال إلى البستانيين ، هو فرانكلين د . جونز من مدينة آمبلار بولاية بنسلفانيا ، وهو أحد كبار الثقات فى هورمونات النبات .

وقد كان هذا العالم ينقب عن وسيلة للقضاء على الحشيشة السامة التى كان أطفاله عرضة لأذاها . وكان يعلم أن أوراق النبات تمتص الهورمونات وأشباهها من المواد الكيميائية ، ثم تسرى فيها إلى رؤوس الجذور . فتساءل : أترانا نظفر بمركب كيميائى لا يصلح أن يكون هورموناً لشدة سمه ؛ ولكن النبات يمتصه فيموت ؟ ثم اختار تسعة من المركبات الكيميائية الشبيهة بالهورمون ، ورشها على نبات الحشيشة السامة .

وكان أحد هذه المركبات قريباً من مركب السيانور الذى يقتل الحيوان ، فلم يمت النبات بل جعل ينمو نمواً طاغيا . ولم يزد مركبان آخران على أن جففا الأوراق ، وسرعان ما استرد النبات نماءه . وكذلك نبذ هذه المواد واحدة بعد أخرى ، حتى لم يبق غير اثنتين . ثم لاحظ جونز أن النبات الذى يرش بهما أخذ يضرب إلى اللون البنى ، فقد أثر العقار فى قدرة النبات

على التشكيل ، وترقب أن يسترد النبات نضرته فلم يستردها .

كان أقوى المواد الكيميائيــة أثراً ، حامضان عضويان معقدا التركيب يكاديكون أثرها واحداً . وكان أحدهما سلعة تجارية ، واسمــه العامى « الحمض الكلوروفينول أكسى أسيتيك الثلاثى » ويعرف اختصاراً بالحروف ت . س . ب . وقد أجرى عالمان من أشهر علماء فسيولوجيــة النبات — الدكتور هامنر والدكتور توكى — تجارب بهذا الحمض فى جامعة كورنل ، فقتل حشائش العليق كلها قتلا فى عشرة أيام .

إن طبيعة تركيبه الكيميائى تجعل ورق النبات يمتصه . ثم يسرى فى الأغصان إلى أبعد رؤوس الجذور . والسم يقتل الورق لقضائه على مادة اليخضور (الكلوروفيل) . ولا نعلم ما يفعله فى سوق النبات ، ولكن يبدو أنه يقوض جــدران الخلايا أو يشلها فلا تؤدى عملها . وقد وجــد هامنر وتوكى ، أن جرعات هذا الحمض تظل ذات أثر ناجع حتى إذا حل جزء منه فى ألف جزء من الماء .

وليس فى مادة ت . س . ب عيب واحد من عيوب المبيدات القــديمة للحشائش . فالمبيدات القــديمة كانت تذوى الحشائش فجأة ، فلا ينقضى يومان أو ثلاثة أيام حتى تبدو النباتات كأنهــا ماتت . أما النباتات الحولية ذوات الجذور القريبة الغور فتموت . وأما المعمرة من ذوات الجذور الغائرة فى جوف الأرض ، فكانت تبعث بعثاً جديداً عنــد منطقة التاج ، فإذا لم يستعمل قادر واق من سم يجعل التربة عقيما ، رأيت الحشائش المعمرة تعود وهى أحسن نمواً مما كانت ، لانقراض الحشائش الحوليــة من حولها .

فإذا استعمل مركب ت . س . ب ، لم يذو النبات ذُوِيًّا مفاجئاً ، ويظل أربعة أيام أو خمسة أنضر ما كان ، ثم يظهر على أطراف الورق لون أصفر ضارب إلى الخضرة ، ثم يميــل إلى الصفرة ، ثم يصير رمادياً أسمر ، وأخيراً يصبح بنياً .

أما الحشائش التى يهلكها هذا المركب فكثيرة ، وقد قتلت بها فى تجاربى حشيشة العليق ، والحشيشة السامة ، وشبر فايد ، والأمروسيا ، والبرقوق البرى ، والكرز البرى (ومنه الكرز الخانق عائل الدودة الكيسية) والتوت الشوكى ، ولسان الحمل والهندباء البرى ، ورأس الحمامة ، وحشيشة الرمل ، ونوعاً من البوال . وقد استطاع باحثون آخرون أن يقتــلوا به الحزنبل ، وحشيشة من نوع عنب الديب ، والزربيح والساسفراس ، والجليدتشيا ، والبرسيم البرى ، والثوم البرى .

وقد جربه فريق من الباحثين في جامعة بأواسط الولايات المتحدة ، في حقل حصائد قديمة (أسافل الزرع التي تبقى لا يستأصلها المنجل) من حشيش الحور ، أنبتت حولها سوقاً ، فافترشت مساحته نصف قطرها ٧٥ قدماً . فلما عولجت هذه الحصائد بالمبيد ، ذبلت الفسائل التي حولها من فورها ، وبدأت السوق التي تليها تموت واحدة بعد واحدة ، وسرت المادة السامة سرياناً بطيئاً لا ينقطع ، حتى بلغت آخر ساق خضراء على ٧٥ قدماً من الحصيدة .

وأروع ما يزف إلى المهتمين بالمحافظة على الثروة الزراعية ، هو نبأ الأثر السام الفعال لمادة ت . س . ب في حشيش شبر فايد ، الذي غزا مساحات واسعة من شرق الولايات المتحدة . فقد شاهد أصحاب البساتين بساتين كاملة قد طغا عليها هذا الحشيش في ثلاث سنوات أو أربع ، كأنما هي موجة خضراء من هذه الآفة ، وعسى أن تكون قد نشأت من نبتة واحدة قد استفاضت حتى غمرت الأرض .

وقد كشف جونز أن تأثر معظم الحشائش بهذه المادة ليس أمراً سهلا حين تهبط حرارة الهواء عن درجة ١٠ ستنجراد ، فالحشائش المعمرة تعتمد يومئذ في غذائها على ما خزنته منه ، ويقل ما تأخذه من الهواء والتربة . وشذ عن هذا الحشيشة السامة ، والعليق ، وشبر فايد ، فمن أجل ذلك يمكن رشها حين تهبط الحرارة دون درجة ١٠ ، على أن يكون النبات قد أخرج شيئاً من ورقه .

ووجد جونز أيضاً أن معظم الحشائش المعمرة يشق قتلها إذا لم تكن غضة ، فإذا ما توافرت جميع الأحوال المواتية ، استطعت إذن أن تستعمل مادة ت . س . ب لقتل حشائش مرجاك في الصيف ، حين ينقطع نمو السفون (نوع من حشيش المروج) (وهذا الحشيش عرضة للقتل في بعض أدوار نموه ، ولا سيما في أوائل الربيع وأواخر الصيف) .

وقد وزع مركب ت . س . ب في السنة الماضية باسمه التجاري « ويدون » على طائفة من البستانيين الذين يحبون التجريب . وكان بعض التقارير الأولى التي وردت لا يبعث على الرضى ، ولكن ظهر أن هذه التقارير جاءت ممن توقعوا أن تذوي الحشائش كما عهدوا حين كانوا يستعملون المبيدات القديمة ، فلما أتيح الوقت الكافي لمركب « ويدون » حتى يخترق الأنسجة ، أرضى كافتهم بما يفعل في إبادة الحشائش التي تتأثر به ، والتي سردناها فيما تقدم .

كلمة السر هي :
مندلاي

لفتننت كولونيل جيمس وارنر بلاد
مختصرة من وثائق سلاح الطيران الأمريكي

كيف نقل « فيل كوكرين »
وعصبته طلائع الجنرال ونجت
على متن الريح فوق قنن الجبال
فى ضياء القمر الساطع ،
وأنزلوهم فى برما التى يحتلها اليابانيون ،
وكيف كان مصرع بعض الجند . ثم بقى منهم
من يكيل الضربات القاضية لشد أزر ستلويل
ونجت فى فتح شمال برما وتحرير الصين .

ذلك الصباح فانسلخت بمجيئه سبعة أشهر فى عمل يقصم الظهور ويضنى العقول . لم يبق سوى ساعات تمر بطيئة حتى تهم الطائرات بالطيران . وظل جيرى دن يكثر ذكر الموت ، وظللت أنا أبتغى إسكاته ، فكان يبتسم ويقول: « من ذكر الموت لم ينزل الموت بساحته » .

كان على الخريطة بقعتان من الفضاء تكتنفهما الغابات والجبال ، لم تطأهما قدم قط .... ولكن كانت لهما صور مصورة ، وستهبط السابحات الشراعية من ناقلات الجنود وشيكا فى هاتين البقعتين ، فلا بد من الاستيلاء عليهما والتشبث بهما مهما كلفهم الأمر ، إذ ليس فى وسع السابحات أن تعود أدراجها . وإذا ما مست أقدامهم الأرض شرعوا فى القتال ، وستوافيهم موجة فى إثر موجة من مهندسى الميدان الأمريكيين والجنود البريطانيين ، والمسالف ، والممهدات ، والبغال ، لينشئوا مطاراً بين الفجر والغسق ، حتى يتيسر لحاملات الجنود فى الليلة المقبلة أن تنزل الجيش فيهما .

وكنت تسمع فى قاعدة طائراتنا السابحة لهجات من أهل بروكلين وكارولينا ولندن وليفربول وتكساس ونيبال ، ولكنهم صاروا فجأة كأنهم من أمة واحدة . ولابد من أن يكون فيل كوكرين قد أحس أن كل تفاهات الحياة قد زالت ، إذ اختتم أوامره بقوله : « ستجدون الليلة أن لكم نفوساً عظيمة ، وأن كل ما فعلتموه من قبل يتضاءل اليوم ، وأن الساعات القلائل الآتية هى كل شيء ، فأرجو لكم حظا سعيداً » .

كنت مستلقياً على الأرض أنا ودن فى ظل جناح إحدى السابحات ، وكنا فى الطليعة الأولى ، وراح دن يتحدث عن زوجته فى لندن . وكنت أشعر بين الفينة والفينة أثناء حديثه بما يملأ علىّ نفسى فها نحن

مقدمون عليه . وأزف الموعد ، فربّت دن على كتفى برفق وقال ، وهو يعود إلى سابحته : « إلى اللقاء » .

وجاء جون أليسون مهرولا ، وهو قائد طائرة مقاتلة ولكنه كان فى هذه المرة نائب كوكرين فى القيادة ، ومهمته أن ينشئ مطاراً فى ١٢ ساعة فى بقعة كلها غابات . وركب الطائرة ، وتسلقت أنا والدكتور تولوك إلى ظهرها وتبعنا الجند واحداً إثر واحد ، وكانوا جميعاً بملابس الميدان الكاملة ، مدججين بالبنادق ومدافع تومى والمدى والقنابل اليدوية — نوتية من القرصان المغامرين بعضهم من جيش ونجت وبعضهم من طيارى كوكرين الفدائيين ، يستخفون فى سترات مرقطة ، وعلى رؤوسهم قبعات الغابات العريضة الحافة المرقشة ، وقد أطلق أكثرهم لحاهم .

ولم تك ثم ثرثرة تهدئ من حدة الأعصاب الثائرة ، ولا اختيال بالشجاعة — فما هى بغارة أعدت على عجل ، إنه جيش لجب يملأ السابحات الكبيرة من ورائنا ، وأمامنا مئات من الأميال نقطعها ليلا فوق غابات لم يسلكها إنسان قط ، وجبال وعرة ، فضلا عن قوة يابانية هائلة .

كانت السابحات مقطورة أزواجاً فى حبال طويلة . وكان سيز يقود السابحة التى على يسارنا . وكان على ظهرها البريجادير مياك كالفرت الملقب « بالمجنون » لشجاعته . ومعظم أركان حرب الفرقة . وطرنا فوق الأشجار نجهد فى الارتفاع ، وسرعان ما دارت بنا الطائرة دوراناً وئيداً فى حلقات كبيرة بغية الارتفاع ، حتى نجتاز الجبال التى أمامنا . وأسلمنا أنفسنا للطيران ساعات طويلة — ساعات بطيئة ونحن محشورون حشراً . ولا يعلم إلا الله ما نهايتها .

ولقد انتهت تلك الاستعدادات العظيمة التى أحاطت بنا أياماً ، وأصبحنا الآن وحدنا منفردين . وخضبت شمس أسام فى مغيبها جوف الطائرة بلون الورد والذهب . وخضبت بلونها الأحمر لحى الجند الكثة ، والتمع ضياؤها على حديد البنادق ومقابض المدى .

وسرعان ما أصبح كل ما نراه هو تلك البقعة الزرقاء من الدخان الذى تنفثه آلة الطائرة القاطرة ، وكل ما نشعر به هو تنفس الرجال وقد حشروا حشراً ، ورجفة السابحة إذا دخلت موجة من الهواء وخرجت منها تتلوى فى حبالها . وكان كل ما نسمع دوىّ مروق الطائرة فى الهواء ، فالسابحات كالطائرات لها ضجيج وضوضاء .

كنا وحدنا على قدر ما يتراءى لنا ، ولكننا كنا نعلم أن سائر الموجة من خلفنا ،

وكنا نطير على ارتفاع ٨٥٠٠ قدم فوق حدود بورما ، وقد خلفنا الجبال وراءنا . ولو كان لليابانيين طائرة ليلية مقاتلة يقودها قائد مدرب ، لهلكنا كالدجاج ، إذ كنا نتسلل لا تحمينا طائرات مقاتلة ، ونحن في طائرات غير مسلحة ، معولين على الجرأة والمباغتة وحدها .

كان القمر في كبد السماء ساطعاً على بورما . وعبرنا نهر إيراوادي ، ومررنا على بضعة أميال من مطار ياباني ، وقد ألصق كل من استطاع منا وجهه بزجاج النوافذ يرقب الرصاص القصاص أو الطائرات المطاردة ، ولكنهم تركونا نمر ، ولعلهم ظنوا أننا بعثة ليلية لقذف القنابل .

وجلجل صوت يقول : « الهدف بعد عشرين دقيقة » فهب كل منا واستوى في مجلسه الضيق ، وقرقعت الأسلحة لتحشى بالرصاص ، وسوى الرجال حقائب عتادهم ، وهي حقائب ثقيلة أعدت للغابات تكفينا إذا طال سيرنا على الأقدام .

وهبطت الطائرة القاطرة متثاقلة ، وصاح جون أليسون فجأة : « لقد أضاءوا الأنوار ! » وكانت السابحة الأولى قد هبطت وقتئذ إلى الأرض . وقطع أليسون حبل القاطرة على ارتفاع ألف قدم ، وجعلنا ننحدر وحدنا في الظلام الدامس إلى أرض فضاء في قلب بلاد الأعداء ، بسرعة تزيد على ١٠٠ ميل في الساعة ، ويكاد صوت انقضاضنا يخفت صوت ريح الليل . وجعل جون أليسون يجهد في ضبط الآلات ، والدكتور تولوك يذكر له أرقام الارتفاع وسرعة الطيران .

أشجار — ولقد تجاوزناها ! وهذه بطحاء ذات ظلال أمامنا ، فتستوي سابحتنا وتـ..ـا نحوها فتمسها ثم تتنزى كالكرة ، وجعلت زلاقات السابحة تشق التراب ثم تقف فجأة ، وتفتح الأبواب وتهرع فرقة الأمن وقد تفرق أفرادها على هيئة مروحة نحو الغابات التي قد تضطرم منها نيران الأعداء في أية لحظة .

« السابحات ! » .

وتحلق فوقنا طائرة قاطرة أخرى وقد قطعت الحبل الذي يربطها بالسابحات ، وإنك لتراها فوق تلك الأشجار البعيدة تهبط مسرعة تهوي نحونا ، وترى واحدة منها يحوم الموت عليها ويمد إليها يداً . وتجتاز الأشجار أو تكاد ، فتسمع فرقعة كقصف الرعد تتجاوب أصداؤها في سكون الليل ، وإذا السابحة أثر بعد عين .

ونهرع نحو مصدر الصوت بعد أن أرسلنا في طلب الطبيب ، ونقتحم في طريقنا أدغالا كثيفة ، ونهتف ولكن لا مجيب .

وما تسمع حساً سوى زمجرة محركات الطائرات فوق رؤوسنا ، وصوت التنهد العميق الذى نسمعه من سابحتين أخريين قد قطعت حبالهما ، ثم اثنتين أخريين ، حتى يخيل إليك أن الجو يزخر بالسابحات .

وتنقضّ سابحتان أخريان فوق الأشجار نحو هذا الحشد من السابحات ، نتراه إحداهما فى الوقت المناسب ، وترتدّ مرتفعة بأقصى سرعة وتهبط بسلام وراء جموع السابحات ، ولكن الأخرى تصطدم اصطداماً عنيفاً بسابحتين وتحيلهما حطاماً .
وتشق صرخات الألم سكون الليل ، ويهرع الرجال إلى المكان ويخمشون بأظافرهم فى الحطام ليصلوا إلى المصابين ، وإذا الطبيب الجراح فى جوف السابحة يؤدى بعض عمله على ضوء كشاف ، بعد أن أخفت المورفين صراخ المصابين .

وتسمع أحد المصابين فى السابحة يتكلم بلهجة أهل الشمال ويقول : « لا تنقلونى ــ هنا اصطدمت ــ وهنا أموت » ويلفظ هذا الجاويش الكريم آخر أنفاسه .

وكان جون أليسون يعيد إصلاح الأنوار ليتيح للموجة الثانية من السابحات مدرجاً تدرج عليه عند هبوطها يجنبها السابحات المحطمة . كان جون الذى لا يكلّ ينتقل من مكان إلى مكان فى المطار على ساقيه القصيرتين ــ فلم يعد قائد طائرة ، بل هو الآن مدير المطار .

وملأت الفضاء زمجرة قاطرتين أخريين ، وانقضت السابحات مثنى مثنى . كانت إحداها تحمل مسلفة فأخطأت المدرج فى الظلام وهوت بين شجرتين فتحطم جناحاها ودرجت تهدر إلى الأرض الفضاء ، أما المسلفة المخيفة فقد انحلت عنها قيودها فى جوف السابحة ، فاندفعت إلى الأمام وخلعت مقدم السابحة وقذفت بالطيار ومساعده فى الهواء ، وتنزّت تحتهما كالكرة ، ووقع الرجلان وراءها سالمين !

وتنفس الصباح فأخذت المسالف تدمدم ، وشمر مهندسو الميدان عن ساعد الجد لينشئوا مطاراً للطائرات : يمهدون الأرض ويردمونها ، ويسوّون المرتفعات ، ويقطعون الحشائش الطويلة ، ويجرون السابحات المعطلة إلى ما تحت الأشجار .

وجاء يوزباشى بريطانى يظلع على قدم مكسورة ، وقد تلمس طريقه إلينا فى الأدغال الكثيفة وخلفه جاويش يتعثر ، وكلاهما كالمغشى عليه ، وقالا إن ثمة رجلين على قيد الحياة . فلما عرف الدكتور تولوك المكان من الكابتن خرج ومديته فى يده ، وحاملو النقالات من خلفه ، وجعل يشق الأدغال فى طريقه إليهما . وقبيل الظهر عاد

الدكتور صفر اليدين وقد بلغ منه الجهد ، فقد كان اليوزباشى فى غشية حتى لم يستطع أن يحسن إرشاده إلى المكان .

وأعد البريجادير كالفرت قائمة الخسائر فكانت قليلة قلة مدهشة بالنسبة إلى ما ظفروا به . ففى ست ساعات أخرى سيتدفق آلاف من الجنود من الطائرات إلى هذا المطار الذى مات فى سبيله رجال الموجة الأولى .

وكنت تسمع همهمة المحركات الخفيفة فى السماء ، وجاء فوق رؤوس الأشجار سرب من الطائرات الصغيرة ليحمل المصابين ويعود بهم ، فرغبنا إلى أحد هؤلاء الطيارين أن يطوف مستطلعاً فوق الغابة ليحدد مكان ارتطام السابحة ، فجاءنا بتحديد الموقع . وبعد ساعة عثرنا عليهم ، ولم يبق منهم على قيد الحياة سوى اثنين فأخرجناهما . وكان جرى دن فى السابحة المحطمة مع الباقين ، وسيظل حيث هو معهم . لقد أخطأ جرى فإن موعد الموت لا يخلف سواء أذكرت الموت أم لم تذكره .

وظل مهندسو الميدان يكدحون طوال ذلك العصر الطويل القائظ ، يعدون المدرج للطائرات . إن هؤلاء المهندسين الذين يحملون المجارف والمدافع الرشاشة ، ويتولون أشق أعمال الحرب — تستعر فى نفوسهم نيران يؤججها شىء مقدس — شىء لا يدرك كنهه سوى مهندسى الميدان .

مالت الشمس للمغيب وراء الأشجار ، وكانت الظلال المديدة تتجمع على الأرض الفضاء — تلك الأرض الموغلة فى قلب مواقع الأعداء ، حتى لو أنك نظرت إليها على الخريطة لما صدقت أنك فيها ، ولكنك فيها ولا ريب ، فهى لم تعد قطعة من أرض الأعداء ، بل قد أصبحت لنا ، واستحالت مطاراً يضاء بالأنوار الهادية لناقلات الجند من الطائرات . واتخذ جون أليسون من إحدى السابحات المحطمة برجاً للمراقبة ، ووضع فيه جهاز الراديو لإرسال الإشارات .

وسمعنا زمجرة المحركات تملأ أجواز الفضاء ، هى زمجرة أولى ناقلات الجنود ، جاءت المطار فحوّمت تنتظر إشارة أليسون لتهبط ، فلما تلقتها نزلت وهى تدمدم لتخرج الجيش الذى فى جوفها . وقد هبطت الطائرات بأسرع مما تتصور ، حتى إنك لتخطىء فى عدها ، فإن عددها كان عظيماً لا يصدق ، وسيظل كذلك إذا ما اطلعت عليه فى السجلات الرسمية .

كان هذا جيش الجنرال ونجت ، حمله فيل كوكرين وعصبته على متن الريح فوق قنن الجبال فى ضياء القمر الساطع ، وأنزلوه فى قلب برما التى يحتلها اليابانيون . وكانت « كلمة السرّ هى : مندلاى » .

الإبرة فى يد الجرّاح

استر ج . بيرايس • مختصرة من مجلة " هايجيا "

بطئوء ان الرجل لا يحذق استعمال الخيط والإبرة ، ولكنك تجد فى غرف الجراحات فى المستشفيات رجالا يبلغون من الدقة فى رتق الجراح مبلغاً تذهل له المسنّات من ربات البيوت .

ان الحذق فى استعمال الإبرة والخيط له من الخطر فى نضال الجرّاح من أجل إنقاذ النفوس ، مثل ما لبراعته فى استعمال المبضع . ونجاح الجراح فى أية جراحة يقتضى منه أن يكون ملماً بضروب من العقد والغرز ، وأن يحسن الاحتيال على ضم أنواع مختلفة من الأنسجة البشرية بعضها إلى بعض . فبين جلد الإنسان وشحمه وعضله من الاختلاف مثل ما بين الحرير والصوف والجلد ، فالشحم مثلا كنسيج مهلهل من الصوف قلما تثبت فيه الغرز . ومن أجل ذلك ترى الجراح لا يفتأ يتوخى الدقة فى اختيار أصناف الإبر والخيوط التى تصلح للنسيج الذى يخيطه .

وربما راعك يوماً أن ترى الطبيب يخيط جرحاً تافهاً فى ساقك ، ولكن الطبيب لا يعدّ غرز إبرته فى الجلد إلا ضرباً من اللهو ، وإنما الشأن كل الشأن لتلك الغرز الباطنة فى الأحشاء ، حيث أوعية الدم والاعصاب ، وحيث يعسر عليه ان يضم حافتى الجرح دون أن يخالف المادة الأولى فى قانون الجراحة : « إياك ومطّ الأنسجة » .

لقد زرت منذ عهد قريب مدرجات الجراحة فى مستشفى كبير ، ورأيت فى إحدى الغرف الدكتور ب . يثقب ثقوباً فى طرفى عظم مصدوع ، ثم ينفذ فى الثقوب بإبرة كبيرة خيطاً من أوتار عضلية اتخذت من ذنب الكنغر ، ثم يضم طرفى العظم ويعقد الخيط عقداً مربعة محكمة ، وتظل هذه الغرز ممسكة العظم المصدوع بعضها إلى بعض حتى ترأب ذلك الصدع خلايا جديدة من العظم .

وفى الغرفة المجاورة كان جراح العيون قد فرغ لساعة من إزالة عدسة عين كدرة (كتاركت) ببضع حركات رشيقة من مبضع دقيق . وقد يظن أن هذه هى الجراحة كلها ، ولكن الواقع أنها لم تكد تبدأ ، فإن أى انحراف عن الدقة الآن قد يورث العمى الدائم . يأخذ الجرّاح بكلاّبة فى يده إبرة صغيرة هلالية الشكل ، وهى إبرة لا خرم فيها ، ولكنها موصولة منذ صنعت بخيط من الحرير أدق من كل خيط تستعمله خياطة الملابس (يدخل الخيط فى رأس الإبرة حين تصنع ، لكى لا ينفذ فى الأنسجة

البشرية خيط مزدوج كخيط الإبرة المألوفة). يلبس الجراح قفازاً ويمسك الإبرة بالكلاب ويترفق وهو يولجها فى المقلة (بياض العين) ، فإذا نفذ سنها أخذها بملقط صغير وسحبها ، ثم يعقد العقدة ويقص أطراف الخيط ، ويبدأ غرزة جديدة بينها وبين الأولى أقل من نصف بوصة .

وفى غرفة أخرى رأيت الدكتور ج . يخيط بقية زائدة دودية مستأصلة ، بخيط من أمعاء الضأن فى قوة خيط الكتان الغليظ ، فشرّجها تشريجاً رخيًّا حتى يزرّ عليها إذا شد . ثم أعقبها آية من آيات الدقة فى فن استعمال الإبرة والخيط ، فقد ضم جدار البطن بعضه إلى بعض . وهذا الجدار مكون من طبقات مختلفة التركيب ، فإذا شئنا أن نرمّ جرحاً فيه ، فيجب أن تخاط كل طبقة منها على حدة دون شد عنيف ، وذلك يقتضى حذراً شديداً فى ضم الحافات بعضها إلى بعض ، مع مراعاة أثر الضغط المتغير على الغرز أثناء حركات التنفس .

كل هذا يجب أن لا يغيب عن بال الجراح وهو يخيط فى مثل سرعة البرق ، وتكتنفه أشد الأحوال إرهاقاً ، حتى يضطر أحياناً أن يعقد العقدة بيسراه ويدفع الإبرة بيمناه ، وفى كلتا يديه قفاز من المطاط . وكثيراً ما يكون عليه أن يخيط جراحاً بعيدة الغور تحجبها عنه يده والدم ، أو يضطر إلى ضم أغشية الأعصاب بعضها إلى بعض وهى تفلت من بين أصابعه ، أو أن يخيط فى مواضع لا يمكن أن يراها إلا بالمرآة — وكثيراً ما يقتضى الأمر أن تستعمل عدسة مكبرة .

كيف يتعلم الجراح أن يذلل جميع هذه الصعاب ؟ إنه يتعلم أكثر ذلك بالصبر على المران الطويل . وكثيراً ما يقضى الأطباء المقيمون فى المستشفيات أوقات فراغهم وهم يخيطون حواشى المناديل ، ويعالجون فيها العقد المستعصية بيد واحدة .

ويستعمل الجراح ضروباً من الغرز بعضها معروف لكل من مارس الخياطة ، كغرزة القفاز ، والغرزة المطردة ، وغرزة الحشايا القطنية ، وغرزة الإسكاف ، والغرز الخافية تحت الجلد فى جراحة الوجه ، والغرز التى تعلو طرفا من الجلد ثم تمر تحت الطرف الآخر ، والغرز المتباعدة كغرز اللحاف .

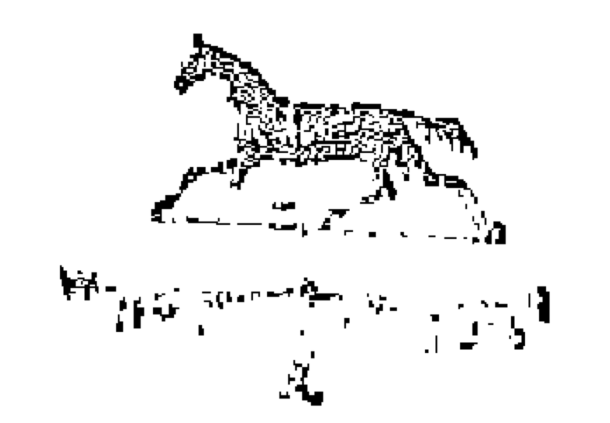
وإذا لم يكن ثمة احتمال أن يلتهب الجرح ، وكان فى وسع الجراح أن يرتق الأنسجة بسهولة ، استعمل فى الغرز خيطاً واحداً متصلا ، ولكن الأغلب أن يعقد كل غرزة على حدة ، ثم يقص أطرافها ، فإذا تلوث الجرح بعدئذ وانفكت غرزة منها ، ظلت الغرز الباقية متماسكة ، ولم تتداع كلها كما يحدث

إذا ما كانت الغرز متصلة فى خيط واحد .

ويستعمل الجراحون أنواعاً شتى من الخيوط ، ولكل منها استعماله ، وهى تتدرج من الكتان إلى أسلاك الفضة الرفيعة إلى خيوط الصلب الذى لا يصدأ إلى الألومنيوم . والحرير شائع فى جراحة العين والأعصاب وأوتار العضل والشرايين ، ولكن الجسم لا يمتصه ، فيمهد السبيل إلى تلوث الجروح بالميكروبات .

أما الخيوط المصنوعة من أمعاء الضأن فهى أكثر الخيوط شيوعا فى الجراحة ، وهى أنفع ما تكون فى الغرز الباطنة ، إذ يمتصها الجسم بعد أن تكون قد أدت ماعليها . وينبغى فى فقر الدم الشديد والسرطان حيث تلتئم الجراح التئاماً بطيئاً ، أن لا يكون ذوبان هذه الخيوط سريعاً ، فمن أجل ذلك يتخذون أنواعا يقدرون تقديراً مقارباً مدّة بقائها قبل ذوبانها — (١٠ أيام أو ٢٠ يوما أو ٤٠ يوما) .

ومهما تبلغ أداة الجراحة فى جودتها ، فالنجاح فى آخر الأمر رهين ببراعة الجراح واحتياله فى استعمال إبرته وخيطه .



أجوبة : « كل كلمة تتعلمها تزيدك قدرة على التعبير »

١ — ج ٦ — ب ١١ — ب مراتب
٢ — د ٧ — ج ١٢ — ج ١٦ صواب : نـــادر
٣ — د ٨ — ج ١٣ — ب ١٣ — ١٥ صواب : ممتـــاز
٤ — ا ٩ — ب ١٤ — ج ٩ — ١٢ صواب : جيـــد
٥ — ج ١٠ — د ١٥ — د ٧ — ٨ صواب : متوسـط
١٦ — ج

****

الأجوبة الصحيحة « امتحن نظرك »

١ — الدائرة (ج)
٢ — جميعها متساوية
٣ — النقطة (ا)
٤ — الخطان ٢ و ٥

باب الكتب

كيف تكون رجلاً حقاً

مختصر كتاب بقلم

هاري امرسون فوزدك

يعرف العالم الدولى هاري أمرسون فوزدك أستاذاً ومؤلفاً ، وقد منح عدة درجات فخرية من الجامعات فى أمريكا وأوربا ، وترجمت كتبه إلى لغات أجنبية كثيرة .

وفى العشرين سنة الأخيرة ازداد باطراد عدد الذين يقصدون الدكتور فوزدك لاستشارته فى شئونهم الخاصة ، فاحتاج لكى يعالج المشاكل غير المألوفة علاجاً ناجعاً ، أن يدرس وسائل العلماء النفسانيين ، وأن يستعين بهم فى أحوال كثيرة . وهكذا استطاع أن يبذل مشورته فى الحالات العقلية والنفسية جميعاً .

ويقول فى مقدمة هذا الكتاب : « ليس أبعث على ارتياحى الآن من ذكرى بعض النتائج » .

كيف تكون رجلا حقا

المعول عايـــك

المهمة الأولى لكل آدمى هى أن يكون شخصاً حقيقيا . ونحن نملك بالفطرة العوامل التى يمكن أن تتكون منها الشخصية ، وتنظيم هـذه العوامل بحيث تصبح تنتج حياة فعالة ، هو المهمة الأولى لكل إنسان .

ويمكن أن يقال بغير مبالغة إن المخفقين التعساء الذين لا يستطيعون أن يجعلوا أنفسهم وفق الحياة ، هم أعظم مأساة مفردة فى العالم . ففى القصور والأكواخ ، وبين الأميين وفى كايات الجامعات ، وفى كل حالة من الحالات ، يوجد أناس يعالجون أن يبنوا شخصياتهم ، فيخلطون ويتعون فى ورطة ، وبذلك يرتمون فى جحيم أرضى .

إن هناك ثلاثة عناصر تبنى منها الشخصية : الوراثة ، والبيئة ، والاستجابة الشخصية . ولسنا مسئولين عن وراثتنا ، وجانب كبير من بيئتنا لا سيطرة لنا عليـه ، ولكن القدرة على مواجهة الحيـاة باستجابة فردية خاصة — هذا ما نعد مسئولين عنه . على أنه يحدث دائماً تقريباً ، كلما اقتضى حمل المسئولية الإلحاء على الذات ، أن يخف إلى النجدة بديل يحل محلنا .

وهذه الرغبة فى التهرب من اللوم تتبدى — فى أحط مستوى — فى الإحالة على الحظ ، فترى الناس يقولون إن المجدودين « يسعفهم الحظ » ، وإن الخيبة الشخصية ليست راجعة إلى الخطأ بقدر ما هى راجعة إلى عثرات الحظ . فأما أن الحظ عامل حقيقى فى التجربة الإنسانيـة فأمر بديهى ، والذى لا يتوقع سوء الحظ على اعتبار أنه عنصر من عناصر الحياة ، يحاول أن يعيش فى عالم خيالى . غـير أنه لم يظهر على ظاهر الأرض أروع من الذين كانوا سيئى الحظ وهم مع ذلك رجال حقيقيون . ذلك أن العامل الذى له قيمة فى تجاربهم ليس هو ما يحدث لهم ، بل الطريقة التى يتلقون بها ما يحدث .

أصاب جلين كنجهام فى حـداثته من جراء نار شبت فى المدرسة ، ما تركه مقعداً ، ومع ذلك صار من أعظم الرياضيين فى زماننا . وقد قال الأطباء إنه لن يستطيع السير على قدميه مرة أخرى إلا بمعجزة — فقد خانه الحظ . وقد بدأ يمشى بالاعتماد على محراث فى الحقل ، ثم راح يتجشم فى غير ملل تجارب شتى ليرى ماذا يستطيع أن يصنع برجليه ، حتى ضرب كل رقم قياسى فى سباق الجرى مسافة ميل .

وقد كتبت رواية « دون كيشوت » وغيرها من روائع الكتب ، في السجن .

إن سوء الحظ اعتذار واه ، ويكفي دليلا على ضعفه أن حسن الحظ بمجرده لم يكن قط كافياً لتكوين شخصية حقيقية ، لأن الحياة ليست من البساطة بحيث يغني فيها حسن الحظ .

ويحاول كثيرون أن يهربوا من الشعور بالمسئولية بأن يستسلموا لحالة وجدانية قوامها القدرية . ومن الغريب أن هذه الحالة من أبعث الحالات التي يستطيع أن يعيش في ظلها الإنسان ، على الراحة ، لأنه إذا كان الإنسان آلة ، فهو ليس بمسئول عن شيء .

وأما في أعلى مستوى فإن رغبة الإنسان في التهرب من المسئولية تتبدى في رد كل صفاته الشخصية إلى الوراثة والبيئة . وهي نظرية شائعة في أيامنا هذه ، ذلك أنه متى كان مبلغ الذكاء الموروث لا ضمان له ، وأحوال البيئة التي تقعد بنا لا حيلة فيها ، فإن الاعتذار بذلك يهيئ الدفاع اللازم عن كل نوع من النقص ، وبذلك لا تحتاج أي حياة مخفقة أن تبحث بعيداً عن عذر لها . ولكن تأمل الفرد الذي رزق وراثة ممتازة وظروفاً مواتية ، أتراه لا بد أن يكون شخصية تستحق الإعجاب ؟ أهذا قدر محتوم شاء أم لم يشأ ؟ من المحقق أن الأمر لا يبدو كذلك ، فإن ما يؤدي إليه سوء استخدام الوراثة الحسنة والبيئة الصالحة من الكوارث ، ظاهرة مألوفة إلى حد لا يسمح بالشك .

إن معالجة المصاعب ، ومحاولة الانتفاع على خير وجه ميسور بما يكون من سوء الحال ، من أكبر مهمات الحياة . وكثيراً ما يكون السبب في تعذر الانتصار راجعاً إلى الإنسان نفسه ، غير أنه من الصعب أن يعترف الإنسان الذي يعنيه الأمر بهذه الحقيقة . ويمر بكل منا وقت نشبه فيه ذلك الفلاح الذي كان يسوق خيل مركبته بجهد في طريق كثير التراب ، فسأل رجلا على الطريق : « كم بقي من هذا التل ؟ » فكان الجواب : « تل ؟ أي تل ؟ إن عجلتيك الخلفيتين منزوعتان ! »

والدنيا مكان خشن ، وكثيراً ما يكون ناسها ظالمين ، أنانيين ، قساة . غير أننا ، بعد كل ما يقال ، نعرف الفرق بين رجل لا يزال يبتغي من يحل محله لينجو من التبعة ، ورجل آخر ، في مثل هذا الموقف الأليم تماما ، لا ينفك يدير عينه في نفسه ومواقفه وموارده — فلا اعتذار ولا إحالة على الحظ . وهو في كل ظرف يرى أن نفسه هي مسألته الكبرى ، ثقة منه بأنه إذا أحسن تناولها

فإن ذلك يحدث بعض الأثر . وفى وسع كل إنسان أن يتبين صحة الإدراك واستقامة الذهن فى ذلك الشاب الذى كتب إلى أبيه بعد إخفاق فرقته فى مباراة الكرة: « لقد وجد خصومنا ثغرة كبيرة فى حظنا ، وكنت أنا هذه الثغرة » .

ونحن حين ننجح ، وندرك غاية لنا منشودة بقوة العزم والجهد ، نكون واثقين أن لنا يداً وفضلا فى النجاح . فليس فى وسعنا إذن أن نطرح المسئولية عن كواهلنا حين نخفق . فما يسعنا أن نأكل كعكتنا ونحتفظ بها أيضاً .

فبداية الحياة التى لها قيمة هى أن نواجه أنفسنا — نحن المخلوقات الفذة التى وهب كل منها ما تبنى منه الشخصية ، ومع ذلك يصارع كثيرون من الناس كل عامل يمكن تصوره فى الحياة الإنسانية قبل أن يواجهوا المسألة الأولى — نفوسهم . وقد رأيت رسماً فكاهياً حديثاً يصور أشنع مآسينا الإنسانية ، وفى الصورة طبيب يواجه مريضاً ويقول له بجد وقلق : « هذه حالة خطيرة جداً . فإنك مرهف الإحساس بنفسك »

تعهد نفوسنا

العبارة الشائعة « بناء الشخصية » لا تخلو من تضليل ، فإن الشخصية أشبه بالنهر منها بالبناء القائم — فهى تتدفق باستمرار ، ومعنى أن تكون شخصاً ، هو أن تكون منهمكا فى حركة دائمة للتكون .

ولهذا فإن مقاييس الحياة الشخصية الناجحة لا تكون متطابقة إذا أخذنا شخصين فى حالتين مختلفتين أو شخصاً واحداً فى أسنان مختلفة ، غير أن الاتفاق عام على مقياس واحد ، ذلك أن الشخص الحقيقى يبلغ درجة سامية من الوحدة النفسية الداخلية ، إذ لا بد من تنسيق عناصر التجربة الشخصية التى كثيراً ما تتضارب ، مثل النزعات والأهواء والعواطف .

إن كلا منا يعالج باستمرار تلك المسألة التى تنطوى عليها الحياة المفككة ، فالرجل المضطرب الذى يهيجه ويحيره أنه نسى أين وضع نظارتيه ، والمعجل الذى يحاول أن يضع شيئاً بأسرع مما ينبغى فيخرج عن طوره ، والخائف الذى أصابه الفزع ، والغضوب الذى يلقى نفسه قد فقد السيطرة على أعصابه — هذه الأمثلة المأخوذة من الحياة العادية تذكرنا بمبلغ الوهن وقلة التماسك فى كياننا الشخصى .

ما من فضيلة يعدها الناس جميعاً محكاً لحسن الأخلاق ، مثل أن يكون الإنسان أهلا للثقة به ، ومن البديهى أن هذه الفضيلة لا سبيل إليها إلا إذا اكتسبت الشخصية

كلها وحدة متينة يمكن الاعتماد عليها .

وكثيرون منا يتصرفون فى أحوال عديدة تصرفاً يخرج بهم « عن حد الأخلاق الحسنة » ، وقد تكون سيرتنا العامة فى حياتنا منطوية على الاستقامة والصدق وأمثال هذه الصفات — ولكن لا فى كل حال . وما أشيع طراز الإنسان الذى لا يكون أدبه مضموناً ! ونحن جميعاً نعرفه — يكون اليوم مهذباً مؤدباً ، وغداً شكساً غير مؤدب ، ومجاملا وحسن السلوك فى عمله ، ومنقبضاً متجهماً فى البيت ، وظريفاً مع من يسمون « الأنداد » وخشناً متعجرفاً مع الخدم .

أما الرجل الذى هو على خلق فإن استجابته للحياة تكون من حيث النوع وطيدة منتظمة ، وفى وسع المرء أن يعتمد عليه ، فإن عواطفه ورغباته وآراءه المختلفة ليست مجرد أهواء طيارة غير متناسقة ، إذ كان قد أصبح إنساناً كامل الكيان له طراز موحد من الآراء والإحساسات يكسب كل ما يفعل انسجاماً وتطابقاً .

والحياة « الوافية التكوين » ليس معناها الحياة الوادعة التى خلصت من كل صراع ، فكثير من النفوس العظيمة عاشت فى عذاب باطنى ، وقد لقيت فلورنس نايتنجيل عناء طويلا حتى اهتدت إلى نفسها وكتبت فى مذكراتها : « فى هذه السنة الحادية والثلاثين من عمرى لا أرى شيئاً مرغوباً فيه إلا الموت » .

وفى كل أصحاب الشخصيات القوية — إذا تسمع الإنسان وراء ستار — فإنه يسمع أصداء للصراخ والعراك ، غير أن أمثال هؤلاء أبعد ما يكونون عن الحيرة فى داخل نفوسهم ، لأنهم نظموا حياتهم حول بعض القيم العليا وناطوها بها ، وأفادوا تركيزاً قوياً لغاياتهم وبواعثهم .

فالوسيلة إلى بلوغ الشخصية الحقيقية باطنية وروحية ، وما من تغيير فى البيئة يستطيع وحده أن يدفع مقومات الشخصية دفعاً يكسبها هذه الوحدة ، ويجعل منها كلا فى الباطن ، حتى إذا رزق المرء بيئة صالحة ، كأن تكون له أسرة عظيمة الحب والولاء له ، فإن هذا لا يغنيه عن مواجهة نفسه . ولهذا قال نوفاليس : « إنما يكون المرء صالحاً لعشرة الزوجية إذا كانت عشرته لنفسه سعيدة موفقة » . أما الرخاء المادى فإنه كثيراً ما يؤدى إلى الانحلال لا إلى التوحيد فى الحياة . والواقع أن الانهيار العصبى من الأمراض الخاصة بأهل الرخاء ، والثروة توسع نطاق الاختيار فتصبح أبعث على التفكك منها على الإرضاء .

وصف روائى حديث أحد أشخاصه فقال: « كان أشبه بحرب أهلية منه بآدمى ». وكل إنسان يواجه فى بعض الأحيان موقفاً تكون فيه نفسه الحقيقية فى جانب ، بما أوتيت من كفايات وما حولها من ظروف ، وصورته المثالية المتخيلة لنفسه ولأعماله فى جانب آخر ، وبين الاثنتين هوة تتعاظم مُجتازَها . وهنا تبدأ الحرب الأهلية حقاً .

إن من آيات مجد الإنسان أن تكون له مثل عليا وأطماع ، وليس أمجد من إنماء الشخصية ، على أن هذه الملكة تعمل أحياناً بطريقة شاذة فتمزق الحياة إرباً إرباً .

ومن أجل هـذا لا يتسنى أن تكون الحياة وحدة متناسقة إلا بتقبل الإنسان لذاته بادىء ذى بدء ، فكأن الإنسان يقول لنفسه : أنا فلان أتقبل نفسى بكل ما اشتملت عليه من المواهب والنقائص الموروثة ، وبكل عناصر بيئتى التى لا أستطيع أن أسيطر عليها ، ولما كنت قد تقبلت نفسى على اعتبار أنها الخير الذى أنا فى نطاقه محصور ، فسأنظر الآن ماذا أستطيع أن أصنع بفلان هذا الذى هو أنا . وقد قال أمرسون : « يجىء وقت فى خلال تربية كل إنسان ينتهى فيه إلى الاقتناع بأن الحسد جهل ، وأن التقليد انتحار ، وأن عليه أن يتقبل نفسه بخيرها وشرها على اعتبار أنها نصيبه » .

يقوم أليك تمبلتون بتسلية الملايين بالراديو بموسيقاه وببدوات أطواره الغريبة ، وهو أعمى . والوضع الطبيعى الأول لمثل هذه العاهــة المقعدة هو أن يغص الخيال بصور مالا يُنال ، فمن مقابلة هذه الصور بالحقائق الواقعــة ينشأ الامتعاض ، والعطف على النفس ، والجمود . غير أنه ليس أنبل فى قصة الإنسانية من أولئك الرجال والنساء الذين تقعد بهم الآفات ، فيتقبلون أنفسهم على العلات ويحققون ما يسميه الدكتور ألفريد أدلر « قدرة الإنسان على تحويل النقص إلى زيادة » .

وكثيراً ما ينشأ التوتر بين نفوسنا كما هى ونفوســنا المنشودة ، من مثل أخلاقية عليا ، والأغلب أن يساء علاجه فى هذه الحالة . فالإيثار والولاء مثلا من أكبر الفضائل ، ولكن بنتاً واقعة فى إسار أمّ أثِرَةٍ قد تتصور أن واجبها يقضى عليها أن تجرى على سنة الولاء والإيثار ، فتنكب حياتها وتقوض كيان شخصيتها من غير أن تسدى إلى أمها أى خير حقيقى .

إن المثل الأخلاقيــة العليا تكون عند تطبيقها نسبية إلى الفرد . فقد يكون لرجل مزاج هادىء متزن لا يخـرجه عن طوره

شيء ، وقد يحتاج آخر أن يقول كما قال الدكتور ستيفن تيننج لمن أنبه على حدته : « إني أضبط من نفسي كل ربع ساعة ما لا تستطيع أن تضبط أنت في عمرك كله » .

وإذا لم يحصل تقبل الإنسان لنفسه ، واشتد التوتر بين النفس الحقيقية والنفس التي يحلم بها ، فإن النتيجة تكون تولد الشعور المنحوس الساحق أحياناً ، بوجود نقص . وقد أظهرت دراسة ٢٧٥ رجل وامرأة من خريجي الكليات،أن أكثر من ٩٠٪ يعانون شعوراً بالنقص بأكل قلوبهم . وقد ذكروا أسباباً شتى — عجز البدن ، والشكل القبيح ، وفقدان الظرف ، والخيبة في الحب ، وضعف القوة العقلية ، والإخفاق الأدبي ، والخطيئة .

ولا شك أن الإحساس بالنقص لا يمكن أبداً أن يؤخذ على ظاهره فيعد دليلا على نقص حقيقي . إن اللاعب في مباراة لبطولة التنس قد يعاني كرباً من الشعور بعدم الكفاية . على أن أهمية المسألة تبدو جلية من الوسائل السيئة التي تعالج بها في العادة .

وبعضهم يعالجونها بطريقة إلقاء ستار من الدخان ، ذلك أنهم يشعرون شعوراً مؤلماً بالنقص ولا يريدون أن يعرف الغير هذا . فالحيي ينقلب معتدياً ، والمرتبك فياضا متدفقاً ، والضعيف القلب فخوراً فياشاً . وثم رجل كان رقيقاً ظريفاً مع أسرته حسن الرعاية والتعهد لها ، فأصيب بإخفاق مذل فغدا لتوّه فظاً متجبراً . ومن النقائض أنه لما كان يشعر بأنه متفوق كان سلوكه ينطوي على الوداعة ، كأنما كان يشعر بضعة الشأن ، فلما شعر بالضعة بدأ يتغطرس كأنما كان متفوقاً .

وثم آخرون مثلهم كمثل الثعلب في خرافات إيسوب ، إذ زعم أن كل عنب لا يصل إليه ، حامض . فالشاب الخرع يغض من قيمة الألعاب الرياضية ، والمستهتر السادر يسخر ممن يملكون أزمة نفوسهم ويزعم أنهم يتكلفون الاحتشام ويتصنعونه ، والخائب في المدرسة يحتقر أهل الذكاء والمواهب ويسميهم متحذلقين . ومن المحقق أن مقداراً كبيراً من النزوع إلى الاستهزاء راجع إلى هذا . ولاحظ ما يستهزىء به الناس ، فإنك تستطيع في كثير من الحالات أن تهتدي إلى ما ينقصهم ، وإلى ما يتمنون في أعماق نفوسهم أنه كان لهم .

وهناك آخرون يجدون أعذاراً قائمة على الاعتراف المبالغ فيه بنقصهم ، ومن هذا القبيل طالب كان يغالب الخيبة ، فقال :

« لقد فكرت فى الأمر بعناية، وانتهيت إلى هـذه النتيجة وهى أنى ضعيف العقل » . ولم يقل هـذا بروح اليأس ، بل قاله وكأنه يطرح عن صدره عبئاً . وهو اعتذار وافٍ يخرجه من كل عهدة وتبعة ، غير أنه من وجهة الحقيقـة كان سخيفاً ، وكان من الوجهة العاطفية ينطوى على شذوذ .

ومن العناصر الإنسانية التى تجعل تقبل النفس عمـلا أساسيا لكى يصبح الإنسان شخصاً حقيقيا — مبدأ الجزاء، فإن العيب يمكن أن يكون حافزاً مشجعاً كما حدث لديموستين، فقد أراد أن يكون خطيباً فكان عليه أن يقر لنفسه بأنه تأتاء وفى لسانه ثقل، غير أنه لم يخف عيبـه ولم يحاول ستره بالجعجعة والنفخة ، ولا أن يغض من قدر البلاغة ويزعمها عبثا لا قيمة له ، ولا استسلم لثقل لسانه وجعله عذراً للعجز والقعود عن العمل ، بل اتخذ موقفاً إيجابيا حيال عيبه . فكان يتكلم فى وجه الموج وضجتـه وفى فمه حصى، حتى استطاع أن يتكلم بوضـوح واطمئنان . وإنا لنقلل من قيمة هذا الجهد إذا قلنا إن ديموستين صار خطيباً على الرغم من ثقل لسانه ، وأخلق بالعالم النفسانى أن يزيد على ذلك أنه صار خطيباً لا يبارى فى تأثيره ، لأنه كان ثقيل اللسان .

ومن الممكن دائماً تقريباً أن يفوز المرء بنوع من الجزاء ، فالفتـاة الساذجة قد تسـتطيع أن تفوز بحظ أكبر من الذكاء والظرف والفكاهة لأنها ساذجة ، والشاب الحيى السريع الارتباك الذى ينزع به مزاجه إلى العزلة، قد يكون أنفع ما يكون فى البحث العلمى لهذا السبب .

وينطوى مثل هذا العلاج الناجح للنقص المعترف به على القدرة على الانتقال من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم حيال عيوبنا . ففلان مثلا يتقبل نفسه ويقر بحقيقة عيوبها ومصاعبها ، ثم يذهب ينشد ما يستطيع أن يعده للتغلب على ذلك .

أظهر الكابتن جون كالنـدر جبناً فى معركة بنكر هل . فاضطر جورج وشنطن أن يأمر بمحاكمته عسكريا . وقد عاد كالندر فدخل فى الجيش جنديا عاديا . وأبدى فى معركة لونج أيلند بسالة ممتازة ، حتى إن جورج وشنطن ألغى الحكم الذى كان قد صدر عليه ورد إليه رتبته (كابتن) . فوراء مثل هذه التجربة عمل أساسى من مواجهة النفس على حقيقتها — بعينين مفتوحتين ، وبغير مواربة أو اعتـذار — وتحول فى الوقت ذاته من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم، يجعلان من جون كالندر مثالا ملهماً .

ولكي يسع الإنسان مواجهة نفسه على حقيقتها يحسن به أن يبدأ بأن يهوّن إلى الحد الأدنى من الأشياء التي تكربه ، فإن كثيرين من الناس تحقرهم في نظرهم مواقف لا محل للتحقير فيها على الإطلاق . مثال ذلك أن نقص القدرة المنشودة ، أو الحالة الاقتصادية المحدودة — مثل هذه الحالات تعد حوائل وقيوداً ، ولكنها إذا صارت سبباً للمهانة فذلك لأننا نجعلها كذلك في ذات نفوسنا . وهناك رجل ابتلي بمركب نقص لازمه طول حياته وهدم مستقبله ، لأن شعر رأسه كان أجعد مفلفلا ، وكان لونه أحمر غير مألوف . وقد تقبل نابليون نفسه — وكان طوله خمس أقدام وبوصتين ، وترتيبه الثالث والأربعين في المدرسة الحربية — ولم يرض قط في نفسه عن هذا ، فإذا اعتبرنا أطماعه الإمبراطورية ، فإن قامته القصيرة كانت عائقاً ، ولو أنه كان قد اتخذ من قصره ومن ضعفه في المدرسة عاملا مذلاً له ، لكان الأرجح أن لا يبلغ المبلغ الذي جعل منه « نابليون » .

إن الحياة مهمة تشبه ما نتعهد به الأرض ، فنحن نعطى رقعة من الأرض واسعة أو ضيقة ، ومستوية أو وعرة ، وكل خطوطها العامة وسطحها لا اختيار لنا فيه . ولكن رقعة أو موضع عيوبه ومزاياه ، والنتائج التي كانت تعد أبعد ما تكون في الاحتمال تكون ثمرة التصرف — فبعض الفرص الحسنة تحجب ، وبعض المواقف التي لا أمل فيها على الإطلاق تصبح لافتة للنظر . والعناصر الأساسية في أي موقع شخصي لا بد أن تظهر في النهاية مهما كان ما نصنع ، كما أن الرقعة من الأرض تبدى سعتها وأشكالها الكبرى وسطحها مهما يكن ما يفعله المهندس ، ولكن هذه العناصر الأساسية ينبغي مواجهتها لا كمهانات ، بل قيود ، ويجب فوق ذلك أن تعد فرصاً بل حوافز .

نشأت سيدة في الفاقة والعوز هي الآن من أقدر النساء في أمريكا ، وزوجة مدير جامعة ، وهي تتذكر مرة إذ كانت فتاة صغيرة فشكت إلى أمها متاعبها فقالت لها أمها : « اسمعي . لقد أعطيتك الحياة ، ويكاد هذا يكون كل ما أستطيع أن أمنحك إياه . فكفي عن الشكوى واصنعي شيئاً تعالجين به ما تشكين منه » .

إن أكبر ما أودعناه هو قدرتنا على أن نكون أشخاصاً حقيقيين ، والإخفاق في ذلك إخفاق في كل شيء ، كما أن النجاح فيه هو النجاح الأسمى .

إعفاء النفس من النفس

هناك مدرسة «للظرف» تعد طلابها أن تهبهم «الشخصية». وفي الدرس الأول من دروسها تكلف الطالب أن يقف أمام مرآة كبيرة وينطق باسمه مرات بصوت «رقيق لين وخفيض»، وذلك لتنطبع نفسه في نفسه، غير أن اشتغال الإنسان بنفسه من أقوى عوامل التفويض في الحياة. ولا سبيل إلى شخصية كاملة التناسق إلا إذا وسع الإنسان أن يجد خارج نفسه مشاغل لها قيمة ينصرف إليها فينسى نفسه. وإذا أراد أحدنا أن يكون وحدة كاملة فإن عليه أن يعفي نفسه من نفسه.

إن تركز اهتمام المرء بنفسه طبيعي في الصدر الأول من الطفولة، غير أن كثيرين لا يشبون عن هذه الحالة أبداً، فيظلون وهم في الخمسين من العمر يعيشون على طراز صبياني. ويصف رجال الاخلاق هؤلاء الناس بأنهم أنانيون، ولكن للمسألة باطناً نفسانياً — ذلك أن هؤلاء نماذج للنمو الذي وقف. وتقول روائية في وصف إحدى السيدات في رواية لها: «إديث بلد تحده من الشمال إديث، ومن الجنوب إديث، ومن الشرق والغرب إديث» فإديث هذه تعاني آفة نفسانية، وانحصار خواطرها في الذات هادم لكيان الشخصية الحتمة. والرجل الملفوف في نفسه لا يكون في خير الحالات إلا حزمة صغيرة.

إن الإنسان لا ينجح في أن يكون رجلا حقاً بالغوص وراء نفسه بل بالالتفاف والدوران حولها، فهو يهرب من نفسه إلى مشغلة أعظم يتخلى لها ويقصر همه عليها، وبذلك ينسى نفسه ويتسرب في حياة مطردة موحدة لها قيمة ودلالة.

وكل اقتراح عملي للخلاص من النفس يجب أن يبدأ قريباً من الجسم، فإن كثيرين من التعساء المحصورين في نفوسهم لا يحتاجون إلى طبيب نفساني لتحليل حالتهم، ولا إلى قسيس ليهديهم ويبصرهم من الناحية الأدبية بقدر ما يحتاجون إلى العقل والحكمة في علاج الأساس الجسماني للحياة الصحيحة.

ويحتاج الرجل الحديث إلى التذكير الدائم بأنه لا يستطيع أن يطرح ميراثه الحيوي (البيولوجي)، فإن أجسامنا قد ركبت بحيث تستخدم في أعمال بدنية شاقة. وما من رجل اهتدى إلى الرياضة الصالحة التي يستطيع أن ينطلق فيها ويستعمل عضلاته الكبرى، إلا وهو يعرف مبلغ التطور الذي يحدثه هذا المجهود البدني في خواطره وفي نظره إلى الأمور.

ومن أطول النعم عمراً أن ينسى الإنسان نفسه فى عمله ، وهـذا هو السبب فى أن الذين يصابون بالأمراض العصبية من جراء الفراغ فى وقتهم أكثر ممن يصابون بها من إرهاق العمل ، وأن البطالة من شر المآسى وأن آثارها النفسانيـة سيئة كآثارها الاقتصادية .

وتثقل مسألة الاهتـداء إلى مشاغل خارجيـة ، على بعض الأمزجة أكثر مما تثقل على البعض الآخر ، فالرجل الذى يتجه اتجاهاً خارجياً بطبعه يضرب فى الشئون العملية الموضوعية بسهولة ، ويكون بحكم استعداده العاطفى نزّاعا إلى مجاوزة نطاق الذات وصبوراً جلداً على النقد . أما الرجل المنطوى على نفسه فشديد الإحساس بالنقد ، ومشغوف بإدارة عينه فى نفسه وتعقب عيوبها ، وأشد تنبهاً على العموم لعالمه الباطنى منه للعالم الخارجى .

وكل إنسان يستطيع أن يعرف هذين الضربين من الناس ، وكل رجل يسعه أن يتبين بأيهما هو أشبه وإلى أيهما هو أقرب ، وإن لم يكونا على هذا مزاجين منفصلين تمام الانفصال غـير متداخلين ، وليست المزية كلها لأحدهما دون الآخر . والرجل المتزن مركب منهما جميعاً .

كان لأبراهام لنكولن صراع أليم مع نفسه ، ولم يكن فى شبابه شخصية متناسقة موحدة ، بل كان أشبه بكهف إيلوس ، كله عواصف ، وكان يعانى مبادىء الانهيار العصبى . وقد قال فى سنة ١٨٤١ : « إنى الآن أتعس مخلوق على قيد الحياة . ولو أن ما أشعر به وزع بالعدل على الأسرة الإنسانية قاطبة لما كان هناك وجه واحد متهلل على ظهر الأرض » . وكان من السهل أن يصبح نموذجا متطرفاً للرجل الحسير المنطوى على نفسـه ، ولكنه لم يكن كذلك ، فقد حل مسألته الباطنة المخامرة ، بالالتفاف حولها . ولم يكن التطور المدهش الذى طرأ عليه فى الأعوام الأخيرة من حياته حتى صار شخصية عظيمة ، راجعاً إلى تركيز خواطره فى نفسه ، بل إلى نسيانها . وكان من فضل تفرغه لقضية أعظم من قضيته الخاصة ، أن تحول ما تعلمه أثناء الصراع مع نفسه إلى الفهم والعطف والفكاهة والحكمة . وليس فى وسعنا أن نقول فى النهاية إنه كان من المنطوين على نفوسهم أو من الضرب الآخر ، فقد جمع بين الاثنين .

ولا يزال الذين يستشارون فى الشئون الشخصية يصادفون أناساً منطويين على أنفسهم ومحصورين فيها ، يحاولون جاهدين

مرهقين أن يجدوا السعادة عن طريق « الإعراب عن النفس » . والمعنى الشائع للإعراب عن النفس هو أن ترسل نفسك على السجية وترخى لها العنان ، وتنزع السدادة عن برميل عواطفك وتدعها تفيض وتسيل . ومن السهل تعليل هذا باعتباره مظهر سخط واحتجاج على توافه الحكم والآداب ، وإن لهذا لقيمة كوسيلة لصدع القيود عن بعض الأفراد الذين كبلت الوساوس السخيفة أيديهم وأرجلهم . وإن المستشار الحكيم لينشد الإعراب عن النفس أيضاً ، ولكنه يبغيه عملياً ومطابقاً للحقائق النفسانية الواقعية ، فإن مجرد تفجير الإحساسات ليفوز الرجل المنطوى على نفسه بنشوة وقتية ، لا قيمة له ، وتكون النتيجة فى النهاية أن هذا التكرير الدائم لمثل هذه التسرية العاطفية عن النفس ، يبدد الحياة ويتركها أبعد عن أن تكون لها غاية مما كانت من قبل ، وهذا يصدق حتى على المسائل الجنسية . ويقول طبيب نفسانى كبير : « إذا اعتبرنا العلاج ، فإن النصح لإنسان بأن يذهب ويفرج عن غرائزه ، حماقة . ولم أر قط فى تجربتى العملية مصاباً بالاختلال العصبى شفته العربدة الجنسية » .

إن التعبير الوافى عن النفس شىء أعمق جداً من احتدامها وانفجارها ، والشارح الحقيق لها والمعبر الصادق عنها ليس العربيد . بل الفنان ، والعالم ، والأم السعيدة المستغرقة فى أسرتها ، ورجل الأعمال البار بقومه الذى يصنع شيئاً لهم ، والمعلم الذى يقول كما قال الأستاذ جورج بالمر : « إن كلية هارفرد تؤدى أجراً على فعل ما يسرنى أن أؤدى لها أجراً لتسمح لى بفعله » . فهؤلاء وأمثالهم من ذوى المراتب الملحوظة أو الوضيعة يعبرون عن أنفسهم حتماً ، والصفة المشتركة بينهم هى استثمار النفس لا الاستغراق فيها .

وهناك نتيجتان عمليتان على الأقل لمثل هذا النجاح فى توسيع أفق النفس .

إحداهما أن الإنسان يكتسب روح الفكاهة وهى منجية ، أما المصاب بشذوذ الانطواء على نفسه فإن نقص روح الفكاهة يكون عقابه المحتوم ، ولا يستطيع أن يرى نفسه كما هى بغير تحيز إلا الذين يحيون فى غيرهم وتكون مشاغلهم متفاذفة .

حدث ذات مساء أن كان ناست المصور الهزلى فى مجلس ، فرسم صوراً فكاهية لكل من كانوا هناك ، فكانت النتيجة ذات دلالة جلية — استطاع كل واحد أن يعرف صور الآخرين ، ولكن البعض لم يعرفوا صورهم هم . وهذا العجز عن رؤية أنفسنا

كما تبدو للغير ، من أقوى الدلالات على عدم النضج وانحصار المرء فى ذاته .

صور أريستوفان فى رواية « السحب » سقراط فى صورة هزلية ، ولما مثلت الرواية انطلقت أثينا كلها تقهقه . قالوا : فذهب سقراط ليشهد الرواية ، ولما ظهر على المسرح الساخر منه ، وقف سقراط ليكون النظارة أقدر على الاستمتاع بالوجه المستعار الذى أريد به السخرية منه . لقد كان سقراط رجلا مكتمل النضج ، وكان قد استطاع أن يعفى نفسه من وطأة نفسه .

واتساع أفق النفس يؤدى أيضاً إلى القدرة على احتمال المتاعب ، فإنا نجد عاملا مشتركا بين جميع الذين يستجيبون لما يهيب بهم من الحوادث الجسام ويحشدون قواهم لمقابلتها — وهذا العامل هو أنهم يفكرون فى غيرهم فضلا عن أنفسهم . ومن هذا ما كتب به ضابط أمريكى شاب فى الحرب العالمية الماضية إلى أهله ، قال : « فى وسعكم أن تكونوا على ثقة من أنى مبتهج طول الوقت ، ولم لا أكون كذلك ؟ إن معى ٣٨ رجلا ، فإذا انطرحت على الأرض حين تقبل علينا قنبلة ، انطرح الثمانية والثلاثون جميعاً ، وإذا ابتسمت سرى الابتسام على طول الخط » .

وإذا استطاع إنسان أن يمزج نفسه حقاً بأشخاص آخرين ، فإنه يكون قد أتى أمراً له قيمة عظمى لنفسه على غير عمد . ولنقل إنه عاش إلى الآن فى عقل كأنه غرفة تحيط بها المرايا ، فهو فى حيثما يلتفت يرى نفسه ، أما الآن فإن بعض المرايا قد صارت نوافذ فهو يستطيع أن يرى منها ويستحدث لنفسه مشاغل جديدة .

استخدام كل ما فينا

ويجب علينا بطريقة ما أن نصنع شيئاً بكل هذه البواعث العاطفية التى بنينا عليها ، فإن هذه الحوافز من مثل الفضول ، والشكاسة ، والخوف ، والاعتزاز بالنفس ، والرغبة الجنسية ، جزء جوهرى منا ، فأما أن تستعبدنا ، وإما أن نسيطر عليها فتصبح شخصيتنا بفضل هذه السيطرة أغنى .

والفضول حافز عاطفى فى كل إنسان طبيعى ، ومظاهره شتى ، فالمغتابون ، والثقلاء الذين يتنسمون الأخبار ، وطلاب الحقيقة المخلصون ، والرواد والمستكشفون البواسل والعلماء الباحثون — كل هؤلاء يعدون مظاهر للفضول .

وبعض الفضول يخرج للدنيا أحقر الناس وبعضه يخرج أحراهم بالإعجاب ، ولكنه لا مفر منه . ومن هذه الحقيقة التى تصدق

على كل حوافزنا الطبيعية ، يخلص لنا درسان : الأول أنه لا يجوز أن نحتقر أي عامل عاطفي أساسي في الطبيعة الإنسانية ، والثاني أن كل واحد من هذه العوامل يشرف ويسمو تبعاً للوجه الذي نستخدمه فيه .

والنزوع إلى الخصام من أعمق الحوافز العاطفية في الطبيعة الإنسانية ، والميل للعراك لازم لبقاء الحياة الإنسانية وتقدمها ، وتترجم روح القتال نفسها بالعمل الشاق ، وبالشجاعة في مواجهة المصاعب الشخصية ، وفي كل مظاهر الهجوم على المساوىء الاجتماعية المستقرة .

ولكننا إذا أرخينا الحبل لهذا الحافز العاطفي الذي لا غنى عنه ، كانت النتيجة مدمرة ، فإن البغضاء المزمنة أو إمساك الحقد في القلب يمزق صاحبه ، والغيظ الشديد قد يورث مرضاً كما تفعل الجرثومة. وإذا كان من سوء حظ الإنسان أن يكون له عدو ، فإن شر ما يمكنه أن يصنع — لا للعدو بل لنفسه — هو أن يدع الغيظ يستقر ويعمق مكانه ، والكراهة تزمن .

لما قال إدوارد إيفريت هيل في أخريات حياته : « كان لي فيما مضى عدو ، عدو لدود ، وأنا طول يومي أحاول أن أتذكر اسمه » أثبت أنه مستقيم العقل صحيحه أيضاً . وكذلك لنكولن حين لامته سيدة على عبارة كريمة قالها على الجنوب في أثناء الحرب الأهلية ، وقالت له إنه كان الأولى به أن يتمنى القضاء على أعدائه — كان موفور الصحة الأخلاقية والعاطفية حين قال يرد عليها : « ماذا تقولين ياسيدتي ؟ ألا ترين أني أقضي عليهم حين أجعلهم أصدقاء لي ؟ »

والخوف عنصر آخر لا غنى عنه في تكوين الإنسان ، ولسنا نستطيع الاستغناء عنه حتى في أبسط صوره . ولو أن رجلا لا يخاف بالمعنى الحرفي سار في شوارع مدينة حديثة ، لكان الأرجح أن يلاقي حتفه قبل المساء . والخوف يمكن أن يكون باعثاً على الخلق والابتداع ، ويمكننا أن نقول ، إذا نظرنا إلى المعنى العميق ، إن المدارس تنشأ من الخوف من الجهل ، والصناعة من الخوف من العوز ، وعلوم الطب من الخوف من المرض ، ولكن الخوف في مظاهره الشاذة — الهستيريا والخوف من شيء معين ، والقلق الخامر — تمزق الشخصية تمزيقاً شديداً .

والحياة الإنسانية حافلة بالمخاوف المكتومة المزوية في أركان الشخصية ودهاليزها المظلمة . فالخوف من الظلام ، ومن القطط ، ومن الأماكن المغلقة ، والأماكن المفتوحة ،

والخوف من المسؤلية ، ومن أن يكون للمرء بنون ، ومن الشيخوخة والموت ، والمخاوف الآثمة وهى كثيراً ما تكون راجعة إلى خطيئات قديمة العهد ، وأحياناً المخاوف الغامضة التى تملأ الحياة توجساً واضطرابا ، مثل هذه البلايا تكون كاللعنة المنصبة على حيوات من لا يحصى عددهم .

والأثر الضار لمثل هذا الخوف المزمن المكتوم مردّه إلى البدن ، فإن الغدد فوق الكليتين تزودنا فى كل موقف مرعب بقدر من مادة منعشة لغريزة القتال ، والقليل من ذلك منشط ، ولكن الكثير منه سم . والقلق والفزع إذا أصبحا عادة يؤديان إلى ما هو فى حكم إنذار كاذب مستمر ، ويحولان إفراز الغدد فوق الكليتين من منعش عند الحاجة إلى سم مزمن .

ومن الأهمية بمكان أن نبالج خوفنا حتى نخرج به إلى الفضاء الرحب ونواجهه فى صراحة . وقد بدأنا ونحن أطفال بالخوف من شيئين فقط — الوقوع والضجة العالية ، ثم تكدست عندنا جميع المخاوف الأخرى بعد ذلك . فإذا استطعنا أن نتبين أين وكيف التقطنا هذه المخاوف ، وأن نتعقب أدوار نشوئها ونستعرضها استعراضاً موضوعياً ، كأنها لغيرنا وليست لنا ، فإنا نكون قد كسبنا نصف المعركة . وكثيراً ما يتيسر حينئذ الضحك والتخلص منها .

على أنه يتفق أحياناً أن يكون الخوف الذى نواجهه له مسوّغه ، وفى هذه الحالة تهزمنا الأكذوبة القائلة إن المواقف الخطرة غير مرغوب فيها بلا مراء ، على حين أن الحقيقة هى أن المواقف الخطرة تنطوى على عوامل إنعاش وتنشيط .

وحب الخطر من أقوى بواعث الإنسان ، وإذا كانت الحياة تخلو من الكفاية من الخطر فإن الإنسان يذهب ينشده ويبحث عنه ، والناس ينشدونه فى ألعابهم التى تتطلب حركة أكثر مما يتطلبه غيرها ، وفى المباحث والارتيادات الحافلة بالأخطار ، وفى مغامرات التبشير ، وفى تأييد القضايا التى ينفر منها الرأى العام ، فإن التشدد فى المواقف الخطرة وتركها تستثير فى نفوسنا لا الخوف بل حب المصاولة والمنازلة ، تجربة ملهمة تفيد البدن والنفس صحة .

ومن أنجع ما تعالج به المخاوف السقيمة ، العمل . وإليك ما يرويه الدكتور هنرى لنك عن إحدى الأمهات قالت : « فى أول عهدى بالزواج إذ أنا زوجة شابة ، كنت أعانى

مخاوف كثيرة، من بينها الخوف من الجنون. وظلت هذه المخاوف تساورنى بعد أن ولدت أول أبنائى ، على أنى ما لبثت أن ولدت طفلا آخر ، وانتهى الأمر بأن صار لنا ستة أبناء . ولم نكن قط فى سعة من الرزق فكنت مضطرة أن أنهض بجميع الأعمال، وكنت كلما شرعت أفكر فى نفسى أسمع الطفل يبكى، فأضطر أن أجرى إليه وأتعهده وأعنى به ، أو يتشاجر الأولاد فأحتاج أن أفئ بهم إلى التراضى والسكينة ، أو أتذكر فجأة أن الوقت قد حان لإعداد العشـاء ، أو أن على أن أخرج وأعيد الثياب المغسولة قبل أن تمطر السماء ، أو أن على أن أكوى الملابس وغـيرها ، فكانت الواجبات التى ينبغى أن أقوم بها تأخذ على مخاوفى متوجّهها ، فزالت هـذه المخاوف شيئاً فشيئاً ، وأنا الآن ارتد بذاكرتى إليها فأتسلى » .

وهذه القصة تعلل شـيوع المساوىء الشعورية والعاطفيـة بين الأثرياء والذين لا عمل لهم ، فإن الوقت يطول بهم فيغذون خيـالهم . وهم فى زمن الحرب يستطيعون أن يستمعوا إلى كل ما يذاع من الأخبـار والتعليقات . على خلاف الجندى الذى عليه أن يؤدى عملا وينهض به ، فتكثر بهم أخطار لا يصنعون شيئاً لدفعها ، وأمثال هؤلاء فى زمن السلم فريسة لهموم خيالية لا آخر لها ، حتى صار صحيحاً على العموم أن أكثر الناس همَّا أقلهم فى الواقع هموما .

وخير مثال للطبيعة المزدوجة للخوف ، باعتباره خيراً وشراً فى وقت معاً ، ذلك الرجل الذى يبلغ به خوفه من التقصير فى واجبه أن لا يبالى بما يكلفه فعله . وإذا كان للإنسان ما يحيى له ، سواء أكان هذا طفلا ، أو عمل يوم جـديراً بالتفرغ له ، أو عالماً استنقذ من ويلات الحـرب ، فإن هذا هو المهم والذى له قيمة .

والاعتزاز بالنفس أيضا لا يجوز أن يحتقر أو يقمع ، بل يجب تهذيبه والانتفاع به. لما قال تشارلز لام : « إن أعظم مسرة أعرفها هى أن يفعل الإنسان الخير سراً ، ثم يعـرف ذلك اتفاقا » — لما قال ذلك كشف عن مبلغ قوة الرغبـة فى الالتفات الذى يزيد تقدير المرء لنفسه .

ويقول المتشائمون إن وراء ما يوصف بأنه حياة قائمة على الإيثار ، بواعث متعلقة بالاعتزاز بالنفس . والمتشائمون على حق ، ولكنهم مخطئون فى موقف السـخر ، فإنا جميعا نبـدأ أطفالا ذوى غرائز قائمـة على الاعتزاز بالنفس ، غير أن المحك هو الغايات التى تستولى على القوى الكامنة فينا آخر

الأمر وتسخرها متخذة منها قوة دافعة . فإذا كان المستشار حكيما فإنه لا يقول أبداً لأى إنسان أنه لا ينبغى له أن يشعر أنه شىء له قيمة ، بل يحاول على العكس أن يوجه هذه الرغبة القوية إلى مجارٍ نافعة .

ومن الاعتزاز بالنفس حين يضل ، ينشأ الغرور والبخل ، وبعض الناس يعيشون أبداً صادرين عن مثل الروح التى جعلت ماسكانى يهدى روايته الأوبرا « الأقنعة » . « إلى نفسى مع التقدير السامى والرضى الثابت » . غير أننا لا نستطيع ولا ينبغى أن نكف عن الاهتمام بنفوسنا ، فإن مهمتنا الأولى فى الحياة أن نعنى بأنفسنا لنجعل منها شيئاً يستحق الذكر .

والتسامى بالرغبة الجنسية ، أى إعادة توجيهها إلى مستوى أخلاقى أعلى ، موضوع يكثر فيه اللغط ويقل الفهم الصحيح . فليس مما يستطاع التسامى بكل مطالب الكيان الإنسانى ، ولا بديل هناك نعرفه من الطعام ، لتسكين آلام الجوع . والجنس إذا اعتبرناه بأضيق معانيه ، من هذا القبيل .

ومن الممكن أن يقال كلام كثير معقول للشاب الذى يعانى وطأة هذه الحاجة الحيوية الأولية : إن العفة لا تضنى ، وإن إرضاء الرغبة الجنسية ليس ضروريا للصحة ، وإن الاضطراب العام الذى يصحب الرغبة الجنسية التى لم تفز بما يسكنها ، هذا الاضطراب يمكن التخلص منه بالعمل النشيط لإتعاب البدن كله ، وإن الرغبة الجنسية طبيعية ولا عيب فيها ، وإنه يجب تقبلها بالشكر والرضى لأنها بعض ما بنينا عليه ، ولا يجوز أن نلوثها بالإحساسات السقيمة والشعور بالإثم والخطيئة حين تظهر هذه الرغبة ، وأن الطبيعة إذا ترك لها الأمر ، لها وسائلها لتخفيف وطأة الضغط الجنسى .

على أن الجنس أعمق جداً وأشد تغلغلا فى الشخصية مما يبدو لأول وهلة ، فكل علاقات الأسرة — من أمومة وأبوة وبنوة — أساسها هذا المعنى الأكبر للجنس ، وكذلك كل حب وصداقة بين الإخوة والأخوات ، وبين الرجال والنساء ، وكل امتداد من الأسرة إلى الجماعة ، كما يظهر ذلك فى حب الأطفال والعناية بهم .

وهكذا إذا اعتبرت حياة الإنسان فى جملتها ، فإن التسامى بالجنس يصبح حافلا بالمعانى . ومن الممكن أن يتخير الإنسان أسلوب معيشة تجرى محبّاته ونشاطه الإنشائى فى مجارٍ مرضية ، فتجد الشخصية باعتبارها كلا راحتها وهناءتها ، حتى ولو تركت الرغبات

الجنسية الخاصة بغير إرضاء . فالمرأة غير المتزوجة ، أو التي حرمت الأمومة، تستطيع أن تجد في التمريض أو التعليم أو الخدمة الاجتماعية متنفَّساً لغرائز الأمومة ، يكسب شخصيتها التناسق والانسجام المرجحين .

فأما أنه لا بد من كابح لجميع حوافزنا الطبيعية فأمر بديهي . وتصور حياة تنطلق فيها جميع الحوافز الطبيعية معاً بغير عنان ــ الاعتزاز بالنفس ، والشكاسة ، والرغبة الجنسية ، والخوف ــ فما من شك في أن الفوضى تكون هي النتيجة . فالرأي الشائع بأن كبح الحوافز الطبيعية الأساسية ضارّ ، ليس إلا هراء . وليست المسألة هل نكبح ونقيد غرائزنا ، وإنما هي كيف نفعل ذلك لتنسجم الحياة وتتناسق .

إن الاحتمالات العديدة لحسن استخدام غرائزنا أو سوء استخدامها ترجع في مردّ أمرها إلى صفة جوهرية لحياتنا العاطفية كلها ، وهي الحساسية . والطريقة التي نعالج بها هذه الصفة الأولية من أهم الأمور في فحص النفس واختبارها . وإذا اهتدى إنسان إلى ما هو أحسّ به وأشد تأثراً من ناحيته ، فأخلق به أن يستفيد بصراً بمشكلته الشخصية .

فكثيرون من الناس إحساسهم مرهف بالنقد ، وتأثرهم به شديد ، وكرامتهم تتاوى من جراء الرأي السيء فيهم ، لأن شدة تأثرهم بآراء الغير ، ولا سبيل إلى الحياة الاجتماعية بغير ذلك، قد صارت عندهم مرضاً .

وأمثال هؤلاء يعدون حسن التقدير أمراً مسلما ، أما النقد فيعدونه تطاولا . والرجل الطبيعي على نقيض ذلك ، يعد النقد أمراً مسلما ، وحسن التقدير ملاطفة . ألقى إمرسون ذات يوم خطبة أسخطت القسيس الذي كان يرأس الاجتماع سخطاً شديداً ، فلما وقف القسيس ليتلو الصلاة الأخيرة قال: « نتوسل إليك يارب أن تعفينا من أن نسمع مرة أخرى مثل هذه ، الهراء الذي كنا نصغي إليه الآن » . ولما سئل إمرسون فيما بعد عن رأيه في ذلك قال: « يبدو لي أن القسيس رجل صريح حي الضمير جداً » . هذه العقلية السليمة المستقيمة عامل ضروري لتناسق الشخصية .

التغلب على الكآبة

أشيع أسباب الانحلال الشخصي من الكآبة ، وهي أحياناً تكون راجعة إلى أسباب بدنية ، ولكن السهوم الذي يعانيه كثير من الناس ليس من العسير أن يتغلبوا عليه .

وأول ما أشير به لعلاج هذه الحالة هو: اعتبر الكآبة أمراً مسلماً ، فإن الذى ينتظر أن ينجو نجاة تامة من الكآبة والانكسار إنما يطلب المستحيل . أما تلقى فترات الانكسار بأكثر مما تستحق من الجد بدلا من أن تقول : « هذه أيضاً نزول » فإنه يجعل لها وطأة شديدة مخاصرة ليست لها.

ونصيحة ثانية لها أهمية يومية : ذلك أن فى وسعنا أن نعد خير حالاتنا النفسية لا شرها هى الدالة علينا والممثلة لنا ، والقدرة على ذلك كامنة فى أعماق سرائرنا ، وفى مقدور النفس أن تختار « هذا » دون « ذاك » كمظهر لخيرها وحقيقتها ، وأن تقرن نفسها بالاستبشار دون انكسار القلب ، وبحسن النية دون فساد الطوية .

وكل الذين وقعوا فى أسر الكآبة يتميزون بأنهم يقرنون نفوسهم الحقيقية بحالات الانكسار التى تعتريهم ، فهم لا يكتفون بأن يكون لهم قبو فى دارهم العاطفية — كما للناس جميعاً — بل هم يعيشون فى هذا القبو . وكل امرىء تمر به ساعات كآبة ، ولكنه لا داعى لأن يكون الإنسان كئيباً فى الأغلب.

وهذا يفضى بنا إلى نصيحة ثالثة : إذا اعترتك الكآبة فقاوم نفسك ولا تكتف بالإنحاء على الظروف . إن الظروف كثيراً ما تكون أليمة وساحقة ، فلا يبقى مفر من الكآبة ، غير أن من الخطأ الوبيل أن يستخلص أحدنا من نزول المصاب بساحته ، الحقّ فى أن يكون كئيباً دائماً .

إن الحياة عملية هضم وتمثيل ، نمزج فيها بنفوسنا كل ما يدخل فيها . ومن هنا كان لأبيات وولتر ده لامير معنى أوسع مما يبدو لأول وهلة :

« إن من الغريب البالغ منتهى الغرابة أن كل ما تأكله الآنسة ت . يتحول فيصبح هو الآنسة ت » .

والكئيب يستطيع أن يخلق لنفسه بواعث اكتئاب من أى ظرف كائناً ما كان ، وهذا يصدق على الخصوص فى الأزمنة العصيبة التى ينقلب فيها العالم من جراء الحوادث الفاجعة . والإنسان الذى لا يكتئب للمصائب الحاضرة يدل على أنه لا يحس ، ولكن كثيرين فى هذه الأيام يردّون ما هم فيه من الانحلال العاطفى إلى حالة العالم الأليمة . على حين أن مشكلتهم الحقيقية مرجعها إلى نفوسهم . وقد كتب د . ه . لورنس يقول فى أحد أشخاص رواية له : «عذب ريتشارد لوفات المسكين نفسه فى مصارعته معضلته التى كان يسميها أستراليا » .

والنصيحة الرابعة تجاوز مدى مغالبة النفس وهي : تذكر غيرك ، فإن العواطف معدية . وفي وسع رجل واحد مكتئب أن يعدي أهل بيت بأكمله وأن يصبح آفة حتى لمن هم في حكم الأغراب . فإذا كان قول إيان مالكلارين له ما يسوغه : « ليعطف بعضنا على بعض ، فإن معظمنا يخوضون معركة قاسية » فإن البشر والشجاعة من أهم مظاهر العطف التي نستطيع أن نبديها .

وأما النصيحة الخامسة فتتطلب الاستمداد من أعمق ينابيع الشخصية : « تذكر أن بعض المهمات من الأهمية بحيث يجب أن تنهض بها سواء اكتأبنا أم استبشرنا » ، وأصحاب الشخصية القوية يعالجون اكتئابهم لا بالتخلص منه بل بالزوغان منه ، فإن أمامهم عملا يؤدونه ، وغرضاً يريدون إدراكه . وفي هذا الاتجاه ، سواء أكانوا أم لم يكونوا مكتئبين ، يسير الخط الرئيسي لحياتهم .

مـلاذ القوة الأخـير

إكساب الشخصية الوثاقة والتماسك يتطلب الاستعانة بذخر من القوة المكنونة — قوة متمثلة مما وراء النفس . وكما أن الشجرة تعيش بالتمثل الكيميائي الذي يحدث في الجذور والأوراق ، كذلك كياننا يحيى بما يستحوذ عليه من القوة . والوجود كله يمدنا بالوسائل التي لا غنى عنها والتي تيسر لنا الحياة . ونحن نعيش على النشاط الكوني ، وقوتنا ليست مصنوعة في جوفنا ، وإنما هي تنطلق في خلالنا .

وهذه القوة المنطلقة لا تقف عند أي خط وهمي يفصل حياتنا البدنية عن حياتنا الروحية . والتجربة الدينية العميقة تقرر أن أرواحنا مستمرة مع حياة روحية أكبر ، وأننا في هذا النطاق لا ننتج قوتنا من ذات نفوسنا وإنما نتمثلها .

وليس أبعث على مرثية الناصح الشخصي من حالة أولئك الذين لا يعرفون في علاج مشاكلهم إلا الاعتماد على قوة إرادتهم ، فلا يلبثون أن يتبينوا — عاجلا أو آجلا — أن مثل هذه الوسيلة لا جدوى منها . فإذا أصيبوا مثلا بفقد عزيز وحزنوا ، كان الالتجاء إلى الإرادة لتنهض وتحل المشكلة عبثاً وسفاهة .

مثل هذه اللحظات تتطلب أسلوباً آخر وعلاجا آخر — الإيمان الرحب الكريم . وكثيرون يسألون : « كيف ينال الإنسان الإيمان إذا لم يؤته ؟ فإن الإيمان لا يستفاد بالإرادة » غير أن الإيمان ليس شيئاً يحصل عليه الإنسان وإنما هو عنده

وفيه . يضاف إلى ذلك أن لدينا فيضاً منه منوطاً بغرائب أكثر من أن تحصى — الإيمان بالدكتاتورية ، أو التنجيم ، أو أرجل الأرانب والتمائم ، أو بفائدة هذا النظام الاقتصادى أو ذاك ، ومن الأدلة على أن عندنا من الإيمان فوق ما نعرف ماذا نصنع به ، أننا نُفيض منه على كل ما يصادفنا .

وقد اعتدنا أن نلعب بالألفاظ فنقول : « الإيمان ضد عدم الإيمان » فاحتجبت الحقيقة . والحقيقة أنه ما من إنسان يستطيع أن يكون غير مؤمن ، وقد ركب الإنسان من الوجهة النفسانية بحيث أصبح مضطراً إلى الإيمان — بالله مثلا أو بغير إله ما ، ومتى مات الإيمان الإيجابى فإن الإيمان السلبى يحل محله — بالمستحيلات أكثر من الممكنات ، وبالآراء التى تجعل منا ضحايا للحياة لا سادة لها ، وبالفلسفات التى تدفعنا إلى مثل الحالة النفسية التى كان فيها رابليه وهو يجود بأنفاسه ويقول : « أسدلوا الستار ، فقد انتهى تمثيل المهزلة .

كتب صديق ذات يوم إلى ترجنيف : « يبدو لى أن وضع الإنسان نفسه فى المحل الثانى هو كل مغزى الحياة » فأجابه ترجنيف بقوله : « يبدو لى أن اهتداء الإنسان إلى ما يقدمه على نفسه ويضعه فى المحل الأول ، هو كل مشكلة الحياة » . فالذى يقدمه الإنسان على نفسه كائناً ما كان ، هو ما يؤمن به ، ومتى بذل الإنسان إيمانه من قلبه ، فقد شدّ زناد النشاط الإنسانى .

والثقة بأن مما يستحق العناء أن يعالج الإنسان أمر نفسه وصحة العزم على ذلك ، إنما هى رهن بضرب من الإيمان ، ويكاد المكروبون والمنكسرون يقولون دائماً : « لماذا نكلف أنفسنا أن نوجد شخصية متناسقة نافعة ؟ وما قيمتنا على أى حال ؟ » فهؤلاء التعساء لا يرون أن هناك شيئاً يستحق أن يحيوا له ، والدواء الوحيد لما يذهبون إليه من أن كل شىء عبث وباطل ، هو الإيمان .

وحتى لو كان الإنسان لا يذهب إلى أبعد مما ذهب إليه روبرت لويز ستيفنسون حين قال : « إنى أومن بأن كل شىء يكون فى النهاية كما ينبغى » ، فإن مثل هذا الإيمان له قيمة لا تقدر ، فإذا جاوز الإنسان ما ذهب إليه ستيفنسون ، فإنه يجد أن الدين يهدى إليه إيماناً ليس أعظم منه ابتعاثاً للنفس يقول له : مهما يكن ما تخفق فيه ، فليس ثم ما يدعو إلى إخفاقك فى أن تكون إنساناً حقا ، وأن بناء حياة شخصية عظيمة تعترضه حوائل ومصاعب ومتاعب بل إخفاق أدبى أيضاً ، وأن الكون ليس شيئاً وجد اعتباطاً

ولا مؤلفاً فى ذرات لا غاية لها ، وإنما هو منظم دائر حول غايات روحية . والشخصية ليست وليدة الحظ والاتفاق ، وإنما هى أكمل وأتم وسيلة للحياة ، وأوفى رمز عندنا لصفات الله .

وهكذا يكون الدين أساساً للسعى المنطوى على الأمل وينبوعاً للقوة الميسورة ، إذ نحاول أن ننتفع إلى أقصى مدى بمواهبنا الطبيعية ، وأن نصبح كما ينبغى أن نكون . وكل من ينهض لأداء هـذه المهمة يكون على الطريق السوى لتحقيق معنى الخلق ، ويكون قد عرف كيف يتقبل أمانة الحياة .

إذا تراكمتْ عليك الأعمال فلا تلتمس الرَّوْح فى مُـدَافعتها يوماً بيوم والروَغانَ منها ، فإنه لا راحة لك إلا فى إصدارها . وإن الصبر عليها هو الذى يخففها عنك ، والضجر هو الذى يراكمها عليك .

فتعهـَّد من ذلك فى نفسك خصْلةً قد رأيتها تعترى بعض أصحاب الأعمال . وذلك أن الرجل يكون فى أمر من أمره ، فيرد عليـه شغل آخر أو يأتيه شاغلٌ من الناس يكره إتيانه ، فيكدَّر ذلك نفسه تكديراً يفسد ما كان فيه وما ورد عليه ، حتى لا يحكم واحداً منها .

فإذا ورد عليك مثل ذلك ، فليكن معك رأيك وعقلك اللذان بهما تختار الأمور ، ثم اختر أولى الأمرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه . ولا يعظمنَّ عليك فوت ما فات وتأخير ما تأخر .

إن أردت السلامةَ فأشعرْ نفسك الهيبـة للأمور ، مِن غير أن تظهر للناس منك الهيبـة ، فتفطنهم بنفسك ، وتجرِّئهم عليك ، وتدعو إليك منهم كل الذى تهاب .

[ابن المقفع]



لابد للعالم اليوم من إنتاج مقادير لا حصر لها من الطعام فإن جرار كليتراك المتاز بمقدرته وصلابته وإمكان الاعتماد عليه طوال العام ، يقع عليه عبء لاغنى عنه في هذا العمل

كليتراك يهيء التربة ، ويبذر ، ويحرث ، ويحصد المحاصيل تراه يزرع أرجاء الحقول بضغط بسيط وسهولة السيطرة عليه وقدرة هائلة على العمل كما تراه يبني الطرق والمطارات لنقل الطعام من المزارع الغنية إلى المناطق المخربة.

وأينما وجدت كليتراك سواء أكان يشق الصخور والأشجار ينساب هادئاً بين الحبوب النابتة فإنه ينجز مهمته بيسر وسرعة ونفقة بسيطة

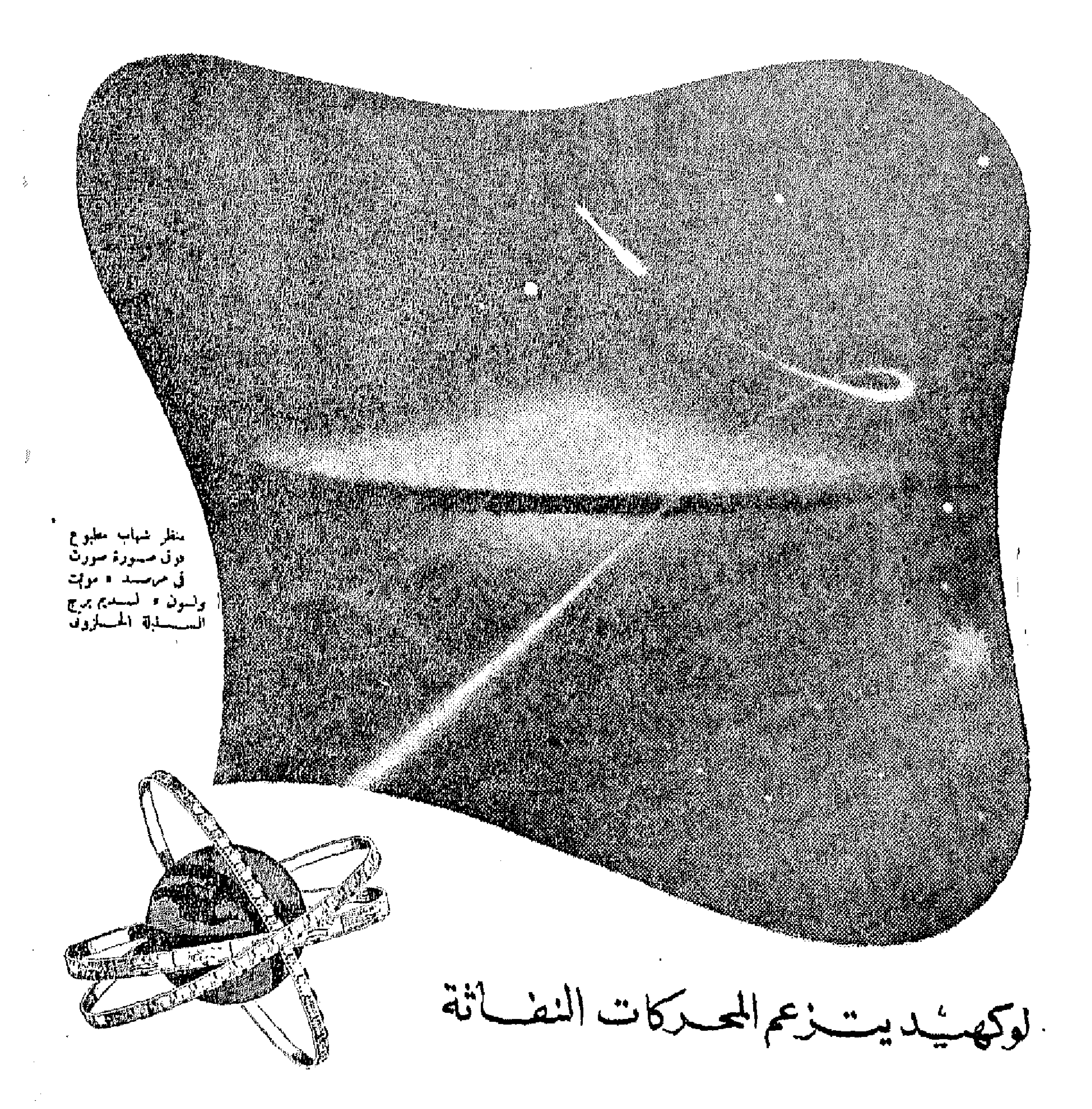
[ننصح جميع تجار المحاريث والجرارات بالاطلاع على مزايا كليتراك العالية اكتب اليوم بطلب كافة الاستعلامات]

في خدمة الصناعة والزراعة منذ ٢٩ عاماً

The OLIVER CORPORATION **CLETRAC**

THE OLIVER CORPORATION

Cletrac Division, 19300 Euclid Avenue, Cleveland, Ohio, U. S. A.



منظر شهاب مطبوع
فوق صورة صورت
فى مرصد « مونت
ولسون » لسديم برج
السنبلة الحلزونى

لوكهيد يتزعم المحركات النفاثة

كلمات واضحة لا لبس فيها . فطائرة لوكهيد « شوتنج ستار » — أى الشهاب التى تسير بقوة النفث (الدفع المتفجر) هى أسرع طائرة صنعت حتى الآن . بيد أن مرمى هذه الكلمات لا يمكن أن يستوعبه إلا كل ملم بعلم الطيران ومؤداها اختراق دياجير البحوث المضطربة بحثاً عن نظرية السرعة القصوى . ترقب هذا التطور المدهش . فكما أن طائرة شوتنج ستار تفوق كل ما جاء قبلها ، كذلك ستتولى محركات لوكهيد الزعامة فى طريقها نحو آفاق جديدة فى السرعة لم يحلم بها العالم — وهدفها أن تخترق نطاق الزمان والمكان الذى نسميه الآن « مسافة » .

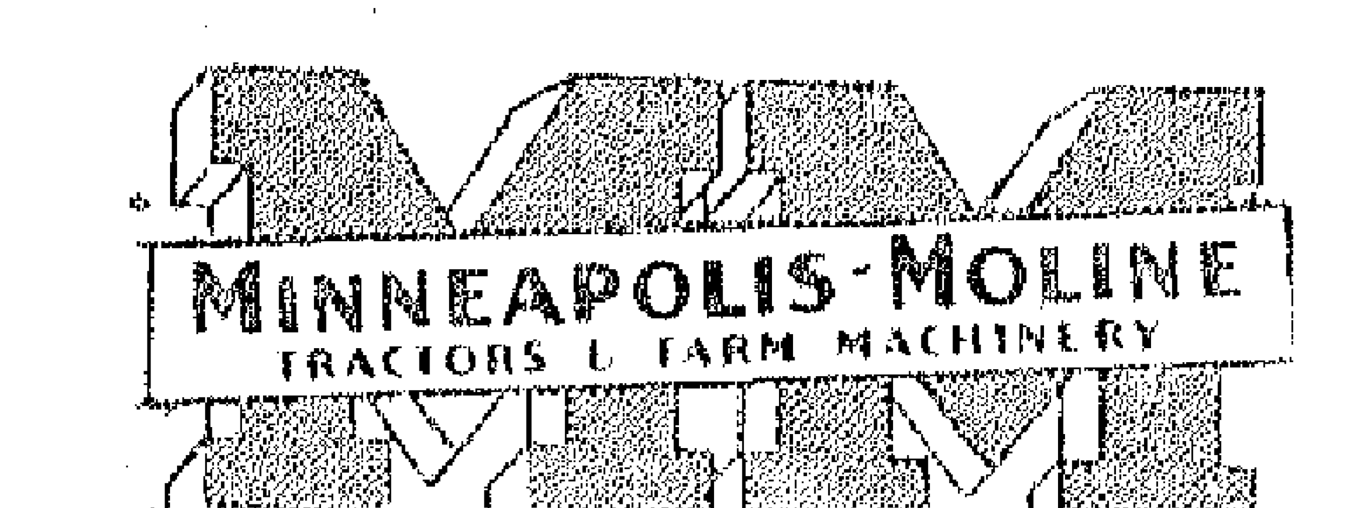
ترقبوا *Lockheed* فى الطليعة دائماً

LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA U.S.A.

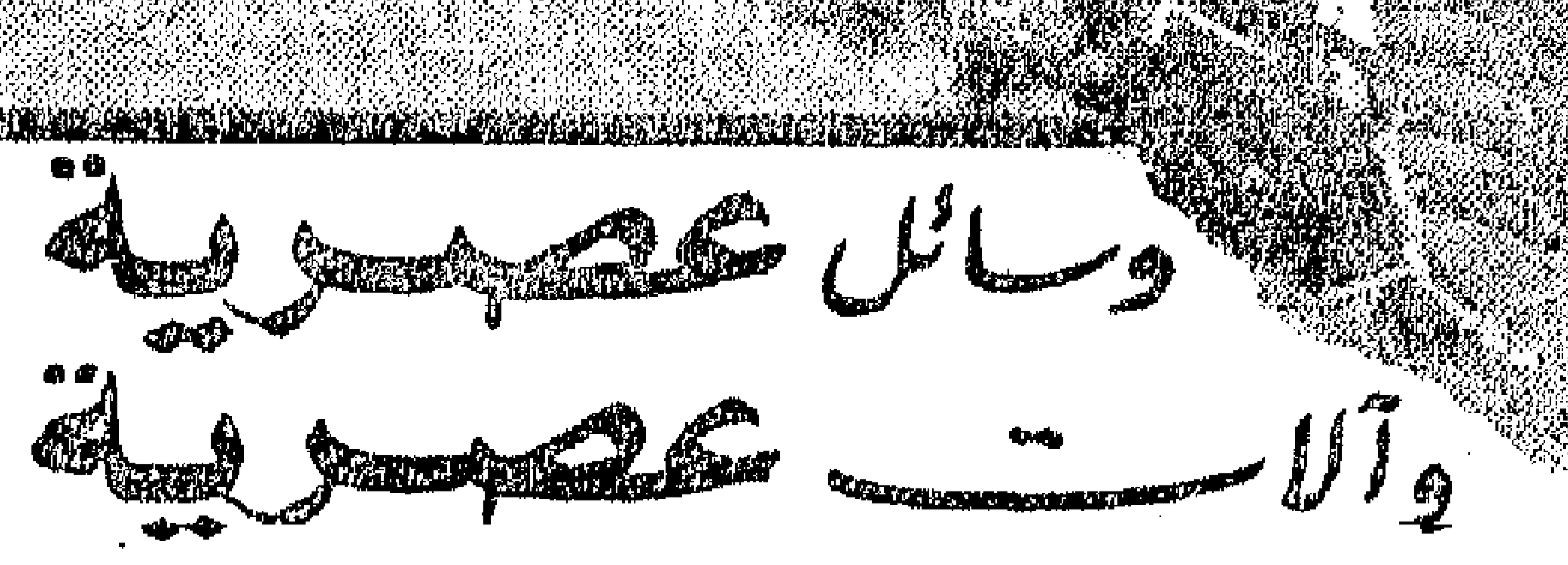


THE PARKER PEN COMPANY

Janesville, Wisconsin, U. S. A







وسائل عصرية وآلات عصرية

آلات زراعية ، عصرية ، محسنة ، تنتجها مؤسسة « مينيا بوليس مولين » لتهيء لكل مزارع أن يحفظ مقدرة أرضه على الإنتاج . هذا ، وآلات « مينيا بوليس مولين » بفضل اختصارها العمل تساعد على إنجاز مهام الحقل بسرعة وكفاية فتتيح للمزارعين قسطاً أكبر من الفراغ للتمتع بحياة أطيب .

وعلى المزارعين الذين ينشدون حصد محاصيل وفيرة أن يعنوا بتعويض الأرض عما تفقده من عناصر الخصب من جراء الاستعمال المستمر كما أن عليهم ان يراقبوا بحذر تفتت التربة . وعندما تكون الأرض في أحسن حالة — عندئذ فقط يستطيع المزارعون أن يتطلعوا إلى مواسم يعم فيها الرخاء .

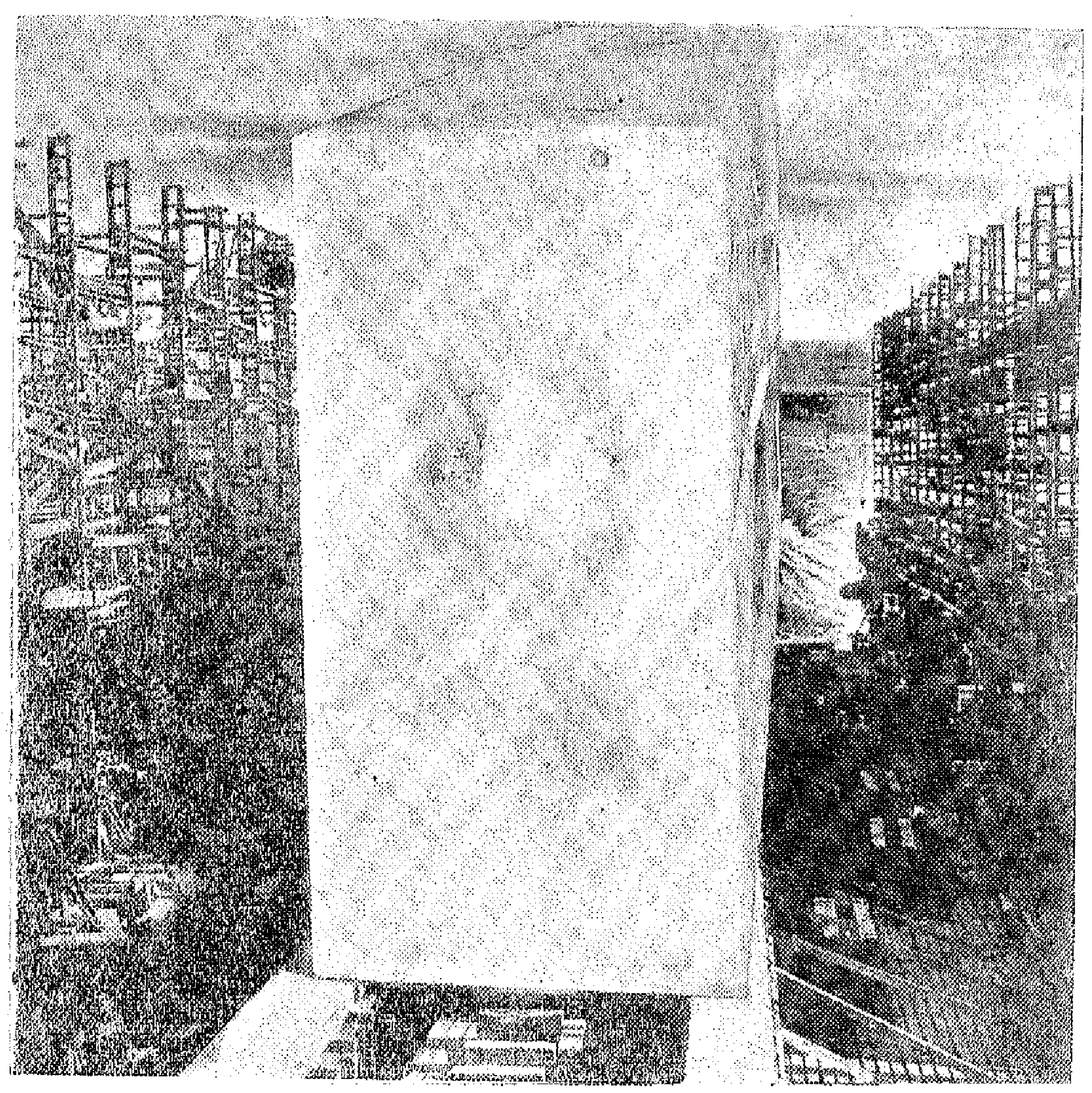
الوكلاء الوحيدون بالقطر المصرى : شركة بورسعيد الهندسية ، بور سعيد

Port-Said Engineering Works, (Port-Said)



MINNEAPOLIS-MOLINE

POWER IMPLEMENT COMPANY MINNEAPOLIS 1 MINNESOTA, U.S.A.



إلى البحر!

للحصول على ما يعادل تأثير التبريد الناتج من جميع أجهزة « يورك » التى تعمل للنصر ، ينبغى أن تنزل إلى البحر كل ساعة كتلة من الثلج وزنها ٣٨ مليون رطل ! ومعدات « يورك » للتبريد وتكييف الهواء التى تخدم الآن فى الجيش والبحرية والملاحة التجارية وصناعات الحرب تنتج خمسة بلايين ونصف بليون وحدة* تبريد فى الساعة .. ولا ينقطع عملها ساعة ! وبالرغم من ضخامة هذا الرقم الهائل فإنه لا يسد حاجة النصر لأن القوات المسلحة تطالب باستمرار ، بالمزيد من العتاد وهناك الصناعات الحيوية وحاجات الجبهة الداخلية التى تثقل عاتق إنتاجنا إلى الحد الأقصى . وفى يورك علينا أن نتابع أبحاثنا لإنتاج أحسن التصميمات لأجهزة التبريد وتكييف الهواء وشعارنا العمل « للنصر أولا وقبل كل شىء ! » وعندما يكتب لنا النصر المنشود ، فعندئذ فقط ، سيتاح لمؤسسة « يورك » أن تضع ما اكتسبته من خبرة خلال سنى الحرب فيما ستنتجه لعالم الغد من وسائل تكييف الهواء والتبريد التى حسنت تحسيناً عظيماً .

york

* وحدة التبريد المتفق عليها فى جمعية مهندسى التبريد الأمريكية ومسجلة فى قانونها رقم ١٤ — ٤١

York Corporation, York, Penna.

يورك للتبريد وتكييف الهواء

المقر الرئيسى لأجهزة التبريد الميكانيكى منذ عام ١٨٨٥

إذا توقفت عيناك ، توقفت أنت

العيون المتعبة عقبة فى سبيله كل عمل يحتاج إلى بصر سديد . وكم من رجال أكفاء تحول بينهم وبين إظهار مواهبهم ، فى المجتمعات وفى عالم الأعمال ، حاجتهم إلى بصر سليم كما أن كثيرين من الصغار ممن وهبوا استعداداً طيباً يتأخرون فى فصولهم لأنهم لا يرون جيداً

إن العيون التى تحتاج إلى نظارات يجب أن تحصل عليها بلا تسويف . فما لاشك فيه أنك تريد أن تحفظ لجميع أفراد أسرتك سلامة أبصارهم .

أما الموظفون فإن النظر الثابت يتيح لهم القيام بعمل أوفر وأشد إتقاناً . ثم إنه يقلل الحوادث . فلكى تحافظ على بصرك الخص عينيك الغاليتين ولا تنس أن الأعين التى تحتاج إلى نظارات يلزمها عدسات « بوش ولومب »

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

شركة — ESTABLISHED IN 1853



عدسات — ROCHESTER, N.Y., U.S.A.

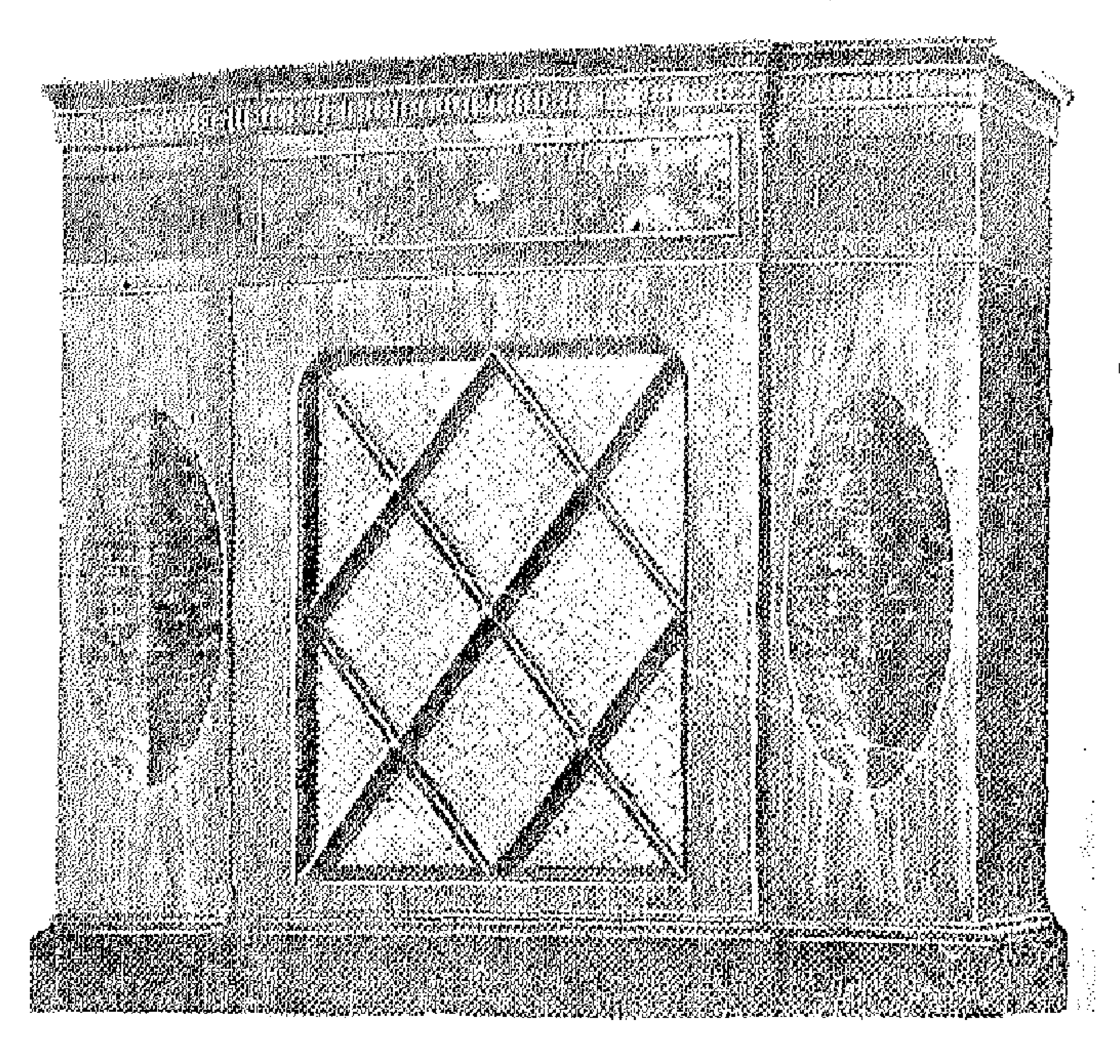
شركة بوشى ولومب : تصنع زجاجاً للإبصار ومجموعة كاملة من أدوات الإبصار للاستعمال فى الحرب والتربية والبحث العلمى والصناعة ولتصحيح بصر العيون وحفظه


في خدمتك
لانتاج أنقى المواد البترولية
لكي تجني أقصى فائدة من مصانعك ومعداتك يتحتم الالتجاء إلى
وقود وشحومات ممتازة واقتصادية . وإن شركة كالتكس تضمن
لك مورداً ميسوراً تظفر منه ببنزين بالغ الجودة وجاز وشحومات
ووقود الديزل وزيت الوقود .
SOCIETÉ CALIFORNIA TEXAS DES PÉTROLES, S.A.E.
9, Rue Fouad 1er. Cairo Egypt.
CALTEX
كالتكس لانتاج البترول

بعد الحرب

ستكون زعامة فيلكو أوثق ضمان لحصولك على أداء أوضح وشكل أرشق وقيمة أعلى فى أجهزة الراديو والموسيقى المسجلة .





الكشف العلمى

جعل فيلكو

فى مقدمة منتجى الراديو

بفضل تطلع هيئات فيلكو للأبحاث والهندسة إلى الأمام ، وسبقها فى التفكير ، يتمتع ملايين الناس فى جميع أرجاء العالم بإذاعات وموسيقى مسجلة هى غاية فى أمانة الأداء وجمال النغم . ويستمع هؤلاء الملايين من أصحاب أجهزة راديو فيلكو ، الفخورين بها ، إلى برامجهم المفضلة — محلية كانت أو على الموجة القصيرة — بوضوح وإتقان وبغير خشخشة .

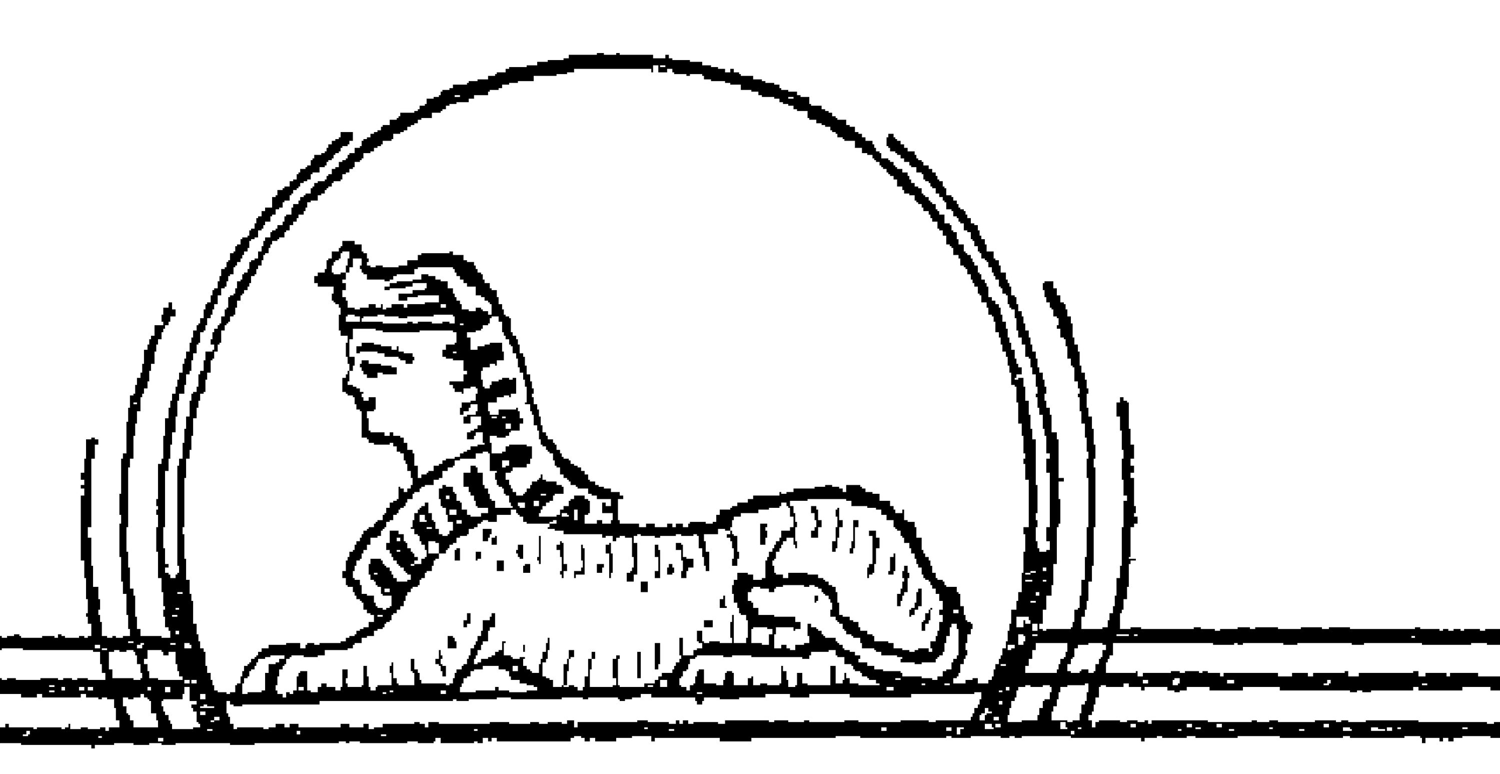
وبعد الحرب ، ستأتيك زعامة فيلكو بكل جديد رائع لتزداد برامجك تنوعاً وطلاوة . وسيكون راديو فيلكو — جريا على سنته فى الزعامة — آية الآيات فى النغم ... والأداء ... وامتياز النوع ... ورشاقة الشكل . سيكون هذا الجهاز خير ما يشرى .

PHILCO فيلكو

المشهور بالجودة فى جميع أرجاء العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORPORATION 230 Park Avenue, New York U.S.A.

راديو منزلى . راديو فونوغراف . راديو سيارة . ثلاجات . أفران كهربائية
مبردات لتجميد الاغذية وحفظها . أجهزة لتكييف الهواء .



"سرعة الانجاز روح العمل"

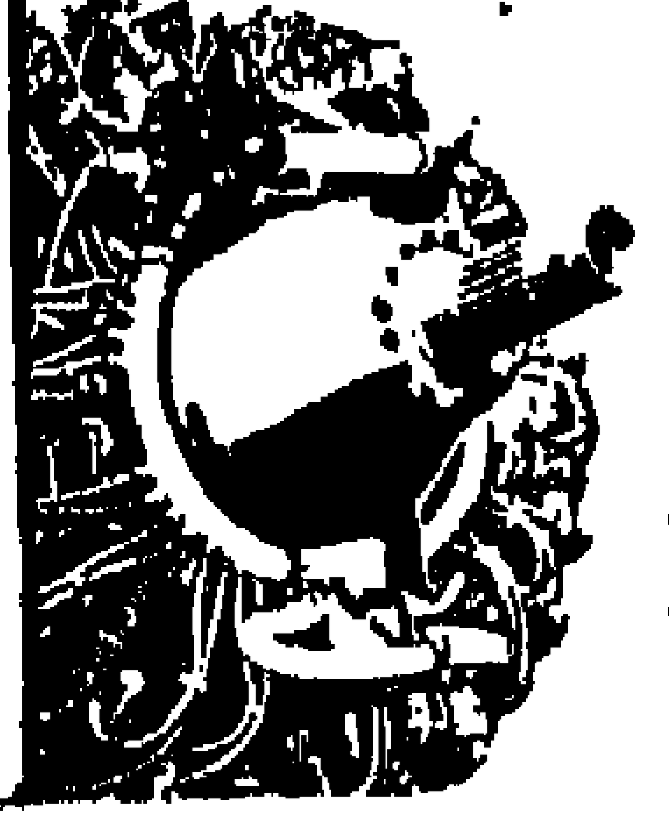
قالها فيلسوف شهير منذ مئتي عام ولم يكن العالم قد عرف بعد البريد الجوى الذى يعد بحق العامل الأول فى إنجاز العمل عن طريق المواصلات التجارية . فالبريد الجوى يتيح تسليم الرسائل بين مساء وصباح ويصل بين قارة وأخرى فى أكثر من ذلك الوقت ببضع ساعات فقط . وبفضله لم يعد ثمة حاجة إلى انتظار عديم الجدوى للردود فهو يحمل على جناح الريح أوامر البيع والعقود وغيرها من الرسائل التجارية والخطابات الخاصة .

وإن هذا ليدفعنا إلى التفكير فيما يجنيه العالم من فائدة لو أن جميع الرسائل الخطيرة الشأن كانت تنقل بطريق الجو . ونحن لا نعنى بالطبع الرسائل المحلية أو المرسلة من مدينة إلى ضواحيها بل نريد تلك الرسائل الهامة التى تنقل مسافة ١٥٠ ميلا أو أكثر .

والطائرات الحديثة فى مقدورها أن تحمل أطنان البريد التى تنتج من اتباع هذه الخطة . فمحركات «رايت . سيكلون» تمدها بالقدرة اللازمة لحمل الثقل . فإذا كانت فئات الأجور معادلة لفئات البريد العادى فإن زيادة الدخل تهيىء زيادة فى وسائل النقل الجوى من شأنها أن تعود على كل بلد بالخير العميم . وإذ ذاك تفيد الأعمال ويفيد الجمهور من هذا النوع من النقل ومن السرعة التى ستنشأ عنه والتى ستأخذ فى الازدياد وعلى مر الأيام .

طائرات المستقبل

سترى فى جميع طرق الملاحة الجوية فى أنحاء العالم طائرات النقل «مارتن JRM-1 مارس» وهى نوع آخر من طائرات الركاب والشحن التى تحركها محركات «سيكلون» . وطائرات مارس هذه بفضل مداها البعيد وحمولتها الكبيرة تستطيع أن تنقل أكثر من ٢٠٫٠٠٠ رطل من البضائع فى كل طائرة أما عن قوتها فيكفى أن تعلم أنها مزودة بأربعة محركات «رايت سيكلون ١٨» وقوة كل محرك ٢٢٠٠ حصان .



WRIGHT

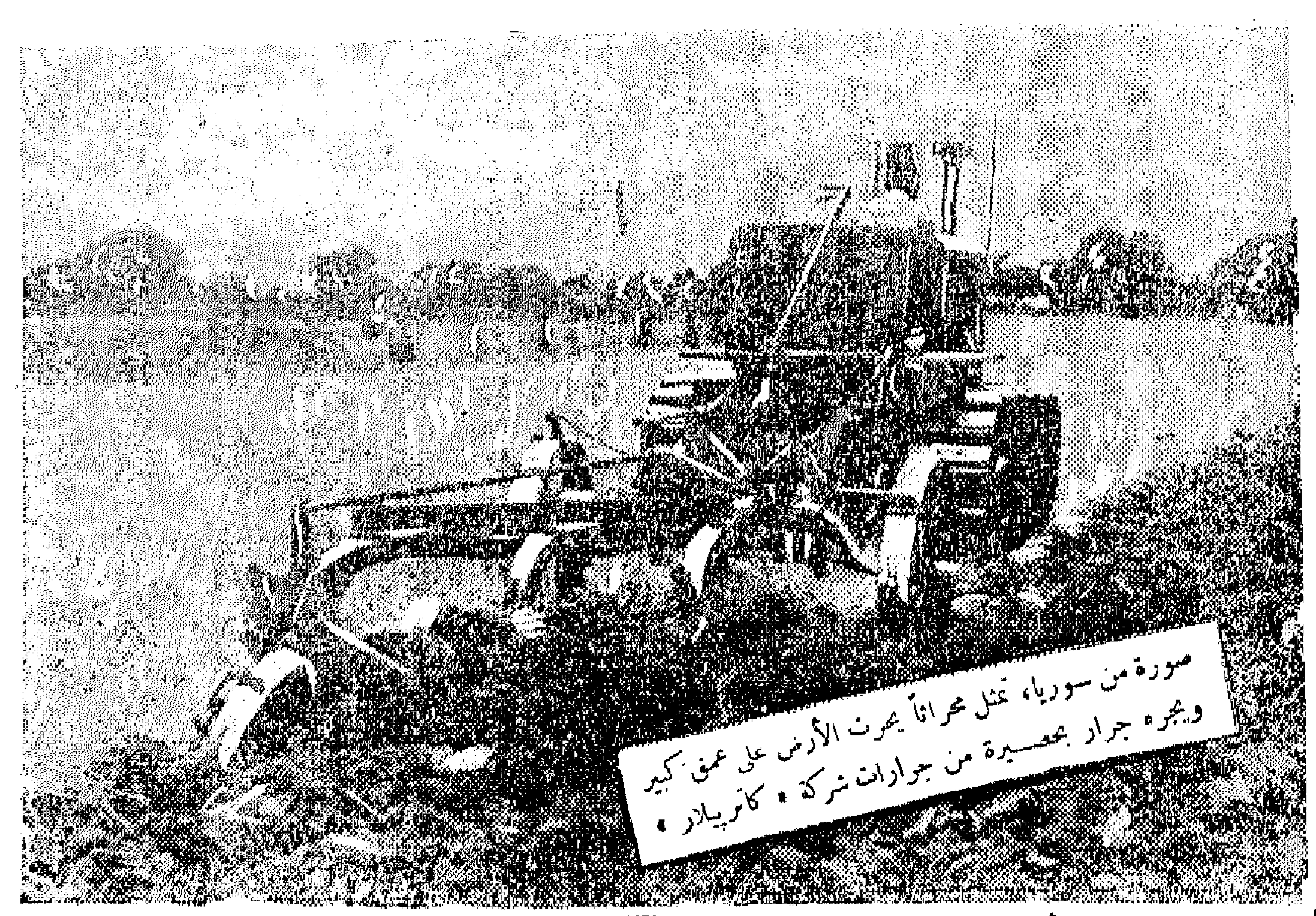
AIRCRAFT ENGINES

WRIGHT AERONAUTICAL CORPORATION

Paterson, New Jersey (U.S.A.)

A DIVISION OF CURTISS-WRIGHT CORPORATION

REPRESENTATIVES: AMERICAN EASTERN TRADING & SHIPPING CO., S.A.E., ALEXANDRIA


صورة من سوريا، تمثل محراثاً يحرث الأرض على عمق كبير ويجره جرار بحصيرة من جرارات شركة « كاتربيلار »

لجميع البلاد، والمحاصيل، والأحوال

تتبوأ شركة «رانسومز» — منذ أكثر من ١٥٠ سنة — مركز القيادة في تصميم المحاريث وصنعها وهذا الاختبار الطويل يمكنها من إنتاج المحاريث والآلات الزراعية الأخرى لتوافق كل طلب.

والمحاريث التي تنتجها الشركة يتفاوت وزنها بين ٣٠ رطلا وأكثر من ٣ أطنان وتنتج الشركة المحاريث القلابة والمحاريث العادية « العدلة » والمحاريث التي تحرث الأرض على عمق كبير والمحاريث الفجاجة والكسارات ذات السكاكين المستديرة وأنواعا أخرى غيرها كما وأنها تنتج ماكينات الدراس.

وترسل النشرات المحتوية على وصف هذه الآلات وصورها إلى من يطلبها.

Ransomes

RANSOMES, SIMS & JEFFERIES, LTD. IPSWICH, ENGLAND.

الوكلاء الوحيدون بالقطر المصرى ، **أنجال قلاده أنطون** ، بمصر واسكندرية

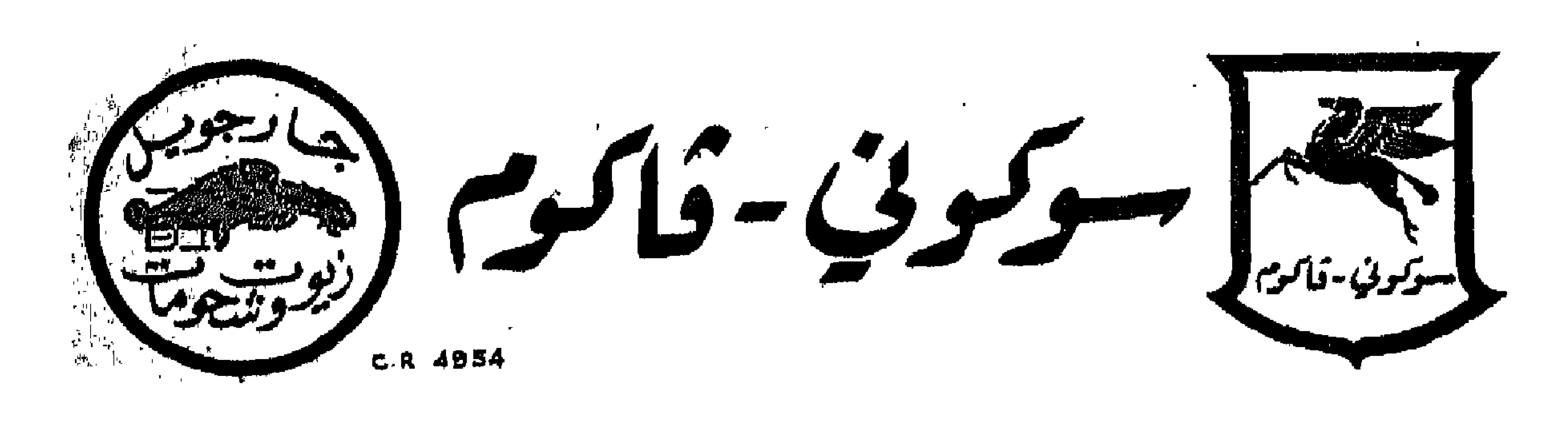


SUN FLAME APPLIANCES, LTD. RIDGEFIELD, NEW JERSEY, U.S.A.

أهمية خزان أسوان الحيوية

تضارعها الأهمية التي تتصف
بها زيوت موبيلويل وشحومات
جارجويل . فان زيوت موبيلويل
تساعد المحركات على تأدية وظيفتها
بسهولة كما أن شحومات

جارجويل تصون الآلات ضد
التآكل . فاطلب إذاً بالحاح
زيوت موبيلويل لسيارتك
وشحومات جارجويل
لجميع آلات مصنعك .




شفرات
مازالت جيليت اشهر شفرات العالم فى السرعة
والعومة والاقتصاد. ولو ان انتاجها محدودًا فسواء
اشتريت شفرات جيليت الزرقاء أو جيليت استندرد
تضمن احسن حلاقة
Gillette
GILLETTE BLADE
جيليت



لكي تتسلق
المرتفعات بسهولة
ركب شموع الاحتراق الجديدة
شامپيون
CHAMPION
CHAMPION
CHAMPION
إذا

كل هذا و RCA أيضاً ! ...

بروكتر — أجهزة كهربائية

جهاز للفطائر ، مكواة ملابس ، جهاز للشواء ، جهاز لتحميص الخبز

دوو ثيرم — أجهزة تستعمل الجاز

أفران أوتوماتيكية ، دفايات مائية ، دفايات

إيبكس

غسالة ، مكواة ، مكانس كهربائية بالشفط

RCA

أجهزة راديو و فونوغراف ، ثلاجات ، إسطوانات ، صمامات

... لتيسير حياتك وتوفير رغدك

بعد متاعب الحرب وآلامها ، ترى الناس فى جميع أنحاء العالم يطلبون الطمأنينة فى الحياة — أساليب ووسائل تجعل العيش أرغد وأسعد ، وإن وكلاء RCA سيقدمون لك — علاوة على المنتجات الموسومة بإسم RCA — مجموعة كاملة من المعدات والأدوات المنزلية . فوكيل RCA فى منطقتك سيصبح مقراً رئيسياً للمعدات التى توفر العمل وتحمى الصحة . ففى مخزن واحد تستطيع أن تشترى ، على راحتك ، كل ما تحتاج إليه من معدات الراديو وأدوات المنزل . وكل بضاعة من بضائع RCA الجديدة يصنعها زعيم فى ميدانه ، فإن « بروكتر » و« دوويثرم » ، و « إيبكس » أسماء فى الطليعة بين الذين يصنعون معدات المنزل . وهى أسماء تقترن بأجود المنتجات التى وضع تصميمها لكى تجعل الحياة أرغد للناس فى جميع أرجاء العالم .

هذه منتجات جديدة لعالم السلام . وهى ليست معروضة للبيع الآن ولكن حالما تسمح حالة الإنتاج ، ستكون هذه المعدات المصنوعة لغد القريب ، متاحة لك عند مورد RCA الذى تعامله فتجلب الراحة والطمأنينة إلى منزلك .

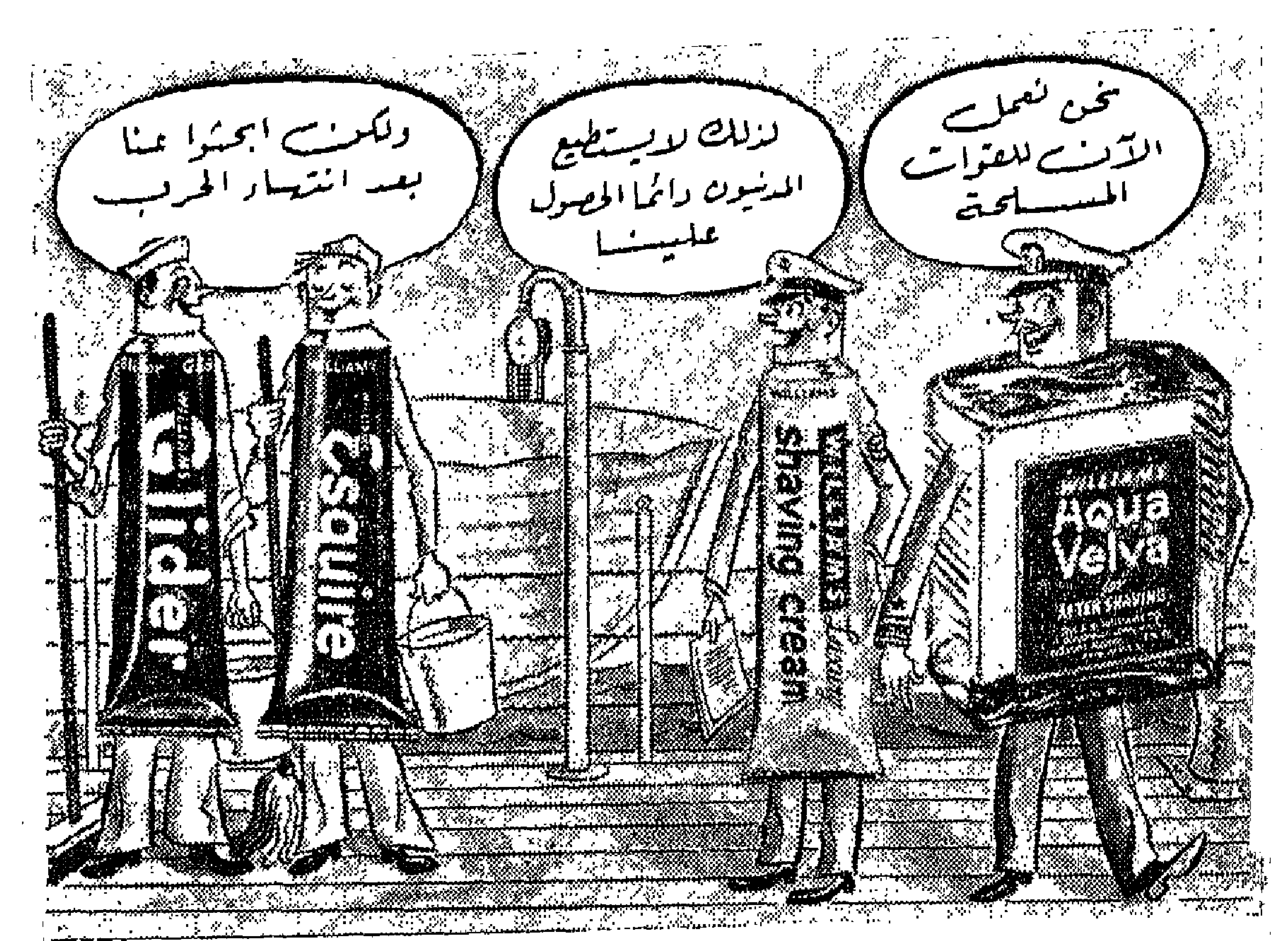
أرسل برقياتك الدولية بالطريقة الحديثة
« طريق RCA »



RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA VICTOR DIVISION • CAMDEN, N. J.

تتقدم القافلة فى الراديو .. تليفزيون .. صمامات .. فونوغرافات .. اسطوانات .. الكترونات



كريم جليدر وإسكواير
للحلاقة بدون فرشاة

صنعا خصيصاً للرجال الذين عليهم أن يحلقوا كل يوم

كريم وليامز الفاخر للحلاقة

يحتوى مادة «لانولين» الملطفة وهى تعينك على تنعيم الحلاقة دون أن يلتهب الجلد

أكوافلفا

أشهر لوسيون فى العالم يستعمل بعد الحلاقة
مبرد ، منعش ، نقى ، زكى الرائحة

WILLIAMS

تجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من مائة سنة

شركة ج. ب. وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة



المارش
زنبرك بندكس
عمود بندكس
تعشيقة القيام في الدراف
مسمار بندكس
عمود البوبينا
حرونة الدابة
محرك بدء الحركة
يضايق سائق السيارة كثيراً تعطل محرك بدء الحركة «المارش»،
ولذا يجب العناية به على وجه خاص .
اعتمد على
الخدمة
شل لتشحيم فني
العلمية
س. ت. ٩٤١

استمتعوا بتثقيف ثقافتك وتهذيبها

(تتمة مقالة الغلاف)

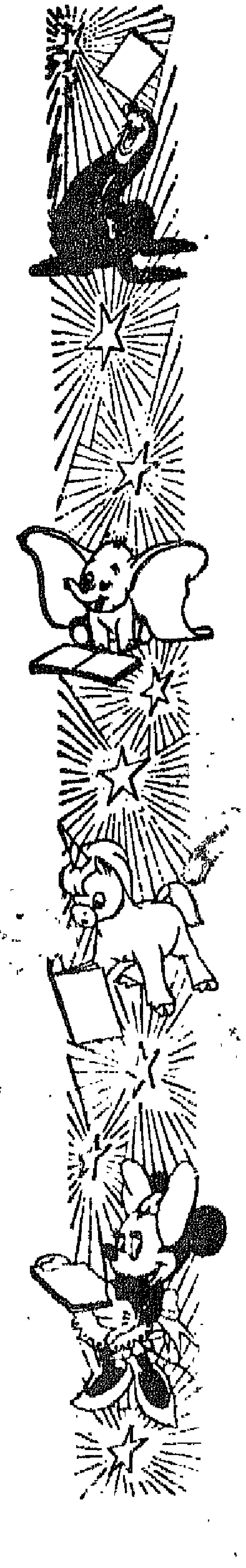
لا يقع في صفحاتها على ثرثرة ، بل إن إيجازها المحكم ليحرك نفسه ويحفز فكره إلى التذوق والتأمل والتخيل ، فإذا عقله أشد ما يكون نشاطاً وهو يقرأ ، وإذا نفسه يخامرها إحساس بالنشوة والفائدة حين يقتحم ويتوغل فيما وراء عالم الحقيقة ، متطلباً قيم الأشياء وما فيها من لذة وجمال .

وهذه الخصلة ، خصلة المغامرة والتوغل والاستعانة بالخيال على تبين العوامل الخفية التي لا يدركها الحس ، هي التي ترهف الحواس وتوسع نطاق الإدراك . ولست أعرف هدية أفضل وأثمن من ريدرز دايجست ، فمن لي برجل لا يجني فائدة من فصول كهذه الفصول هي أصلح ما تكون لحفز الخيال وإطلاقه في أعنته ؟

وقد يكون خيالك ضعيفاً أو هيَّاباً ، أو ضامراً ، أو جامداً ، فريدرز دايجست خير مرتع يرتع فيه حتى يستفيد الصحة والإقدام والنمو والانطلاق . وهي مجلة تسلي وتعلم ، ولكن موضوعاتها الساحرة المختارة ، وما تنطوي عليه من آراء تثير الرأي ، وحقائق غريبة تحفز العقل حتى يصير وثاباً مرناً — تغرينا بأن نقرأ .

استعن بخيالك فى قراءتها

والت ديزنى



التخيل صناعتى ، وما أخرجناه من صور قد أتاح فرصة للجمهور حتى يتخيل ، وحتى يسمو فوق ما ألفه من شئون الحياة . وقد اهتدينا إلى أن لكل امرىء خيالاً خصباً ، وأنه يرحب بكل فرصة تتيح له أن يطلق له عنانه . ولربما أضنى الخيالَ إهمالُه ، أما المرء فى مغامرات « ميكى ماوس » و « دونالد دك » و « جمبو » حمله خياله ، وحلق به يتخطى الحدود والقيود التى تخلد به إلى الأرض .

ولكن سواد الناس يحتاج إلى شىء أكثر من انطلاق الخيال انطلاقة قصيرة حيناً بعد حين ، إذا شئنا أن ننجو من السقوط فى وهدة الحياة الرتيبة وعنائها المطرد . وإننا لنظفر بأنفع ألوان الخيال فى حياتنا كل يوم ، بالتدرُّب الدائب والتحسين المستمر

يلوح لى أن القراءة هى خير ما ييسِّر بنا الوسائل التى تعين على هذا الانطلاق والسموّ ، لأن القراءة خليقة أن تتيح للخيال أن يعمل عملا دائباً .

وإن مجلة ريدرز دايجست لتقيم الدليل على صدق هذا القول فيما هو من خاصة أمرى وتجربتى . فالقارىء

(التتمة على الصفحة السابقة)